محمد على بهزاد راد

مشترى العشق

رواية





المشروع القومي للترجمة

385

ترجمة : يوسف عبد الفتاح فرج

المشروع القومى للترجمة

مشترى العشق

(رواية)

تأليف : محمد على بهزاد راد

ترجمة : يوسف عبد الفتاح فرج

المشروع القومى للترجمة
إشراف : جابر عصفور

- العدد : ٣٨٥
- مشترى العشق
- محمد على بهزاد راد
- يوسف عبد الفتاح فرج
- الطبعة الأولى ٢٠٠٢

ترجمة كاملة لكتاب :
خريدار عشق (يانان سوخته)
نوشته : محمد على بهزاد راد
أنتشارات پروان - تهران ١٣٧٨

حقوق الترجمة والنشر بالعربية محفوظة للمجلس الأعلى للثقافة

شارع الجبلاية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة ت ٧٣٥٢٣٩٦ فاكس ٧٣٥٨٠٨٤

El Gabalaya St. Opera House, El Gezira, Cairo

Tel : 7352396 **Fax** : 7358084 **E. Mail** : asfour @ onebox. com

تهدف إصدارات المشروع القومى للترجمة إلى تقديم مختلف الاتجاهات والمذاهب الفكرية للقارئ العربى وتعريفه بها ، والأفكار التى تتضمنها هى اجتهادات أصحابها فى ثقافاتهم ولا تعبر بالضرورة عن رأى المجلس الأعلى للثقافة .

مقدمة

« مشترى العشق » إحدى روايات الروائى الإيرانى المعاصر محمد على بهزاد راد ، الذى اشتهر بكتابة الرواية بجانب شهرته كرجل أعمال ناجح ، وقد ساعده عمله الثانى فى الوصول إلى جميع طبقات المجتمع ، ومعرفة دقائقه .

حاول محمد على بهزاد فى هذه الرواية أن يتبع أسلوبًا متميزًا يصل به إلى هدفين اثنين متصلين غير منفصلين هما :

١ - نقد المجتمع الذى يعيش فيه ، وإظهار عيوبه حتى يتمكن من تلافيها .

٢ - نقد مؤسسات الحكم وإبراز أهم العوامل التى يمكن أن تقوضها أو تجعلها معرضة للهجوم الداخلى أو الخارجى .

ولم يعمد المؤلف فى روايته هذه اتخاذ الأسلوب المباشر ، وإنما عمد إلى أسلوب رمزى ؛ فنراه يذهب إلى تاريخ إيران القديم ، ويتوقف عند أحداث مشابهة لما يهدف إليه ، ويصور واقعه ، وقد أحسن المؤلف فى اختيار أماكن روايته وشخصياته ؛ فقد اختار شخية الملك المنصور الظالم من بلوشستان إحدى ولايات الباكستان الآن ، وجعل تجارته فى لاهور المدينة الباكستانية أيضًا ، وكانت المدينتان تابعتين لدولة الفرس قبل ذلك ، أما طاوس تلك الفتاة المظلومة فهى شيرازية اشتراها المنصور

من والدها الذى لم يقدر مشاعرها ولا مشاعر خطيبها حميد ابن أخته ، ولم يقم وزنًا للاتفاق السابق بينه وبين عائلة حميد ، وكان الدافع وراء اتخاذ الكاتب هذا اللون الرمزى أحد أمرين هما :

(أ) خوفه من العقاب الذى قد يقع عليه .

(ب) إحساسه بأن الخطاب المباشر من العيوب التى يجب على الروائى الجيد ألا يتصف أسلوبه بها .

ومع أن الرواية خيالية زمانًا ، فإنها واقعية تلمسها الكاتب بنفسه ، فصورها بقلمه ، ومن ثم فإنه يرى أن الشعب الإيرانى الذى يحاول النهوض فى كثير من المجالات ، إلا أنه مازال بدائيًا فى جوانب أخرى ، ومازال الغنى الذى يملك أموالاً يستطيع أن يشترى كل شيء حتى المشاعر .

فالرواية إذن نقد للواقع الحاضر بصورة الماضى الذى كان السفر فيه بالعربات التى يجرها الحصان أو بالجمال والحمير والبغال .

وقد يكون من أجمل مواقف الرواية ومشاهدها مشهد قتل الملك المنصور الظالم بذات الطريقة التى قُتل بها حميد من جراء ظلم المنصور له والزواج من خطيبته وانتصار الخير بعد ذلك حيث عادت لطاوس عافيتها ، وتنازل ابن المنصور لها عن ميراثه لقاء تضحيتها بسنى عمرها فى خدمة والده ، ونجاح موسى وبزوغ شمس تفوقه فى الطب ، ونجاح عمه إبراهيم فى تجارته .

وهكذا جعل المؤلف انتصار الحق بصورة جميلة ، بل كان أمراً طبيعيًا عرض المؤلف بطريقة ذكية ، وظف فيها أبسط الناس لينالوا حقوقهم الشرعية من الظالمين المفسدين فى الأرض ، عن طريق بعض الأشياء التى لم يعد يؤمن بها الشعب الإيرانى اليوم وهى السحر والجن والأشباح .

وقد نجح المؤلف فى نقد من يدعون الإسلام ، ومن سموا بأسماء إسلامية لكنهم فى أفعالهم بعيدون كل البعد عن الإسلام ، فالملك المنصور وعمران ، وموسى وإبراهيم أسماء تراثية ، لكن بعضهم وقع فى الظلم والبعض الآخر يذهب إلى السحرة ويؤمن بأن الأشباح هى التى قتلت الملك المنصور .

وبعد فلا أريد أن أطيل فى تقديمى هذا ؛ لأننى لا أريد انتزاع حكم على هذه الرواية قبل أن يحكم القارىء عليها بعد الانتهاء من قراءتها .

يوسف عبد الفتاح فرج

الفصل الأول

الخبز المحترق

كانت حبات القمح تتناثر وتتساقط من الدلو على القماش المفروش على الأرض حتى أفرغه عمران وانطلق إلى مخزن القمح ليأتى بدلو آخر فينثره على الفراش المبسوط فى حديقة المنزل الغناء ،
وكان على طاووس أن تطحن هذا القمح حتى يتمكن عمران- الذى كان يعمل خبازاً - من عجنه وخبزه وبيعه للناس الـ . . . .
وهناك تحت الأشجار الخضراء كان موسى بن عمران ، الذى يبلغ من العمر ثمانى سنوات ينام على سرير خشبى قد كسى بكساء شبه جديد ، وتحت سريره براد الماء ومائدة الطعام .
أما طاووس - التى كانت مشغولة بإعداد الفطور - فقد امتلأت عيناها بالدموع بسبب الدخان والرماد الذى تصاعد من موقد الشاى حينما أرادت أن تطفأ ناره ،

ومن ثم كـانت مـثار ضـحك والدها عندمـا رجع من مخـزن القمح ورأى الفـتاة الجمـيلة بنت الثامنة عـشرة وكأنها تبكى ٠

طـــاووس : علام الضحك يا أبى ؟ هل غطانى الدخان ؟

وكانت العلة فى ضـحك أبيها أن عيناها الدامـعتين قد زادتا جمالاً علـى جمالها ، ولكنه لم يرد على سؤالها ، إلا أنه اعتـاض عن الجواب بقوله : أيقظى موسى فـقد تأخر كثيراً ، ولا يمكن أن نخبز الخبز فى الضحى ٠

فـقالت طاووس لمـوسى الذى كان قـد نام على سـرير بجوار مـائدة الطعام : مـوسى ٠٠ موسى قم وإلا أتى أبوك وضربك ٠

ففتح موسى عينيه بصعوبة ، ثم انقلب مرة أخرى وقال : لا أريد أن استيقظ ، أريد أن أكمل النوم ٠

طـــاووس : مـــوسى ٠٠ قم حـتـى تتناول فطورك ثـم تذهب إلى العمل ٠٠ قم لأن الناس سيأتون لشراء الخبز ٠

استيقظ موسى وهو يتثاءب ، ثم جلس ، وسلم عليها وقال : اذهبى أنت ووالدك لمشـترى الخبز ؛ فـوضعت طاووس براد الشاى على النار وذهبت نحو مائدة الطعام وهى تنادى : أبى ٠٠ أبى الفطور جاهز٠

كان عـمران قد تردد على مـخزن القمح عـدة مرات ، حتى جـمع كومـة من القمح بجـوار الرحى ، ثم ترك الدلو بجـوارها ،واتجـه نحو مـائدة الطعـام ، وجلس متربعًا على السرير ٠

كان الصباح جميلاً حينما نزل موسى من فوق السرير ، وذهب إلى البئر ليغسل وجهه ويديه من الماء الذى كان فى دلو بجوار البئر ... ثم نادى من هناك قائلاً : انتظرونى حتى أجىء لأتناول الفطور معكم ، ضحكت طاووس وقالت واللقمة فى فيها : لم نأكل بعد .. تعال بسرعة.

فوصل موسى وقال :هى تأكل ثم تقول لم نأكل بعد ، جلس موسى على المائدة متسائلاً : ألا يوجد خبز طازج (ساخن) ؟

عمران : الآن يصل مشترو الخبز وينكبون عليك.

طاووس : لماذا تهتم كثيرًا بالناس يا أبى ؟ تناول فطورك ولا تشغل بالك .

عمران : لو تأخرنا لحظة واحدة أخرى ، لتزاحموا ولن استطيع أن أخبز الخبز ..

ونهض عمران دون أن يكمل فطوره متجهًا نحو مخبزه ، ليبدأ يومًا جديدًا .

طاووس : ألا تكمل فطورك يا أبى ؟

عمران وهو يفكر فى اليوم الذى سوف تتزوج فيه طاووس ينظر إلى وجه ابنته ويقول: لا أريد طعامًا ،على أن أذهب لأننى تأخرت كثيرًا .. ثم التفت إلى موسى قائلاً: هيا يا موسى .. أسرع حتى نذهب .

مـــــوسى : سألحق بك يا أبى .. اذهب أنت أولاً .

بيت عمران الذى يقع فى ضاحية من ضواحى شيراز ، بيت جميل ، له حديقة صـغيرة، ويمر من أمامه نهر ، وقد زاد من جمال هذه البقعة الأشجار الكبيرة الشاهقة على ضـفتى النهـر ، والجبـال الشاهقـة ، والصحـراء الشاسـعة التى امتدت خـلف النهر والأشجار ، اجـتاز عمران الدرب الذى يفصل البـيت عن المخبز ، وأخرج مفتاحًا أسود ووضعه فى القفل الكبير قائلاً : بسم الله الرحمن ... ثم دخل المحل بعـد أن فتح الباب الذى كان مكونًا من ستة أقسام ، ثم ارتدى ملابس العمل ، ووضع الخـشب والفحم فـى التنور ، وألقى على ذلك قليـلاً من الكيـروسين ، ثم أشـعل فـيـه النار بواسطة الكبريت ...

دخل موسى إلى المحل مباشرة من الباب الداخلى الذى كان متـصلاً بالمنزل ، وذهب إلى العجين حـتى يساعد والده فى عجن دقيق الخبز .

أمـا طاووس فـقد وضـعت أكـواب الشـاى فى إناء ، وذهبت إلى البئر حتى تغـسلها من الماء الموجود فى دلو بجوار البـئر .. وبعد الانتـهاء من الغسيل عـادت مرة أخرى إلى المنزل ، وفى الطريق قطفت وردة حمراء من أزهار الحديقة ووضعتها على شعرها مترنمة وحدها .

فطلع عليهـا شاب بهى الطلعة جميـل المحيا من خلف بيت عمـران كطلوع الشمس من خلف الجـبال ، طلع بهدوء وكان ينظر إلى طاووس ·

أما طاووس التى كانت سابحة فى خيالها، فقد تناولت الوردة الحمراء التى كانت قد زيـنت بها شعرها وأخذت تستنشق عبيرها ، وتترنم بأشعار العشق ·

وكان صاحب هذا الوجه الجميل ابن عـمتها " حميد " الذى أخذ ينُظر إلـيها فى خـفاء معـجبًا بشـعرها الذى تتـرنم به ، ولكنه لم يستـطع أن يسيطر على وجْـده ، فصاح بأعلى صوته ، فتنبهت طاووس، وأحمر وجهها خجلاً لأن " حميد " كان يشاهدها ويستمع إليها ·

طـــاووس : يا ويلتى أكنت ناظرًا إلىّ ؟

حـــمــيــد : هناك نظرة واحدة مباحة لأجل أبناء الأعمام ·

ألقت طاووس الوردة من يدها ، وذهبت مـسرعـة إلى ظل الجدار حتى تـتحدث مع حميـد ، أما حميـد فقد امتطى صهوة الجدار وكأنه فارس قد شد لجام جواده ·

وكـان حمـيد شـابًا وسيـمًا ذا شـعر طويل أسـود فى العشرين مـن عمره ، افترق عن والديه اللـذين انفصلا منذ عشر سنوات ·

حـــمــيــد : حسنا ، هل من جديد ؟

طـــاووس : قل أنت ما أخبارك ؟

حـــمــيــد : لقـد بلغت أمى أننـى لم أعـد أطيق مـرارة الانتظار ، عليكم أن تعجلوا بزواجى من طاووس·

قالت طاووس سعيدة سعادة غامرة بسماعها هذا الكلام : إن النهار والليل يحسبان يومًا لكنهم مائة عام عندنا ·

حميد : يا ويلتى : هل أتزوج من ابنة عمى بعد مائة عام ؟!

فضحكا ، وفجأة ارتفع صوت العمة من خلف الجدار : ماذا تفعل عندك يا حميد ؟!

هرولت طاووس ، وجلست على حجر الرحى متظاهرة بأنها تلقى فيها القمح ، أما حميد فقد نزل من الناحية الأخرى ، فوجد أمه وقد شهرت العصا فى وجهه قائلة : لو رأيتك هنا مرة أخرى لأضربنك ضربًا مبرحًا لا تنساه أبدًا ·

فأجاب حميد بتفرع ممزوج بأساليب الشيطنة : عينى يا أمى ·· وجرى بسرعة خائفًا من ضربة محتملة ودخل غرفته ·

فى المخبز

بينما كان عمران مشغولاً فى بيع الخبز للزبائن ، غافله موسى بعد أن أعد له أعدادًا كثيرة من العجين ، وفتح الباب الخشبى الفاصل بين البيت والمخبز ، ودلف إلى البيت مسرعًا ، فوجد طاووس قد أدارت الرحى دون قمح فيها ، فتعجب ونظر إليها ، فبادلته هى أيضًا النظرات وقالت : لماذا تحدق فى هكذا ؟

موسى : إذا لم أخطىء ، فإن عملك هذا لن يثمر شيئًا ·

طاووس : لماذا ؟

موسى مشيـراً إلى مكان القمح فى الرحى : مادمت لم تصبى الماء فى الرحى فماذا تنتظرين منها ؟

فلاحظت طاووس أنها أدارت الـرحى دون إلقاء القمح فـيهـا ، ولكنها لم تـرد الاعـتـراف وقـالـت: كنت اختبر الرحى ·

اتجه مـوسى إلى غرفـته مسـرعًا حـتى يلتقط حقـيبـته المدرسية ، وبعد أن حمل حقيبـته متوجهًا إلى مدرسته التـفت إلى طاووس سـاخراً وقـال : كنت تخـتبـرين الرحى ؟ وخرج مسرعًا من المنزل ·

انفـتح الباب الخـشبى الذى يفـصل بين المنزل والمخبـز ودخل عمران غاضبًا : أين ذهب هذا الموسى العفريت ؟ وأخذ يبحث عن موسى هنا وهناك ، فداس بقدمه وردة طاووس الحمراء التى كانت قد ألقتها ، ففاحت رائحتها العطرة بعد أن تركت أثراً على الأرض ·

طــــاووس : بابا بابا ، لقد ذهب موسى إلى المدرسة ، فلا تبحث عنه ·

فخرج عمران غاضبًا ذاهبًا إلى مدرسة موسى ·

فى المدرسة

وصل موسى الذى قطع الشارع جريًا سريعًا إلى المدرسة ، واستأذن المدرس العجوز قـائلاً : سيدى هل تسمح لى بالجلوس ؟ فقـال المعلم العجوز الـذى كان يلبس نظارة ومعطفًا بلا أكمام : أين كنت إلى الآن ؟

موسى : سيدى ، لقد كنا ليلة أمس فى حفلة زفاف ، فتأخرنا فى النوم ·

فضحك الأطفال من هذا (عليه)، فالتفت المعلم إلى التلاميذ قائلاً : اصمتوا ، ولا تنبسوا ببنت شفة·

المعلم : كنت فى حفلة زفاف ليلة أمس ؟

موسى : بلى يا سيدى ، وبالله إننى لصادق فيما أقول ·

المعلم : نعم أنت صادق فى كلامك ، ولكن - على حد علمى لم يكن هناك حفلة زفاف فى هذه القرية ليلة أمس ·

فضحك الأطفال جميعًا مرة ثانية ، وقال المعلم : قلت : اسكتوا .

أخذ المعلم عصاه وذهب إلى جوار موسى ، وقال له : هذا الضرب ليس لتأخرك وإنما هو لكذبك ، افتح يديك ·

فتح موسى يديه ، وعندما ذاق أول ضربة قال : سيدى أقسم بالله أننى لم أكذب ·

وفى تلك الأثناء فتح باب الفصل بعنف ، ودخل عمران غاضبًا ، وضحك الأطفال ، وبينما المعلم ينبه الأطفال إلى عدم الضحك ، وقعت عين موسى على أبيه ·

لم تكن هذه الأولى التى يدخل فيها عمران الفصل مضطربًا غاضبًا ، بل تكررت لضرب موسى ·

وفى الوقت الذى رفع موسى كلتا يديه نحو رأسه

مدافعًا عن نفسه،أمسك والده بقفاه وجره إلى الخارج ، سقط معطفه على الأرض ، فتـركه ، حيث كان خائفًا يبكى ، وكلتا يديه مفتوحتان للضرب .

المـعـلـم : أيها الخباز هل جئت ثانية لتخبرنا عن حاله ؟!

عـمـران : ينبغى أن تسأل أنت عنه ، وليس أنا .

المـعـلـم : هو ولد جيد ، ويذاكر جيدًا ولكنى كنت أضربه لكذبه .

عـمـران : كفى ، لا وقت للحـديث عن الدرس والقراءة ، الناس يريدون الخبـز وأنا وحدى فى المحل ، وهو يـفر هاربًا إلى المدرسة !!

المـعـلـم : خذ واحدًا غـيره معك إلى المخبـز ، ليس هنـاك فقـر فى الناس .

عـمـران : هل تدفع أنت راتبه؟

المـعـلـم : اذهب أنت واتركـه هذا ولد جيد ، وذكى سـوف يقف على قدميه فى المستقبل استمع عمران إلى نصائح المعلم برغم غضبه واضطرابه،وخجل لكبر سن المعلم ورجع.

فى المخبز

لم يكن أحـد فى المخبـز ، ودخل رجل عجـوز طويل القـامة يرتدى الملابس الـفاخـرة ربما وصل عمـره إلى الخامسة والخمـسين ، ونظر إلى أطراف المخبز فلم يجد سوى رائحـة الدخان ، اقـترب من التنور فـرأى بعض الأرغفة تحترق مما جعله يفهم أن الخباز كان موجودًا قبل لحظات قليلة ثم اضطر إلى مغادرة عمله .

فتعجب العجوز واندهش رافعًا حاجبيه إلى أعلى وناظرًا إلى الباب الخشبي الذى يفصل بين المخبز ومنزل الخباز .

كان الباب مواربًا ، فاغتنم العجوز الفرصة وألقى نظرة إلى داخل البيت فوجد طاووس جالسة خلف حجر الرحى مشغولة بطحن القمح ، وتغنى بصوت خفيض دون أن تنتبه إلى باب المحل والمخبز وتقول :

من يأكل الفأر؟

القط يأكله ·

ومن يأكل القط ؟

الكلب يأكله .

القط والفأر والكلب و · · ·

كان العجوز يتفحص طاووس ويتأمل جمالها وبخاصة عينيها الساحرتين · · وفجأة ضرب الرجل على كتفه الأيسر بشدة ، فانتبه من غفوته فرأى الخباز يقول له :

أين أنت ؟

فتظاهر العجوز وكأنه لم ير شيئًا ، قائلاً لعمران : أين ذهبت ؟ لقد احترق الخبز فى الفرن ، وأراد أن يغير الموضوع فسأل الخباز : ما اسم هذه القرية ؟

فألقى عمران نظرة على ملابس المشترى وخجل منه فلم يحر جوابًا ، وولى وجهه شطر الفرن وقال على مضض " سرو ستان " .

وأخرج الخبز المحترق من التنور ، وأدخل أرغفة أخرى إلى الفرن .

عـمـران : كم من الأرغفة تريد ؟

المشـتـرى : أريد رغيفين .

فألقى عـمران رغيفين أمـام المشترى قـائلاً : تفضل . متـأمـلاً ملابـس المشتـرى وهندامـه الذى يختلف عن بقية زبائنه .

المشـتـرى : متسائلاً : كم الثمن ؟

عـمـران : خمسة وعشرون ديناراً .

فأدخل المشتـرى يده فى جيبه وأخـرج ثلاثة أكياس من الذهب والفضة ، كيس أبيض اللون وضعه أمامه وأمام الخباز ، أما الآخران فقـد وضعهما على جانب الطاولة التى تفصل بينهما .

عـمـران : ماذا تريد؟

المشترى مشيراً بحاجبيه ويديه إلى طاووس خلف الجدار وقائلاً : خبـزاً شهيّاً خرج من الفرن منذ ثمـانى عشرة عامًا .

لم يلتفت عمران وانشغل بجـمع النقود وتسوية الخبز ، لكن المشتـرى أدخل يده إلى جيـبه مرة أخـرى وأخرج كيس نقـود آخر ، أبيض اللون مما يدل على أن بداخله ذهبًا ... انتبه عـمران لصوت النقود داخل الكيس ، وعـرف أنه ذهب ، فـالتفت إلـى المشتـرى الذى فـتح الكيس وألقى بالنقود أمامه...

فقــال عمران - الــذى لم ير مثل هذا المبلغ الكبـير من المال ولم يكن ليستطيع مقــاومة الذهب - إنها مخطوبة لابن عمــتهــا ، ولكن سرعان مــا بدأ الاضطراب على عمــران وكذلك التــردد بين أمرين : إنه لا يســتطيع أن يضيع هذا المبلغ الكبـير من المال ، كمــا أنه لا يستطيع رفض ابن أخته .

المشـــتــرى : من يكون ابن عمتها ؟ هل لديه عشر هذا المال ؟

عـــمـــــران : طبعًا لا ، لكن . . .

المشـــتــرى : لا تتردد فى الأمــر كثيــراً، إن ابنتك ستكون سعــيدة ، فأنا تاجر أسافر إلى أماكن بعيدة وكثيرة ، يوم هنا وآخر فى الهند . . عليك أن تشــكر ربك على هذه الفرصــة الثمينة .

كان عمران قد وافق على طلب المشترى إلا أنه يريد أن يزيــد فى المــــال ، فـقال : حــسنًا نـفتــــرض أننــى وافقت . . . لكن على هذا المال قليل ؟

فأخرج المشتــرى كيسًا أخرى من الفضــة وألقاه أمامه ، فأخذه متــبسمًا وقال : أريد ذهبًا فاستــرد المشترى كيس الفضة ووضع مكانه كـيسًا من الذهب ، فسعــد عمران وقال : على بركة الله ، ولكن ماذا نقول لابن عمتها ؟ !

المشـــتــرى : اتركه لحاله .

ضحك عمران بصوت عال ، ثم نظر إلى الخارج ليأمن أعين الرقــبــاء ، ووضع الأكـياس عــلى قمــاش كــان يستخدمه عند التنقل وربطه ربطًا متينًا .

عمــــران : حسنًا عريس ابنتى الثرى ... ما اسمك ؟

المشــــترى : الملك المنصـور ، الملك المنصـور أغنى رجل فى العـالم كل أفيـال الهند وكل حميـر قبرص تتحـرك بإشارة من أصبعه ... سوف آخذها بعد يومين أو ثلاثة ولا أريد مناقشـة فى هذا الموضوع واسـتودعـهـا الله إلـى الأبـد ولا تسأل عن مكانها بعد ذلك لأننى لن أقول لك .

ضـحك عمـران .. وخـرج الملك المنصـور من المحل ونسى أن يأخذ الخبز ... ولكنه تذكر فتراجع للخلف عدة خطوات ليـأخذ الخبـز فرأى عمـران يرقص ويقبل أكياس الذهب والفضة ، فقال : فرح أنت جداً .

انتبه عمـران وتذكر فراق ابنته واغتم غمًـا شديد لضياع ابنته من يديه ، وحـمل العريس الجديد الرغـيفين وهو يضحك على مصيبة عمران ثم خرج من المحل .

تجهيز العروس والاستعداد لحفل الزواج

خرج عمران إلى السوق ليعرف الأسعار ... فقد كان يريد أن يشتـرى شيئًـا لطاووس لكنه كان مـترددًا فيـما يشتريه ... لكن فى النهـاية لابد من ملابس العروس وبعض من المجوهرات وكان هناك محل للأقمشة لزميله زكـريا ، فـاتجـه إلى هناك ، ودخـل المحـل ليـرى زكريا جالسًا .

عمــــران : السلام على زكريا البزاز السيىء .

زكريا لصديقه الجديد عمران : وعليكم السلام يا عم عمران الفران · · · كيف حالكم ومن أين جئت ؟
تصافح كلاهما ضاحكين وأشار زكريا لعمران : أن اجلس · · · أهلاً وسهلاً .

عمران : شكراً يا زكريا لشراء ملابس الفرح لطاووس ·

زكريا مازحًا : إن طاووس دائمًا ما تلبس ملابس فرح فلا حاجة لها اليوم·

عمران متبسمًا : طاووس ابنتى·

زكريا : عرفت يا عم عمران ، ألف مبروك · · أخيراً ستتزوج ذلك الشاب الوسيم ، هل هو من قريتك ؟

عمران : لا ، إنه ابن أختى ، لكن قسمتها كانت لشخص آخر·

زكريا : لا بأس ، ألف مبروك مرة أخرى ، أتمنى لهما السعادة طوال العمر· · ·

حاول عمران الذى لم يرد أن يصرح بشئ عن عمر الملك المنصور - أن يغير الموضوع فقال :حسنًا · · · ماذا عندك يناسبها؟

زكريا : يا عم عمران إن الناس فى هذه الأيام يأتون بالعريس والعروس ليختارا ما يريدان معًا ولكن ما دامت زوجتك متوفاة فلا عليك · · · إلا أن ذوقك لن يناسب العروسين ، فعليك أن تختار قماشًا خشنًا بدلاً من الحرير · ·

ولما كان عمران يعرف ما يدور فى رأس زكريا قال : لا تسخر منا .

زكـــريـا : أنا تحت أمرك ٠٠ثم جاء بقماش « ستان » وبسطه أمام عمران قائلاً : ما رأيك ٠٠ لا بل ما رأى العروسين ؟

مس عمـران القماش وقـال : ما هذا ؟ هات القـماش الملون بالأزهار .

زكـــريـا : حاضر يا عم عمـران ، ثم جاء بما طلبه وقـال : قطعًا لا تريد أن تدفع أموالاً، عمومًا هو لك بلا مقابل ، أما إذا أردت أن تدفع فهو غال إلى حد ما ٠

ولما كان عمـران يعرف مستوى دخـله الآن قال متظاهرًا بالأغفـة والاستعلاء : لا بـأس أريد من هذا القمـاش إذا كان غاليًا ٠

لاحظ زكريا أن عمران لديه كثير من الأموال ، فقال : إذا شئت أحضرت لك أفضل من هذا !!

عــمــران : أحضر ما تريده ٠٠٠ لقد فلقتنا بأقمشتك .

أحضر زكريا قماشًـا مزركشًا ذهبى اللون ، وبسطه أمام عمـران ، كما أحـضر ذهبًـا وقال : انظر هذا ذهب ، إننى لا أبيع قماشًا فقط وإنما الذهب أيضًا ٠

عــمــران : حـسنًا هذا هـو المطلــوب ، لكنـك تزعـجنا مـثل عساكر البلدية .

أراد زكـريا أن ينتـقل من المزاح إلى الجـد ، فـقـال : مبروك كم من الأمتار تريد؟

المتر بتومانين وعشرة ريالات ، كم مترًا أقطع لك ؟

عــمــران : لا أدرى ، أريد ما يكفى لباس فرح للعروس .

زكـــــريـا : هل تريد ما يغطى وجهها ؟

عـــمـــران : نعم ٠٠٠ نعم الأفضل هكذا .

أحضـر زكريا مـا أراد عمـران وقطع ما يكفى قـائلاً : مبروك .

عـــمـــران : سلمت يداك ، ثم دس يده فى جـيبه وأخـرج منه قطع الذهب والفضة وألقاها أمـام زكريا قائلاً : ماذا تريد ؟ أنت أخ .

تعجب زكـريا من موقف عمران ، وحـملق فى النقود قائلاً : أظنك تعجن الخبز من الذهب!!

عـــمـــران : لا ، بل هى نقود العريس .

اضطرب زكـريا قـائلاً : هل جاء اعـتـمـاد السلطنـة ليتزوج ابنتك ؟

عـــمـــران : انتظر حتى موعد المفاجأة

وأخذ عـمران الأقمـشة وخرج مـن المحل وسط دهشة زكريا الذى ظل يحدقه حتى بعد خروجه من المحل.

فى بيت عمران

اشترى عـمران احتياجـاته ثم رجع إلى البيت ، وصل إلى باب الحديقـة ، أخرج مفتاحـه الكبير من جـيبه ، وفتح قفل باب الحديقة ودلف إلى البـيت وحمل متاعه وذهب إلى حجرة طاووس فى زاوية الحجرة وكانت قد جلست قـريبة من مـصبـاح الكيـروسين تقلب بملعقـة

الطعام المطبوخ ، وقعت عيناها على أبيها الذى جاء بمشترياته . . .

طـاووس : سلام بابا .

عـمـران : سلام طاووس حبيبتى ، كيف حالك بابا ؟

طـاووس : الحمد لله بابا ، أين كنت ؟ لقد صاح الناس : إما أن تغلقوا المخبز نهائيًا أو تفتحوه باستمرار، ما هذا الوضع الذى تتركون فيه الناس هكذا ؟

عـمـران : اتركيهم يصيحون ، إن الإنسان لا يستطيع أن يظل خبازًا.

طـاووس : ماذا اشتريت بابا ؟

وضع عمران المشتريات التى ربطها فى صرة على السرير وقال : أشياء تافهة فلم تهتم طاووس كثيرًا ، وفكرت فى نفسها أنها سوف ترى هذه الأشياء فيما بعد عندما يكون لديها وقت ، وقالت: سوف أجهز الطعام.

عـمـران : ماذا طبخت؟

طـاووس : " فتة " بالبيض.

عـمـران : ما هذا ؟ كان المفروض أن تطبخى طاووسًا أو طهيوجًا أو " قرقاول(١)

طـاووس : انتظرت كثيرًا حتى أمسك بطاووس فلم استطع ، وأمسكت " قرقاول" لكن أمى جاءت وأخذته .

(١) قرقاول : طائر له ريش ملون براق لحمه لذيذ .

ضحك عـمران الذى كان عطوفًا فـوق العادة ، وخلع ملابسه، ثم دخل إلى الحديقة فسحب دلو ماء من البئر ، وغسل يديه ووجهه ، وفى أثناء عودته إلى الحجرة رأى " حمـيد " ينظر إلـى البيت من فـوق الجدار فغـضب وصاح بصـوت مرتفع إذا رأيتك مرة أخـرى سأشكوك إلى الشرطة ، أغرب عن وجهى ٠

خجل حميد من عمله ، لكنه تنبه إلى ما قاله عمران ، فرجع إلى غرفته مستغرقًا فى التفكير٠

فتح عمران باب الغرفة ودخل٠

طـــاووس : مع من كنت يا بابا؟

عــمـــران : قولى لعـمتك إذا نظر هذا الجحش إلى بيتنـا مرة أخرى لأكســرن أنفه لم تنبس طـاووس ببنت شفـة، إذ كانت مشغـولة بتجهيز الطعام والشـراب على السفرة ، وهى ناظرة إلى الأرض من شدة الحياء ٠

وكـان موسى جـالسًا فى زاوية من الحـجرة مـشغـولاً بواجب الخط ، حينما ذهب عمران وجلس إلى السفرة فى شدة الغضب ، وصـاح على موسى قـائلاً : تعال يا موسى إلى السفرة ، وأترك المذاكرة الآن ٠

مـــــوسى : لحظة يا بابا حتى انتهى من هذه الصفحة

ازداد غضب عـمران وقال بضيق : أقـول لك تعال إلى السفرة لا أريد أن تكتب نقطة واحدة ٠

وجلست طاووس متألمة بل مرغـمة على السفرة ، لأنها لم تكن تتوقع ذلك الموقف من أبيها تجاه حميد٠

أخذ عـمران خبـزاً وقطعة فى طبـقه ، ثم أخذ ملعـقة وشرع فى تناول الطعام ، أما موسى فلم ير ملعقته التى كانت بجوار طبقه ، فنـظر إلى طاووس غاضبًا وقال : أين ملعقتى ؟

ولما كانت طاووس متضايقة، أخـذت ملعقته من جانب " البوتاجاز "ورمتها ناحـية موسى ، وقالت له : تعال . غضب موسى من سلوك طاووس وقال لها : حمارة فـردت طـاووس دون أن تعـرف مـا الـذى تقـوله : أنت حـمار وأبوك ، غـضب عـمران ونظر شـزرًا إلى طاووس.

طـــاووس قائلاً : جميـل جـدًا يا بـابـا أتشـتمينى أمـام عينى ألا تستحين ؟

انتبهت طاووس وعـرفت ذنبـها ولـكنها أشـارت إلى موسى دون أن تعـتذر لأبيهـا وقالت : انظر مـاذا قال عندما لم يجد الملعقة !!

ولما رأى عمران الأوضاع والأحوال غـير مناسبة لم يرد أن يتكلم فى الموضوع الجديد ثم قال : على أية حال ، كلوا طعامكم ، وأتركونا وسوف نرى ما نأكل.

سكت الجميع ، أكلوا لقيمات فى سكوت تام ، ثم قال عمران : يا موسى ...

مـــــوسى : نعم يا بابا ... لقـد أخـجـلتنى اليـوم أمـام زملائى فى المدرسة .

لم يهتم عمران بكلامه . . . وقال لقد أكلت طعامك ، الآن سوف أرسلك إلى المدينة .

موسى : لماذا المدينة يا بابا ؟

عمران : اذهب إلى بيت عمك إبراهيم .

موسى الذى يحب عمه إبراهيم ، وكان يسعد بذهابه إليه ، تبسم وقال : وحدى ؟!

عمران : نعم ، سوف أركبك " الحنطور " وينزلك السائق أمام المدرسة .

موسى : وماذا أقول لهم ؟

عمران : قل لهم ، تعالوا عندنا لتأخذوا طاووس .

كانت طاووس مشغولة فى تناول الطعام ، وعندما سمعت هذا الكلام رفعت رأسها متعجبة ونظرت إلى أبيها قائلة : يأخذوننى ؟!

عمران ناظرًا إليها : نعم يأخذونك .

طاووس : ولكن عمتى لم تقل لى شيئًا ، أين هم ؟ وأين العقد ؟

عمران : لا تذكرى اسم عمتك مرة أخرى ، فهناك شخص آخر طلب يدك .

سألت طاووس متعجبة : من يا بابا ؟!

عمران : مالك أنت أيها الفتاة الشريرة ؟! ما شأن البنات بهذا الكلام ثم مكث قليلاً وقال : سوف تعرفين كل شىء .

ارتعدت يد طاووس وسقطت الملعقة ، ونظرت إلى الأب مستغربة متألمة .

عـمـــران : اذهبى إلى الرحى واطحنى القمح ·

لكن طاووس لم يكن لديهـا القدرة على القـيام ، ولا الرغبة فى الذهاب إلى الرحى لطحن القمح ·

فى الشارع

أخذ عمـران بيد موسى ، وانطلقا إلى مـحطة العربات التى تذهب إلى المدينة سالكين طريقًا محفوفًا بالأشجار العالية العتـيقة ، كانت السيارة مليـئة بالمسافرين إلا أن مكانًا يتسع لشخصين كان ما زال فارغًا ·

كان الحوذى قـصير القامة ، سـمين الجسد يضع منديلاً حول عنقه وكان ينادى : المديـنة · · · المدينة شخصان فـقط ، تعـالى إلى المدينـة ووقـعت عـيناه على الأب والابن فقـال لهمـا : المدينة يا سيـدى ؟! اركبـا حتى ننطلق ·

اقترب عمران من الحوذى قائلاً : لن أذهب أنا ، ولكن ابنـــى سيذهـــب ، وعليـــك أن تنزلــه أمـام مدرسة " باقر خان "

ثم وضع يده فى جيبه وقال : كم الأجرة ؟

الحـــوذى : مائة ريال ·

عـمـــران : خذ أجرة الاثنين وانطلق ولا تعطل نفسك ·

الحـــوذى : على عينى،وألقى النقود فى جيبه وأركب موسى بيده ، ثم قفز وجلس علـى مقدمة العربة ، وضـرب الحصان

بالسوط قائلاً : هه هه هيا " شي " يا حصان .
قام موسى فودع أباه ملوحًا له بيده ، فبادله والده التحية ، وأشار إليه أن اجلس حتى لا تسقط .
أخذت العجوز التى كانت جالسة إلى جوار موسى بيده وأرغمته على الجلوس قائلة له : اجلس يا ولد حتى لا تسقط .

فى المدينة

توقفت العربة أمام مدرسة باقر خان ، ونزل الحوذى حتى ينزل موسى ، قائلاً له بعد أن أنزله من يده :
حسنًا ، هل تحتاج إلى شيء آخر .
موسى : لا ، متشكر جدًا .
مضت العربة ، واتجه موسى نحو المدرسة ، وكانت هذه هى المرة الأولى التى يأتى فيها موسى وحده إلى المدينة ، وكان آخر مرة قد أتى فيها مع أسرته منذ ستة أشهر رفع الولد رأسه من فوق الجدار ليخوف موسى ، فخاف موسى وتراجع خطوتين فقط .
تقدم الولد وقال لموسى : من أنت حتى أضربك ، أنت لست تلميذًا فى هذه المدرسة فلماذا جئت إلى هنا ؟
جاء ولد آخر كان فى الفناء وقال : لا تقل له شيئًا لأنه من أقارب السيد " فراشة " فقال آخر : آه مبروك سوف تدخل مع السيد فيما بعد .
وجد موسى الجو ملائمًا للفرار ، فاتجه إلى غرفة عمه إبراهيم وكان الباب مفتوحًا وكانت زوجة

عمه عصمت هانم عندها خـياطة ، فإذا ما رأت موسى قامت وعانقته·

مـــوسى : السلام عليكم يا زوجة عمى·

زوجـة العم : وعليكـم السـلام ، أهـــلاً وسـهـلاً،أيـن بابا وأين طاووس ؟!

مـــوسى : جئت وحدى·

فتـعجبت زوجـة العم وقالت : وحـدك ؟ ولماذا جئت وحدك أصلاً ؟

اتخذ موسى دور الرجل وقال : المسـألة تتعلق بالرجال ولابد من طرحها على عمى إبراهيم لم تكن زوجة عمه تنتظر منه هذا الكلام فقـالت : صرت الآن غير مـحرم لك يا موسى ·

وضع موسى يده على رأس زوجة عمه قائلاً : بل أقول لك أيضًا ولكن بشرط ·

زوجـة العم : اجلس يا موسى ، انـت مـتـعب ، سـوف أصنع لك " شاى " .

مـــوسى : أنا جوعان والأفضل ، أن تصنعى لى طعامًا .

زوجـة العم : عينى، اجلس وسوف أصنع لك بيضًا يا موسى حالاً ·

مـــوسى : سلمت يداك·

زوجـة العم : حسنًا يا موسى أريد أن أعرف شرطك أولاً·

مــــوسى : الشرط أننى أحب هذه المدرسة وأريد أن أدرس فيها ·

زوجـة العم : موسى حبيبى ، هذا ما أطلبه من الله ، لأننى لم أنجب ولدًا وهذه فرصــة ذهبية ، قــيل للأعمى : مــاذا تتمنى من الله ؟ قال : فتاة حسناء·

ضحك موسى وقال : وأنا أصـبحت(حسناء) أيضًا ، لم أكن أعـرف ، أين عـمى إبراهـيم ؟ ثم قـام ولبس حذاءه حتى يبحث عن عمه إبراهيم·

زوجـة العم : عمك فى الغرفة الثالثة ، هناك يعاقب بعض الأولاد ·

مــــوسى : لماذا لا يدرس هؤلاء الأولاد ويذاكرون حتى لا يعاقبوا؟

زوجـة العم : موسى ! لماذا لم تقل لى الموضع ؟

مــــوسى : اصبرى سوف أقول لك·

زوجــة العم التى لم تنجب أولادًا والتى كـانت تسعــد بمجىء موسى كانت تتحسر عندما تراه جميلاً لطيفًا ·

دخل مـوسى إلى الفناء وفـتح الحجـرات الواحـدة تلو الأخرى فســمع صوت بكاء فى الحجرة الثـالثة يقول : لقد أخطأت يا سـيدى ، سوف أعمل واجبـاتى ، لقد أخطأت فدخل موسى الغرفة التى كانت

مخصصة لعقاب الأولاد حيث كانت يرقد المعاقب على الأرض رافعًــا رجليــه عن الأرض حيث توجـد خشـبة مربـوطة بالحبل فـتوضع هذه الخـشبـة بين رجلى الولد المعاقب ثم يربطون رجليه فى الخشبة ثم يضربون رجليه بالسـوط حـيث يأخـذ العـم إبراهيم بطرف الخـشـبـة

والشخص الآخـر بطرفها الآخر ، وكـان هناك مدرس يضرب الولد على رجليه بالعصا .
شاهد مـوسى هذه الطريقة في العـقاب في مدرسـته ، لكنه لم يعاقب بهـا حيث إنه تلميذ نجـيب ، لكنه كان يعاقب بسـبب كـذبه ، لكنه كان متقـدمًـا على زملائه في المذاكرة .
عندما شاهد العم إبراهيم موسى أشار بيده اليسرى إلى المعلم حتى يصفح عن الـولد ويكف عن ضربه قائلاً : اصفح عنه .
انتهى المعلم من الضرب احترامًا لهذا الضيف الصغير ، ثم ترك إبراهيم الخـشـبة ونظر إلى مـوسى بوجـه باش طلق .
مـــــوسى : السـلام عليك يا عـمى ثم نظـر إلى المعلم والشـخص الآخر قائلاً : السلام عليكم يا سادة .
رد المعلم على مـوسى السـلام ثم خرج من البـاش ثم ساعد الشخص الثالث موسى حتى ينهض من مكانه .
اتجـه العم إبراهيم نحو مـوسى قـائلاً : حبـيبى كـيف حالك يا بابا ؟
أين بابا وطاووس ؟ وكيف عمتك وبقية الأقارب ؟
قام الولد المعاقـب من مكانه إلا أنه لم يكن يستطيع أن يسـير على قـدميـه من شـدة الألم وكان يبكى بشـدة فجلس على الأرض وأثر الضرب بادٍ على رجليه .

أخذ إبراهيم موسى من يده ثم خرج به من الغرفة وقال موسى لعمه إبراهيم فى الطريق : هل أستطيع أن أدرس فى هذه المدرسة يا عمى ؟

العم إبراهيم: اشـرح لى أولاً سبب زيارتك خـبرنى عن أحـوال بابا وطاووس وهل أتيتم جميعًا أو أتيت وحدك ؟!

بل جئت وحدى ·

مـــوسى : فسأل إبراهيم متعجبًا : وحدك ، كيف؟

أرسلنى أبى ·

مـــوسى : هل يريد شيئًا ؟

إبـراهـيـم : نعم ،قال تعالوا مع زوجة عمى حتى تأخذوا طاووس ·

مـــوسى : حسنًا ، مبروك ولكن عمتك غير مستعدة الآن ·

إبـراهـيـم : لا يا عمى إن أبى قد زوج طاووس من شخص آخر ·

مـــوسى : مندهشًا : زوجها بمن ؟

إبـراهـيـم : لا نعرفه ، ولم نره ، وكان بابا فى شدة الغضب ·

مـــوسى : لماذا ؟

إبـراهـيـم : لقد صـاح فى طاووس صيحـة ، كادت على إثرها أن

مـــوسى : تبتلع الملعقة مع الطعام ·

دخـل إبراهيم ومـوسى إلى الـغرفة ، فـقالـت زوجة العم : اجلس يا موسى لقد برد الطعام ·

وكانت عـصمت هانم قد طهت بيضًـا ثم وضعت طبق البيض مع الملح والماء والخبـز وكذلك طبقًا من الزبادى على الصينية ·

جلس موسى وبدأ يأكل ...

نظر إبراهيم إلى عصمت هانم ظانًا أنها تعرف كل شيء وقال : ما الحكاية بالضبط ؟

عصمت هانم : لا أدرى لم يقل لى شيئًا وعندما سألته تركنى دون أن يقول لى شيئًا .

موسى : هل تسجل اسمى فى هذه المدرسة يا عمى ؟!

إبراهيم (يحدث عصمت هانم) : يقول إن عمران قد زوج طاووس بشخص آخر .

عصمت هانم فى دهشة : شخص آخر ، ولماذا ؟

إبراهيم : لا أدرى ، وكذلك موسى لا يعرف .

فى القرية

فتحت طاووس حقيبة الأقمشة متكاسلة ودون رغبة أو حماس ونظرت إلى بعض المجوهرات والأقمشة التى اشتراها لها أبوها وكانت متكئة على الجدار تفكر فى مستقبلها الذى لا تعرف عنه شيئًا ، بل إنها لم تستطع أن تفكر أيضًا حيث أظلمت الدنيا بل اسودت فى عينيها .

وكان عمران مشغولاً فى مخبزه وكانت إحدى زبائنه فتاة يعرفها من قبل إنما سلاّمة التى توفى عنها زوجها وكان عمران قد تزوج بها مرتين زواج متعة دون أن تعرف طاووس .

سـلاّمـة : السلام عليكم أيها الخباز.
عـمـران : (بحـرارة شديدة أكـثـر من ذى قبل) وعليكم السلام يا سلاّمة هانم.
سـلاّمـة : الحمـد لله ، كيف أنت ؟ وهـل تعمل وحـدك؟ كيف حال طاووس ؟ وأين موسى ؟
ترك عمران الخـبز واقترب من سلاّمـة قائلاً لدى بشرى سارة لسلاّمة هانم.
سـلاّمـة في دهشة : قل لى ما هى ؟
عـمـران : اسمـعى جيـداً ما أقـوله لك نظرت سلاّمـة إلى الفرن وقالت : لقد احترق خبزك.
عـمـران : اتركى الخبز دعك منه واصغى إلى.
سـلاّمـة : كلى آذان صاغية ، تفضل يا خباز.
عـمـران : فرح طاووس فى الليلة بعد القادمة.
سـلاّمـة : حسنًا مبروك ، سوف تزف لحميد ؟
عـمـران : لا بل لرجل ثرى لا يسكـن هنا ، هو تاجـر ذو مكانة كبيرة إلا أنه عجوز بعض الشىء.
سـلاّمـة مندهشة : ولماذا الرجل الغجوز ؟
عـمـران : لا تكثرى من الكلام.
ولما كـانت سـلاّمـة لم تنتظر منه مـثل هذا الجـواب ، نظرت إلى الفرن فوجدت أن الخبز قد احترق بالفعل ، فقالت له مبتسمـة لقد احترق خبزك ، انى حزينة على الخـبز المحـتـرق فـى حـين إنـك لم تحـزن على قلب ابنتك !!

أراد عمـران أن يقاطع سلاّمـة ، فأدخل يده فى جيـبه وأخرج قطع الفضـة وأعطاها لسلاّمة ، فمـدت سلاّمة يديها وأخذت النقود وفرحت ٠

وقـــالت : حسنًا ، والآن ما هى مهمتى ؟!

عـــمــــران : ليـست مهمـة صعـبة ، هى أن تحـاولى إقناع طاووس بقـبول هذا الزوج وأن تـقول للرجل عنـدما يأتى إنهـا موافـقة عليه زوجًـا لها (وبعد صـمت قليل) وإن لم تقل هى نعم ، قولى أنت بشكل أو بآخر ٠ ٠ ٠

ضحكت سـلاّمة وضـربته على وجـهه مـلاطفة إياه ، وقالت : يا ويلتى كم مرة أقول نعم ؟!

عـــمــــران ممازحًا : لا يحدث شىء لو قلت نعم ٠

ســلاّمــــة : ضاحكة :لو عرف الناس ذلك، كان ذلك شين علىّ ٠

عـــمــــران : ويل لك ، لـيس هناك أى عـــيب أو شـين ، بل إنك سوف تشـترين بيـتًا جـديدًا بهذه الأمـوال ، وتكونين شخصية أخرى٠

نظرت سلاّمة إلى النقود وقالت:هناك مـسافة كبيرة بينى وبين شراء البيت الجديد بهذه النقود ، فدفع عمران يده فى جيبـه وأخرج عملتين أخريين من الفـضة وأعطاهما لسلاّمة ٠

فسـعدت سـلاّمـة بالنقـــود وقــالــت : سلمت يداك أيها الخباز٠

ثم قبضت النقود فى يدها قائلة: قلت ليلة بعد الغد ؟

عمران : نعم ولكن عليك أن تأتى مبكرة ، وحاولى أن تقنعيها حتى تدرك أنها سوف تكون سعيدة إلى آخر عمرها ، ويكون عندها الخدم والحشم .

همت سلاّمة بالعودة إلى بيتها ، إلا أنها تذكرت أنها لم تأخذ الخبز ، فرجعت وقالت : لم آخذ الخبز ، فأعطاها عمران ثلاثة أرغفة فضحكت ،ثم عادت إلى بيتها.

صباح بعد غد

كان عمران نائمًا على السرير فى الفناء وقد غطى وجهه باللحاف وكانت طاووس نائمة نومًا عميقًا فى غرفتها بالطابق الثانى فبعد أن شاهدت هذه الأقمشة والمجوهرات وضعت رأسها بجانب اللحاف والمراتب وذهبت فى سبات عميق... أما الغرفة فلم تكن مرتبة حيث إن المائدة التى كانت بسطتها للغداء كانت ما زالت مفروشة وتجمع النمل فى فناء البيت حول القمح،ونام عمران ليلة الأمس فى فناء البيت دون أن يعرف شيئًا عن طاووس طرق طارق باب البيت ففتحت طاووس عينها وكذلك رفع عمران رأسه من السرير ولم يكن هناك أحد ، فنادى : طاووس

سمعت طاووس نداء أبيها إلا أنها لم تأخذه فى بالها، ولم تتحرك من مكانها ، فطرق الطارق ثانية ، فقام

عمـران واتجه نحو الباب كـالنائم ، وقال : لحظة سوف أفتح الباب.

كان أمام الباب إبراهيم وعصمت ، وكان موسى مختفيًا خلفهما .

عـمـــران : أين موسى ؟

لم يرد إبراهيم ولا موسى بل دخـل إبراهيم إلى البيت وكذلك موسى من خلفه قائلاً : السلام عليكم يا أبى.

عـمـــران : كان من المفروض أن تسلم على ثلاث مرات، مرة لك ، ومرتين بدلاً من عمك وزوجته.

زوجـة العم غاضبة : نحن سلمنا ولكننا لم نسمع ردًا.

عـمـــران : لا بأس لقد هبت الرياح على السلام فلم نسمعه.

إبـراهـيـم : ماذا حدث ؟ كيف زوجتها؟

استـقـبل عمـران الضـيوف وسـار نحو السـرير إلا أن عصـمت هانم اتجهت نحـو الغرفة مـباشـرة ، وما أن فتحـت البـاب وشـاهـدت طاووس حتى انخرطـت فى البكاء .

فأسرعت عصمت هانم إلى طاووس وبدأت تسألها عن أصل القصة.

كانت طاووس تنتـظر مثـل هذه الفرصـة ، فارتمت في حضنـها باكـيـة بشـدة ، فـلم تستطع عـصمت هانم تحـمل المـوقف وبدأت فى البكاء واضـعة رأسـها على رأس طاووس .

كان عمران جالسًا مع إبراهيم فى فناء البيت ، فالتفت إلى ابرهيم قائلاً: هى ابنتى وأنا أدرى بمصلحتها ، إنها سوف تتمتع بالأموال والخدم إلى آخر عمرها ومن أجل هذا سوف أزوجها من شخص آخر ، وقلت فى نفسى لابد من أن أخبركم حتى لا تقولوا إننى زوجتها دون علمكم .

إبراهيم معترضًا : لاشك أن الموضوع لا يخصنا ، لكن حديثنا مع حميد قد وثق العلاقة بينهما ... لم يكن إبراهيم منتظرًا الجواب لأنه يعرفه وغير مقتنع به ، ولا يرى جدوى من طرح وجهة نظره ولهذا قال: لا بأس الاختيار اختيارك ، لأنك والدها ،ولا نستطيع أن نتدخل فى شئونك ، وأتمنى لها السعادة ، لكنك ليتك أخذت رأى ابنتك فى هذا الموضوع !

عمران : ليس للبنت حق التدخل فى مثل هذه الأمور ، هل يمكن أن تستشير ولدك ؟

ارتفع صوت إبراهيم وعمران ، فسمعتهما اختهما «سودة» التى كانت تنشر الملابس على الحبل ، فعرفت صوت إبراهيم وقالت: حميد هذا خالك إبراهيم .

كان حميد مشغولاً بالفطور ناحية الجدار ، فانتبه لكلام أمه ، وقال لابد أنه حدث شىء ، وقال لأمه : اذهبى هناك حتى تعرفى ما الحكاية بالضبط .

سودة : ناولنى خمارى .

فذهب حميد بسرعة خاطفة إلى الغرفة ، وأحضر الخمار ، وساعدها فى لبسه ، حتى يعرف ما يجرى هناك ، ثم قال : يا أماه أنا أسمع صوت بكاء طاووس

سودة : التى لم تسمع شيئًا : أكيد ؟

حميدة نعم أنا متأكد ، هى تبكى بصوت مرتفع ·

خرجت أم حميد من البيت بسرعة ، ودقت باب بيت عمران · · ·

كان موسى قد تأخر عن مدرسته ، فصعد مسرعًا حتى يأخذ حقيبته ، إلا أنه سمع صوت بكاء طاووس ففتح الباب ورأى طاووس وقد وضعت رأسها على فخذ عصمت هانم وهى تبكى بصوت عال ، وهى تقول : يا أمى · · · يا أمى · · · وكان موسى لا يحب لفظ الأم ولكنه عندما رأى أخته على تلك الحال ، ارتعش ونسى الكتب والمدرسة ، وجلس خلف الباب حزينًا قلقًا ·

طاووس : لو كانت أمى موجودة لما أصبحت هكذا·

دمعت عينا موسى أيضًا ، حيث فقد أمه وهو ابن سنتين ، لم يبك على أمه كثيراً ، لكنه بكى هذه المرة بغزارة المطر ، وكلما سمع طاووس تقول : يا أماه كان يقول هو أيضًا : يا أماه ·

قام إبراهيم حتى يفتح الباب إلا أن عمران كان يعرف من الطارق ، لأن سودة تأتى عندما تسمع الأصوات

المرتفعة حتى تطمئن . فتح إبراهيم الباب فوجد أخته ، وكانت سودة تعرف أن المسألة تتعلق بطاووس ، وقد عرفت هذا من غضب عمران على حميد بالأمس ·

سودة : السلام عليكم يا أخى ، وصلت بالسلامة ؟!

إبراهيم : وعليكم السلام يا أختى ، كيف حالك ؟

سودة : متشكرة ، ما الحكاية ؟

صاح عمران من مكانه قائلاً : مهما يكن من أمر ، فالموضوع لا يتعلق بك ·

سودة : يبدو أنك تغيرت فى هذه الأيام ، وصرت تعترض على كل شىء ·

عمران : هل اعترضت عليك ؟

سودة : بل غضبت على حميد بالأمس ، وظل يبكى طوال الليل ·

عمران : هل ربيت ذلك الولد ؟ لماذا كان ينظر من فوق الجدار؟

سودة : لا بأس ، كان متضايقًا فألقى نظرة ، هل فى ذلك من عيب ؟!

عمران : لماذا هو متضايق ؟ قولى له : إن القط قد أخذ اللحم ، فلا يهتم بنا بعد ذلك ·

فانتبهت سودة ، وعرفت أن هناك مكروهًا ما ، ثم التفتت إلى إبراهيم وقالت : ما الموضوع ؟

عمران : الموضوع لا يتعلق بك ·

لم تعرف سودة اهتمامًا لكلام عمران ، واتجهت إلى نحو الغرفة مباشرة ، وما أن وصلت إلى الدهليز حتى

وجـدت موسى يبـكى ، وكذلك عـصـمت هانم التى جلست أمـام طاووس وهى تبكى أيضًـا ، فعـرفت أن مشـروع زواج طاووس من حميد قـد فشل ورغم ذلك لم ترد الاستسلام ، فدخلت الغرفة قبلت عصمت هانم رأس طاووس ورفعتها من حجرها ، فوضعت طاووس رأسها بين السرير والجدار ، فظهرت عيناها الدامعتان ·
التفتت عصمت هانم إلى سـودة وقامت وسلمت عليها قـائلة : السـلام عليكم يا سـودة ، فـعـانقت سـودة عصمت هـانم وقبلتها معـانقة لها وردت عليـها السلام قائلة : مـا الموضوع؟ صحـيح إن أمها قد ماتت، لكن ما سبب البكاء الآن ؟

عـصـمت : لا أدرى لماذا تغير عمران فجأة·

سـودة : تغير رأيه !! عن أى شىء؟

عـصـمت : إنه سوف يزوج طاووس من شخص آخر غير حميد·

تضـايقـت سـودة بعض الشىء ، ومع ذلـك تماسكت وقالت : لا بأس ، لأنه يظـن أن حميـد فقيـر ، ابنته أيضًا فـقيرة هـناك كثيـر من البنات يرحبن بالزواج من حـميـد، بل كـان عليـه أن يحمـد الله على أن ابنتـه ستتزوج من حميد على أية حال من يكون هذا العريس الجديد ؟

عـصـمت : أنا لا أعرف أيضاً،انتظرى حتى أنادى إبراهيم وأسأله ،

خرجت سودة مـع عصمت من الغرفة ونـادت عصمت،

على إبراهيم الذى كان جالسًا مع عمران ،فما أن سمع النداء حتى هب واقـفًا(حيث كان قـد سئم الجلوس مع عمران وكان يريد أن يتركه) واتجه نحو الغرفة ·

عـصـمت : ما الموضوع ؟ (وكان موسى جالسًا بجوار الباب يستمع إلى الحديث)·

إبـراهـيـم : لقد زوج عمران ابنته إلى رجل عجوز ثرى ، وقد أخذ مبلغًـا من النقود مـقدمًا · حـزنت سودة حـزنًا شديدًا على موقف ابنها حميد ، لكنها أرادت أن تبدو متزنة ، ونظر إبـراهيم إلى طـاووس التى كـانت تبكـى وسلم عليها ، فردت السلام ولكنها لم تكن قادرة على القيام احترامًـا لعمها الذى زارتـه قبل ستة أشهـر ، ثم عاود إبراهيم النظر إلى طاووس مشفقًـا عليها وهو يقول فى نفسه : أخ أحمق عديم الإحساس والشعور ·

أما عمران الذى كان جـالسًا فى فناء البيت فكان يعرف أنه سـوف يقع الكثيـر مـن الاعـتراضـات من أعضـاء الأسـرة ، إلا أنه لم يكن يسـتطيع أن يتـرك النقـود ، ويفسخ العقد ، وعلى فـرض أنه فسخ العقد ، فكيف يعوض الجزء الذى أنفقه من المبلغ ··· أضف إلى هذا أن مكانة الملك المنصور عالية جدًا ، ولا يستطيع عمران الوقوف أمامـها ، ولهذا كان الرجوع عن إتمام الصـفقة شبه مستحيل بالنسبة له·

التفتت عصمت لسودة وإبراهيم وقالت : إن الاختيار بيده هو ومهما حاولنا، فلن يرجع عن رأيه، فنتمنى لها السعادة ·

دق الباب ، وذهب عمران ففتح الباب ، فإذا بأحد زبائن الخبز يقول لعمران : لماذا توقفت عن الخبز اليوم أيها الخباز ؟

فاغتنم عمران الفرصة ، فهو لو مكث فى البيت سيستمر الاعتراض وتطول المناقشة ، فقال للمشترى ، اذهب إلى المخبز وسوف آتى لأفتح المخبز الآن ، ولبس ملابسه بسرعة ، وخرج فى إثر المشترى ففتح المخبز ودخل وأشعل الفرن·

أما موسى فقد قام موسى من مكانه ، وأخذ حقيبته ومضى إلى مدرسته وهو جائع ، فالتفتت عصمت إلى موسى أثناء خروجه وقالت له : إلى أين يا موسى ؟

موسى : إلى المدرسة·

عصمت هانم : أنت جوعان ، لابد أن تتناول فطورك ، ثم سكتت لحظة وأضافت قائلة : صحتك ليست جيدة ، الأفضل ألا تذهب·

سودة : يا ويلتى ، أنتم جوعى ، هيا نذهب إلى الفناء لنفطر معًا ، تفضل يا سيد إبراهيم إلى الفناء الآخر حتى نفطر، ثم نادت موسى وقالت : تعال يا موسى إلى الفناء الآخر حتى تفطر ، فلم يلتفت موسى وخرج

من البيت قاصداً المدرسة ، ولكن كان عليه أن يمر من أمام المخبز،وعندما لاح انشغال والده فى تشغيل الفرن جرى سريعًا فى الشارع،وسمع عمران هرولة ، فأسرع إلى الشارع فلم ير شيئًا ، وذهب موسى إلى المدرسة متأخرًا ، كان المدرس مشغولاً بالشرح ، ففتح موسى باب الفصل ودخل رافعًا يده وهو يقول : السلام عليكم يا سيدى٠

نظر المدرس إلى موسى وقال :لابد أن كان لديكم فرح ليلة أمس ، فضحك الأولاد ، وكان موسى يعرف أن المدرس يحبه لأنه ولد ذكى ، ولهذا توجه إلى الأولاد ورد عليهم ردًا عنيفًا ثم نظر إلى المدرس قائلاً : لم يكن لدينا فرح ليلة أمس ، وإنما سيكون ليلة الغد بلا شك ، لقد سقط ريش طاووس ثم رفع يده ، وقال : قولوا للطواويس لا تفخروا بريشكم كثيرًا لأنكم سوف تصبحون فريسة النسور٠

عرف المدرس من كلام موسى أن اسم اخته طاووس ، ثم قال له : لا بأس وكان قد فهم الكثير من كلام موسى لكنه لم يرد طرح المسائل العائلية فى قائمة الدرس فقال له : نتكلم معًا فى هذا الموضوع فى وقت الراحة ٠

لم يسكت موسى عن الحديث وقال للمدرس : ألم تقل حضرتك الحمام مع الحمام والعقاب مع العقاب ٠

قطع المعلم كـلامـه قـائلاً : اسكت نهـائيًـا ، واذهب واجلس فى مقعدك ، فضحك الأولاد مرة أخرى·

سكت المدرس ثم توجه إلى موسى قائلاً : لقد أخللت بالدرس ، عفاريت هؤلاء·

مـــــوسى : آه يا سيدى ، لقد زوجوا الطاووس برجل عجوز

ولما رأى المدرس أن مـوسى سوف يفـضح أسرته أمـام التـلامـيـذ ، أخـذه من أذنه ، وضـربه على رأسـه ، وأرغمه على الجلوس قائلاً له :اجلس خاسئًا ·

مـــــوسى : لقد قال أبى نفس الكلام لطاووس·

ضحك المدرس ، وأخذ الكـتاب وبدأ فى شرح الدرس بلا مقدمات·

الفصل الثانى

حفل الزفاف

استعد الجميع فى ذلك الصباح لحفلة الزفاف ،حيث دعى الضيوف على الغداء فى بيت عمران ، ثم استمرت الحفلة حتى غروب الشمس ٠

نظفت عصمت هانم الفناء، ورشت الماء على الأرض ، وكان هناك قدر كبير على النار فى ركن من أركان البيت، والطباخ يشتكى من أن الخشب لا يحترق جيداً، دخل الضيوف فرادى ، حيث السماط فى زاوية أخرى من زوايا البيت ، والأولاد يلعبون خارج البيت فى الشارع ، فقال أحدهم : العريس عجوز٠

فرد عليه آخر : لو كان عجوزاً ، فهذا يدل على أن العروس هى الزوجة الثانية انتشر الأولاد فى الشارع ،٠ وجاء الجيران إلى بيت عمران ودخلت سلاّمة فقال لها عمران - الذى كان يتمشى فى الفناء - اتحضرين الآن ؟

سلاّمة : لو جئت مبكرًا لعرف الجميع أن هناك خطة ، لأننى لست من أقارب العروس.

عمران : لا بأس ، اصعدى ، وتدبرى الأمور حتى لا تفشل الأمور.

سلاّمة : لا تقلق أيها الخباز ، فأنا مستيقظة.

عمران : حسنًا ، اصعدى .. الغرفة على يدك اليسرى.

ودخل المأذون العجوز ومعه شخص آخر ، وسلم على عمران.

عمران : وعليكم السلام ، تفضل اصعد إلى الغرفة التى على اليمين.

المأذن العجوز : يا الله ، يا رب.

سلاّمة : تفضل ، اصعد إلى أعلى

وكانت عصمت وسودة وبعض البنات فى الغرفة مع طاووس ، ثم جاء الملك المنصور مع أربعة عشر جملاً وخلفهم ضيوف كثيرون ، وربطوا الإبل خارج المنزل تحت الأشجار - وأمر الملك المنصور - رجلاً عجوزًا أن يحرس الإبل وكان يدعى " هيبت " ثم دخل بقية الضيوف إلى البيت ، وكان مع الملك المنصور ثلاثة من النسوة اللائى يختلفن فى ملامحهن عن نساء هذه الديار ، ملابسهن تشى بأنهن من بلو شستان ، أرشدهن عمران إلى غرفة النساء توقف الضيوف الذين دخلوا من قبل عن الرقص والضرب بالدف ، وخرجوا يستقبلون الضيوف الجدد.

جلس مرافقـوا الملك المنصور مع الضيـوف والجيران ، وصـعـدت النساء الـثلاثة ، ودخلـن غرفـة النسـاء ، وشاهدن سودة أم حميـد وهى تخرج من الغرفة ونزلت أمام عمـران وذهبت إلى بيتها ،ووجدت حـميداً يبكى فقالت له : قم ، إن الرجل لا يبكى ، هل هناك قحط فى النساء؟

إن شئت زوجتك غـداً ؟! قم واخرج من البيت لأنه لا يصح أن تكون فى البيت اليوم ·

خـرج حمـيد من البـيت فرأى الإبل التى كـانت تحت الأشجار تأكل العشب وأمـامها طفل جالس يقلدها فى الأكل ، وتحريك الفم · · ·

نظر حميد إلى الإبل وقال فى نفسه : انظر يا حميد إن الإبل تسخر منك ، ومضى حميد إلى الصحراء والجبال يبكى حـيث تخيل أنـه هو الجالس بجـوار طاووس فى غرفة عقد النكاح ، وأن عصمت هانم زوجة العم تقدم لهمـا دجاجة مـشوية مع الأرز والزبادى ، وأن المأذون الذى يعقد العقد يقول : أوكلتنى ؟

ونظرت طاووس إلى حـمـيـد وقالت : أرد ؟ فـأشـار حميد بأصابعه الثلاثة حتى تنتظر أن يقول المأذون ثلاث مرات ثم ترد هى ، فكرر المأذون ثم قال فى المرة الثالثة : أوكلتنى ؟ فقالت : نعم

انتبه حـميد وعرف أن كل ذلك كان فى خـياله ، وكان الملك المنصور جالسًا بجـوار طاووس فى غرفة العقد ، وكانت النساء البلوشيات اللائى جئن معه يشاهدن عقد الزواج بينما تتحدث عصمت مع سلاّمة .

قال المأذون متسائلاً : أوكلتنى؟

تحيرت طاووس ولـم تعرف ماذا يجرى حـولها ، وقرأ المأذون الخطبة مـرة ثانية ، وظهـر عمران بجـوار الباب ونادى : عـصمـت هانم . . . عصـمت هانم قـامت عصمت هانم وذهبت إلى الباب ، ولأن عمران لا يرى ضرورة فى وجـودها بجوار طاووس فى أثناء العـقد ، قال لها أريدك فى أمر .

وللمرة الثالثة : وعندما خـرجت عصمـت هانم ، قال المأذون لطاووس هل قبلت العريس؟ ولما رأت سلاّمة أن طاووس متحيرة ، غمـزتها بإصـبعـها وقـالت لها قـولى : نعم ، فظنت طاووس أن أحدًا يناديهـا فقالت : نعم فكررت سـلاّمة لفظ نعم بصـوت عـال ، فظن الموجـودون أن طاووس قـالت نعم مـرتين ، فـصـفقين وصـفق الضـيـوف ، وصفـقت سلاّمـة ، وكذلك طاووس التى أفـاقت من حيرتها العـميقة ، فعرف من بالخـارج ما حدث عندما سمعوا التصفيق ، وارتفع أصوات الطبل والناى .

سـمع حمـيد الذى كـان جـالسًا على صـخور الجـبل أصوات الناس فبكى على حظه الأسود واقترب إبراهيم

من عمـران قائلاً : إلى أين يأخـذونها ، فـرد عليه : سأجيبك فيما بعد الناس فرحون ، يرقصون ويعزفون ، وجلس الضيوف على مائدة الغداء قرب وقت العصر ، وما ان انتهى الفرح حتى استعد المنصور ورجاله للرحيل ، فقام المنصور وقامت خادمتاه، فأخذتا بيد طاووس لتسير مع المنصور.

واختفى موسى الذى لم يكن يحب منصور تحت السرير فى الفناء ، وأخذ يقـذف المنصور بالحـجارة ، وتظاهر المنصور بالتحامل لأنه يريد ألا يفضح أمره بالبحث عن مصـدر الحجـارة ، لكنه أسرع بالخروج من المـنزل قبل طاووس ، وجاء عمران إلى جانب طاووس ليهمس فى أذنها : لا تقلقى يا بنيتى ، سوف تسعدين كثيراً ، لقد وصلت إلى المال والنـعيـم وسـوف تنسين كل شىء ، سـمـعت طاووس كـلام أبيــهـا دون أن ترد عليـه ، وخرجت من البيت وسط النسـاء البلوجيات ، إلا انها لم تكن تستطيع القيام على رجليها لشدة الحزن والكمد الذى أصـابها فى تـلك الأيام الأخيـرة، ولهـذا فإنهـا سقطت مـغشيًـا عليها بعـد خروجهـا مباشـرة ، وقد شاهدت عـصمت هانم سقوط طاووس التى كـانت قد استندت على الجدار فى داخل البيت.

أما عمران فلم يشاهد إذ كان مـستنداً على الجدار غارقًا فى التـفكير، وعندمـا شاهدت عـصمت هانم سـقوط

طاووس نادت دون تفكير : يا أم طاووس سمعت طاووس صوت أمها ، لأن روح أم طاووس قد حلت في بدن عصمت هانم التي كانت تصرخ ، فالتفتت طاووس حتى ترى أمها ، ولكنها لم ترها ، بل رأت عصمت هانم تصرخ .

أخذت خادمات الملك المنصور بيد طاووس إلى هودجها قبل أن تصل إليها يد عصمت هانم ، وأشار الملك المنصور إلى الركب أن يبدأ الرحلة ، وجاء حتى يقبل عمران فوجده متغيراً ونافراً منه ومن نفسه ، فركب الملك المنصور وانطلق ، وكان الضيوف قد اصطفوا أمام باب البيت ، ووقف إبراهيم أمام عمران ونظر إليه راثيًا لحاله السيئة وقال له : تبًا لك ، فخاف عمران من إبراهيم .

انطلقت القافلة ، وقال إبراهيم لزوجته هيا ننطلق ، فعرفت عصمت أن إبراهيم لا يريد البقاء في بيت عمران ، فذهبت تلملم أغراضها ، فخرج موسى من تحت السرير مخاطبًا عمه إبراهيم : إلى أين يا عمي ؟ سوف أجيء معكم ، هل نسيت وعدك لي ؟!

إبراهيم : لم أنس وعدي ، ثم التفت لعصمت قائلا : لقد ذهبت طاووس ويبدو أن الرجل (عمران) سوف يتزوج ويبقى موسى مثل الشوكة أمام عينه ، نأخذه معنا .

لم يعلق عمران على هذا الكلام ، واستغل موسى

الفرصة وذهب إلى الغرفة حتى يأخذ كتبه وأدواته ، وكذلك أخذت عصمت حقيبتها فى يد وأخذت موسى فى يدها الأخرى ، وخرجوا جميعًا مع إبراهيم من البيت وأغلقوا الباب على عمران فى الداخل ·

نظرت عصمت إلى السماء قائلة : لقد دخل الليل ، ولن نستطيع أن نعود إلى البيت ·

إبراهيم : صحيح لقد حل الليل ، والأفضل أن نذهب إلى بيت سودة ، وذهب الجميع إلى سودة ، وطرق موسى الباب ، ففتحت سودة بعد لحظات قليلة ، ودخلوا جميعًا ·

مرت القافلة أمام عينى حميد وهو بين الجبال ، كانت طاووس حبه الوحيد ، وحياة روحه التى أخذها عمران منه لكن طاووس لم تكن طاووس التى عرفها ، لأنها كانت كميت فى جنازة ، مرت من أمام عينى حميد ولم تراه ·

سمع حميد أصوات أجراس الإبل ، ولما مر آخر جمل أمام عينيه ، صار خلف القافلة وكان شريان قلبه قد ربط بالقافلة ، وكلما بعدت القافلة ، اشتد فى السير خلفها ، وكان يغنى بصوته الجميل المحبوب الذى اشتهر به ، لكنه كان يغنى هذه المرة فى عشق طاووس ، كان يودعها ببكاء كمطر الربيع قائلاً :

مهــلاً مهلاً أيهـا القافلة ، فإن روحى مــعكم ، وقلبى يمشى معكم صرت مهجوراً ، وابتعدت عنى ، فحزنت لفراقــها ، وأردت أن أخــفى جرح قلبى ولكنــى كيف أخفى لا يمكن إخــفاؤه ، فاترك الهودج يا قــائد القافلة ولا تسترد دمعها تكاد روحى تتمزق من شدة عشقها ، تبعد من أمامى وأنا أشــعر بمرارة فى قلبى فلا تسأل عن الحياة ، إذ لا حياة بعد فراقها ·

هناك كلام كــثير عن مــفارقة الروح للجــسد ، ولكننى شاهدت مفارقة روحى لجسدى ·

قطعت القــافلة بداية الطريق الجبلى ، وصــوت حمــيد يدوى كــالرعــد بين الجــبــال ، ويبكى بغــزراة المطر ، ويجرى خلف القافلة مسرعًا ·

انتبــهت سودة إلى صوت حــميد الذى وصل إليــها من الجبال وهى جالسة فى فناء البيت مع إبراهيم وعصمت وموسى ، فــعرفت أن حــميد يجــرى خلف الركب ، فقامت من مكانها قائلة : يا ويلتى أن ابنى يسير خلف القافلة ؟! فانتفض الجميع إبراهيم وعصمت وموسى ·

وقالت ســودة : اجلس يا إبراهيم مع عصــمت وسوف اذهب أنا وموسى لنرجع حميد·

إبـراهــيـم : لا يا سودة ،الوقت متأخر بل سأذهب أنا مع موسى ·

عــصــمت هانم : وماذا نفعل نحن ؟ الأفضل أن نذهب جميعًا

· · ·وخرج الجمــيع من البيت متجهين نحــو الصحراء

مـاريين بطريق بين الأشجـار كـما عـبروا نهـراً إلى أن وصلوا إلى الطريق المؤدى إلى الصحـراء وكان الجو بين بين ، والقافلة ترى بصعوبـة ، وقد اظلمت الدنيا تماماً عندما وصلوا إلى حميد وكانت القافلة قد تحركت.

كـانت طاووس تسمع صـوت حمـيـد ، لكنها كـانت تحسب أنها فى حلم ، كما كانت تحلم بحياتها معه.

كانت الظلمة تشتد شيئًا فشيئًا ، وكانت سودة أم حميد تجرى وسط الأحجار بصعـوبة بالغة ، حيث إنها كانت قد لبست حذاءً غير مناسب بسرعة من شدة قلقها على ابنها ، وقد اقتربت من حـميد وهو ينشد آخر بيت من شـعـره قائلاً : " كـان بعـدها كـالشـوكـة فى قلبى "

فصاحت سودة فى الصـحراء : نعم يا بنى إننى احترق أيضاً مـن داخلى ، ثم قالت بكل قـوتها : إن عـمران الذى طعنك فى قلبك طعننى أنا أيضًا ،

أين أنت يا بنى إننى أسمع صـوتك ولا أرى وجهك ، ثم نادى إبراهيم ومـوسى : حميـد ... حمـيد...

فسمع حميد الصوت الذى ينتشر فى الجبال فعرف أنهم جاءوا حـتى يأخذوه مـعهم ... ولكنه قـد يأس من الحياة ، وقد نفر من كل شىء حتى من نفسه ... ثم اتجـه إلى قـمة الجـبل ونادى.. اذهبـوا ... اذهبـوا جميـعًا فأنا لا أريد الحياة ... وسـمع إبراهيم وسودة وعصمت وموسى كلام حميد ...

وتقدم موسى الذى كان يمزح دائمًا مع حميد ويحكى له بعض مشاكلـه - ليقول له بعض مقولاته السابقة لكن الموقف لم يكن مناسبًا فقال له بصوت عالٍ : يا حميد ، العصفورة التى فرت من البلد لن ترجع مرّة أخرى ·

إبـراهـيـم : اسكت يا موسى ، فأنت تزعجه أكثر ·

ســـودة : لا تقل هذا الكلام يا موسى لأنه يجرح أكثر ·

صاح حميد : ارجعوا فأنا لا أريدكم بعد ذلك ، إننى زهدت فيكم ، وأخذ يفـر منهم نحو قـمة الجبل مع أنـه لم يكن قادرًا على المشى ، وكان يصرخ : لقد ماتت طاووس بالنسبة لى ، ومات الجـميع ، ارجعـوا · · · ثم تغيـر صوت حميد وقال وأنا أموت أيضًا ، لقد مات حميد فارجعوا فإننى لا أريد أن أرى أحدًا ولا يرانى أحد ·

صـــاحت سودة : يا حميـد ، طاووس لم تمت بالنسبة لك فهناك طواويس أخرى كثيرة فى العالم ، وقد

اقترب هؤلاء من حـميد،وكانوا على بعد خـمسين قدم ·

كان الجو مظلمًا إلا أن نور القمر كان ينير الجو ·

إبـراهـيـم : حـميـد ، لا تكن أحمق ، هـيا نذهب إلى البـيت ، فصاح حميد : لا تتقدموا ، لا أريد أن أرى أحـدًا بعد ذلـك ، ارجعـوا أنتم ، سـوف أذهب إلى الجبـال والصحراء ، ثم هرب بـسرعة ، وفـجأة ارتفع صوت سقـوط حجر ، وكان تحت قدمى حـميد مكانًا خاليًا · · · فسقط حميـد فى الوادى وكان يستغيث بأمه ،

فتقدم موسى حتى وصل إلـى حميد الذى كان قد وقع بين صخرتـين وأمسك بيده ، فأراد حمـيد أن يخلص نفسه من هذه الورطة ، ولما كان مـوسى غير قادر على أن يتـحمـل وزن حمـيـد ، وارتعد مـن شدة الخـوف والرعب ، صاح : أنا لا استطيع أن أقدم يدى أكثر من هذا ، ارفع نفسك قليلاً يا ابن عـمتى ، وكان إبراهيم قد وصل فمد يده إلى حمـيد من خلف موسى ، ومد حميد أيضًا يده إليه واستطاع أن يقترب من إبراهيم إلى أن لامـست أنامله أنامل إبراهيم ، وعنـدما حـاول أن يمسك بيد إبراهيم عظمت المصيبة على سودة واختلطت أصـوات سـودة وعصـمت ومـوسى وإبراهيم بصـوت الأحجـار التى سقطت من تحت قـدمى حمـيد .... وسقط حـميد الشاب الجـميل مع الأحجـار إلى أسفل الوادى ثم سقطت بعده عـدة أحجار ، وخيم السكوت على المكان وانتظر الجميـع حتى يسمعوا صوت حـميد ... وكان الجميع خائفًا مرتعدًا .... فصاح موسى وعـصمت وسـودة وإبراهيم فى صـوت واحد حـميـد ....حميـد .. إلا أن حميدًا لم يرد فـقد انتقل من دار الفناء إلى دار البـقـــاء .... فـارتفع الصيـاح والعويل ...

وكان سقـوط حميد فى الوادى قد حـدث حينما لاحظ بعض رجال المـلك المنصور أن هودج طاووس قـد مال

وسقطت طاووس على الأرض ، ونزل بعض الناس من فوق إبلهم حتى يرجعوا طاووس إلى مكانها إلا أنها قد فقدت الوعى ولم يلتفت الملك المنصور إلى هذه الواقعة لأنه كان سائرًا خلف القافلة ، فأخذت النساء البلوشيات الثلاثة طاووس ورفعنها من الأرض ، ولم تصب طاووس بأذى لأنها سقطت على أرض ناعمة ، إلا أنها كانت تعانى من تمزق فى كتفها الأيمن وإتفق رجال الملك المنصور على ألا يخبروه عن هذه الواقعة ، ووضعوا طاووس فى هودجها وركبوا إبلهم ، بعد أن ركبت امرأتان مع طاووس فى هودجها للحفاظ عليها وحراستها .

وسارت الأمور على ما يرام وأشار البعض أن السكوت أحسن من إخبار الملك المنصور ، وإذا لم تلتفت مقدمة القافلة إلى مؤخرتها فى أثناء سقوط طاووس .

مكثت سودة مع إبراهيم وموسى وعصمت فى تلك الوادى تلك الليلة وارتفعت أصواتهم فى فضاء القرية وكانت نجوم السماء تشاركهم البكاء ، حيث توقفت عن الإشعاع ، وقد غطى سحاب الحزن والغم على كل أرجاء العالم . .

وسكتت جميع الأصوات تدريجيًا ، لأن الصبح قد بدأ يسفر عن وجهه فقال إبراهيم لموسى : نذهب إلى أسفل الوادى . . . وقامت سودة وعصمت لترافقهما . . . وكان موسى دليلاً فى ذلك الوادى .

وانتقلت جنازة حـميد فى صباح ذلك الـيوم من أسفل الوادى ٠٠٠ وسط الصـياح والعـويل الذى انتشـر فى أرجاء الوادى ٠٠٠ وكان السكان الذيـن يسكنون قريبًا من هذا الوادى يسمعون تلك الصـيحات ٠٠٠ فأسرع بعض الأطفال إلى بيت عمران حـتى يخبروه بما حدث حين جاءت جنازة حميد إلى القـرية ، وكان عمران قد وصل إلى المحل ليمارس عمله فجاء الأطفال وقالوا له : لقد ألقى حميد بنفـسه من فوق الجبل ومات ، والناس يحملون جثته إلى القرية ٠

فعرف عمران إن هذه هى الجريمة الثانية التى ارتكبها بعد جريمته الأولى ، وأنهم لن يتركوه هكذا ، فأغلق المحل وذهب إلى البـيت وأخـذ النـقـود ورجح الفـرار على القرار٠

وعندما وصل جـسد حميد إلى القـرية ، ذهبت سودة كالذئب إلى بيت عـمران حتى تنتقم منـه إلا أن عمران كان قد هرب إلى المحـطة ليترك القرية نهـائيًا وكان فى المحطة عربة يجرها الحصان، وتنقل المسافرين ، فاستغل عمران الفـرصة وأخذ الحصـان دون أن يعرف صاحب العربة ، وركبه ونجا من الموت المحـقق فالتفت صاحب العـربة الذى كان يتناول فطـوره بجانب النهـر ، فكان يأكل الخبـز والجبن ٠٠٠ وصاح بفمـه الذى كان مملوءًا

بالطعام ٠٠٠ وعرف أن عمران هو الذى ركب الحصان ٠٠٠ كما عرف أنه لم يسرق الحصان وربما كان دافعه لهذا حدث مهم ٠

وهكذا ترك عمران البلد إلى مكان لا يعرفه فيه أحد ٠٠٠ وبكى كثيرون فى ذلك اليوم على قبر حميد ، ولبس الجميع اللباس الأسود ولم تلبس أم حميد ملابس ملونة إلى أن تغيرت ملابسها بعد عشر سنوات اللباس الأبيض هو كفنها ٠٠٠

الفصل الثالث

الحياة التعيسة

كانت قافلة السفر قد أدركها الليل ، وكانت طاووس قبل الآن تستطيع الدفاع عن نفسها ، لكنها الآن لم تعد تدرى ما يجرى حولها ، هرب ماء الحياة من رأسها ، إذ لم يكن لديها أم تحبها ، والعمة كذلك غير مهتمة ، ولم يستطع إبراهيم وعصمت هانم وموسى أن يفعلوا شيئًا ، ومن ثم صارت هى ضحية شهوة أبيها فى المال ، وأنانيته ·

وربما كان موت " طاهرة " زوجة عمران له علاقة بأخلاقه السيئة وأنانيته ، حيث ذهبت ذات يوم لغسل بعض الأوانى فى النهر ، كان موسى حينئذ ابن سنتين ، وكان الجو فى ذلك الوقت شديد البرودة، بل إن الماء كان قد تجمد بالفعل ، وهاجم ذئب مفترس" طاهرة " فتركت طاهرة الأوانى وهربت من الذئب إلا أن الذئب لم يتركها ، وبينما هى تجرى والذئب خلفها ، سقطت

على الثلوج مريضة ، وظلت على هذا الحال لمدة سنتين تعانى آلام المرض ، ويزداد قلقها من الحياة وضيقها بها حينما كان يشدد عمران عليها فى كل شىء حتى إنه كان يلزمها أن تطحن القمح مع حالتها الصحية السيئة ، وعندما صحبها عمران إلى المدينة للعلاج انتبه الأطباء إلى غدة فى مخها تزداد باستمرار · وتحملت طاهرة الألم فى صبر عجيب حتى غادرت الدنيا فى منتصف ليلة شتاء باردة·

واستمرت رحلة المنصور طيلة اثنتى عشرة يومًا ، ولما كانت طاووس غير معتادة على الأسفار الطويلة أصبحت ضعيفة بسبب هذا السفر · · · وكانت دائمة التفكير فى ما هذه الحركات غير المنتظمة فى الهودج ؟

كم بقى من الطريق ؟ عندى صداع شديد ، متى نتوقف عن السير ، إننى أشعر بالجوع والعطش أحضر لى الماء يا موسى · · · !

قامت ذات ليلة قبيل الصبح (وكانت تتخيل أنها ما زالت فى البيت) مضطربة تطلب الماء من موسى ، وتقول : لماذا تأخرت يا موسى ؟ لماذا لم تحضر الماء ؟ أنا قلت لك يا موسى : احضر لى ماء ، أما فهمت ؟ عندى صداع شديد وإلا كنت قد قمت بنفسى · · ·

لم تكن طاووس فى صحة جيدة ، وكانت تهذى ، وقد عرف الملك المنصور بهذه الحال ولكنه لم يهتم آملا أن تتحسن فيما بعد · · ·

كـانت النساء البلوشـيـات يحرسن طاووس من الأمـام والخلف وعن اليمين ، وكان مرشد القافلة رجلاً عجوزاً ذا تجربة وخـبرة واسـعة ، وكان الملك المنصـور فى إبله خلف القافلة وكـان صاحب القافلة من أكبـر التجار ، وكان خلفه رجلان مقاتلان ، كل واحد منهما أشد من عشـرة قطاع طرق فى الجبال والصـحارى وكان مـعهم كذلك سيـدة عجوز ذات تجربة وخبرة واسـعة ، وكان أفـضل شىء فى القـافلة " طاووس " التى تزوجـهـا الملك المنصور وهوالآن ينقلها إلى بلده.

كان الملك المنصور يفكر فى زواجه من طاووس ، كيف طلب يدها من أبيـهـا عـمران ، كـمـا كـان يفكر فى مشاغله وما جمعه من أموال ، وكان يفكر أيضًا فى أنه سوف يرضى طاووس بالمال والخدم...

كان يقول فى نفـسه لقد أمضيـت عمرًا طويلاً فى هذه الجبـال والصحـارى ، زرت بلادًا كثـيرة فى العـالم ، وجمـعت مالاً كـثيـرًا من تجارتى ، ولم يسـتطع قطاع الطرق أن يستولوا على شىء منى ، وكان الفوز حليفى دائمًا بالـقوة أو بالمال ... ولكن ماذا بـعد كل هذا ؟ إلى متى أجمه المال ؟ لم يكن لدى أسرة مستقرة زوجة أو أولاد ... كلمـا أقـدمت عـلى الزواج تراجـعت وكأننى بلا شعور أو إحساس ...

حتى زوجتى التى عاشت معى أيامًا قليلة أخذت ابنها وتركتنى بعدما رأت فىّ زوجًا غير مناسب ولم تكن مذنبة ، بل كنت أنا ...

وهؤلاء النسوة الثلاث القادرات على السفر لسن نساءًا ، بل هن رجال فى زى النساء فالبرغم من أنهن عرفن دناءاتى إلا أنهن لم يعترضن على شىء ، ربما لأنهن لا يردن سوى الضرورى من الحياة ، ويفضلن السفر فى الصحارى والجبال.

كان من المفروض أن ابنى الآن وهو ابن خمس وعشرين ربيعًا معى ولكن أين هو الآن ؟

لا أعرف ، وربما أنا المقصر فى هذا الأمر لأننى لم أهتم بهذه الأمور ، لأنهم يقولون: الباحث واجد ، لكننى الآن نادم ولكن لا تفيد الحسرة ! لقد ضيعت عمرى من أجل المال فما فائدة المال ؟ سوف أتركه فى الغد يتشاجر عليه هؤلاء السفلة ، على أية حال لقد تزوجت الآن ... ولكن أين الأولاد ؟! ولو أنجبت طفلاً سيكون صغيرًا جدًا عندما أموت هذا إن وافقت هذه الفتاة الشابة بعدما عرفت أنها زوجة الملك المنصور صاحب الأموال والخدم ، وإذا نست حبيبها ووطنها ... لا توجد هناك مشكلة سوى وجود بعض أموالى فى لاهور... لا بأس سوف أذهب هناك وأجمع كل ما عندى وأرجع لأكون أسرتى الجديدة

وأخذ الملك المنصور يفكر فى حياته الجديدة فى المستقبل القريب عندما يترك الصحـارى والجبال ويستقر فى بيت محـترم وأسرة كريمة مـثل بقية الناس ٠٠٠مع زوجـته الجديدة الشابة الجـميلة يعيشان مـثل عروسين شابين ، كطائرين عـاشقين٠٠٠ ثم قـال فى نفســه : أتفكر فى العشق فى الخـمسين أو الستين من عمـرك؟! وكان عـشقك الأول الإبل والجـبل والصحـراء وأفيـال الهند والآن تفكر فى العشق والمحبة وقـد شاب شعرك ٠٠٠ ما هذه الأفكار الخرافية ؟!

كان الملك المـنصور يحـدث نفسه عـندما سمـع أصوات أقدام الإبل من خلفـه وهى تسرع نحوه ، فالتـفت فإذا بالسيدة تتقدم إليه٠

المـلـك : المنصور ماذا حدث؟

السـيـدة : قل للقافلة أن تقف٠

المـلـك : المنصور ليس هذا بمكان مناسب ، هل حدث شيء ؟

السـيـدة : الهانم متعبة جدًا ، نريد أن ننزلها حتى تستريح قليلاً٠

وكان الوقت قبل طلوع الشـمس ، وأمر الملك المنصور القافلة بالوقوف إذ أشار بيده قائلاً : نريد أن نستريح ، فأشـار الركاب إشـارة الوقوف برفع أيديهم اليـمنى ثم قالوا : هو

أرجع الملك المنصور ناقتـه واتجه إلى طاووس ، ووقفت الإبل كلها واجتمعوا جميعًا ، ونزلت امرأتان ليحملان

طاووس ، وفرش الركـاب الآخرون " كليـمًا أحـمر " على الأرض وكان الجو معتـدلاً ولطيفًا ، وكانت الإبل ترقد وهى تخرج أصواتها المـعتادة فأفاقت طاووس من نومها وكانت النساء تزيل الغبار عن ملابس طاووس ، وأحـضرت إحـداهن الماء وقـالت : خـذى يا سيـدتى واغسلى وجـهك ، لقد تعبت لأنك غـير معـتادة على الأسفار أخـذت طاووس نفسًا عمـيقًا ، وكأنهـا كانت تخرج معه الحقد والضيق والـضجر ، ثم كانت أنفاسها المتتـابعة التى تدل على حـزنها الشـديد وقلقهـا البالغ ... ولكـن لم يكن هـناك بد مـن هذا الواقع المـرير فعليها الآن أن تتدبر مستقبلها .

طـــاووس : أين نحن الآن؟

إحدى النساء : هنا أرض الله تـعـالى ونحن خـدمـك ، وكـذلك كل الرجال الذين فى القافلة .

وقالت أخرى : وكل هذه الإبل مـلك لك ... تقـدمى قلـيـلاً ، ثم وضعت يدها على كتف طاووس وأخذت يدها تغسلها ، وكانت الأخرى تصب الماء على يديها وتغسل وجهها ، ثم جاء الملك المنصور حتى ينظر عروسه الجديدة الشابة ، وكانت هذه هى المرة الثانية التى يرى فيها طاووس رؤية كـاملة ، حـيث إنه لم يسـتطـع أن يراها رؤية كـاملة بالأمس ، نظرًا للزحام الشديد ، ولكنه كـان متأكدًا أنه لم يخطىء فى إختياره ، فعيناها خضراوات ، وشعرها

أشـقر وغطـاء رأسهـــا البـراق ، كل هذا جـعلهــا جميلة للغاية .

اجتمع الجـميع ليشاهدوا العروس الجمـيلة فأشار الملك المنصور إلى الآخـرين بالابتعاد ، فابتـعدوا وظل الملك المنصور ونسوته الثلاثة .

المـلـك : المنصور: لقـد تعبت يا سيـدتى ، إنك لم تأكلى شيـئًا بالأمس .

نظرت طاووس مرغـمة إلى وجه زوجهـا ، ثم أخذت نفسًا عـميقًا حـتى يعرف الجميع مـعنى آهاتها العمـيقة فقال المنـصور : سموا طاووس " بانو " وافـرشوا لها فراشًا وثيـرًا لائقًا حتـى تستـريـح لأنهـا غير مـعتادة على السفر .

كانت طاووس تشـعر بالجوع ، فـبسط لها بسـاط آخر بجـانب الأول ، وعندمـا ذهبت إلى البـسـاط الثـانى وضعوا لها الوسائد ثم جاءوا " بصينية " كبيرة فيها ما لذ وطاب من الطعـام مـثل الـعسل الأبيض والزبادى والقشدة . . . إلخ

وكان هذا أمـرًا غريبًا بالنسبـة لطاووس ، فكيف جاءوا بهذا الطعام فى مثل هذه الصحراء بهذه السرعة ؟!

جلس الملك المنصـور بجانب " الصـينية " ثم أحـضر كوبـين من الحليب الساخن ، لكن طاووس لم تـشأ أن تمد إلى الطعـام يدًا ، برغم مـا تشـعر به من جـوع ،

فأخذ الملك المنصور لقمة من القشدة والعسل ، وقدمها إلى فم طاووس راغبًا أن تأكلهـا طاووس بسعادة ، إلا أنهـا مكثت بعض الوقت ، ونظرت إليـه بطرف عينهـا فوقعت عينها فى عينه . . .

أخذت طاووس اللقمة بيدها اليمنى بلا رغـبة حقيقية ، وأوشكت أن تضعها على الصينية مرة أخرى ، إلا أنها لم تفعل لإنها كانت جائعـة جدًا ولأنها صارت زوجته وعليها أن تحترمه ولو أنهـا ردت اللقمة إلى الصينية بعد ذلك إهانـة له، ومن ثم فـإن المصلحـة أن تأكل، فوضعت اللقمة فى فيها وبدأت تمضغها على استحياء.

فـقـال المنصور : أنسى الماضى ، وعـيشى حيـاتك الجديدة ، وأعلمى أنها سـوف تكون أسعد مما كنت فـيه ، نظرت طاووس إلى المنصـور نظـرة وهى تمضغ اللقـمـة ، ثم أخذت نفسًا عميقًا وكأن أحزانها قد عادت مرة أخرى.

لم يهتم المنصـور بذلك وأخذ لقمـة ووضعها فى قـمة وكذلك فعل بقية من كان فى القافلة . . .

قامت طاووس بعد لحظات ، فتـقدمت سيدة ووضعت حذاءها أمام قدميـها ، فلبست طاووس حذاءها ومشت هنا وهناك ، واتجهت نحـو شجرة تبـعد عنها خـمسين قدمًـا وسط نظر كل من كان فى القـافلة وكذلك الملك المنصـور الذى يدرك تمامًـا حـال عـروسـه التى كـانت كالعصـفور الطليق الذى وقع فى أسر الصيـاد ، فصار حبيسًا مضطربًا بعد أن كان حرًا طليقًا .

استندت طاووس على الشجرة ثم نظرت إلى السماء متأملة ، تقارن بين حالها الآن وآمالها التى كانت ، وتبكى بحسرة شديدة ...

وفى الصباح الباكر كانت دموعها تتناثر على الأرض كالآلى والدرر ، والشمس تطلع من خلف الجبال ، وكأن هاتفًا يغنى أغنية الهزيمة فى السماء ويقول :

لقد هزمنا فى سباق الحياة ، وفرشنا بساط الغم والحزن

لم تكن الحياة إلا سرابًا ، فجرينا خلفها بلا فائدة

ألقينا فى بئر جاف دلونا ، حتى نزيل العطش

فقابلنا العشق بعين السكر ، وأقمنا بيتًا فوق الأمواج

جعلنا أنفسنا هدفًا لسهامنا ، فضيعنا الحياة بلا تدبير

وأخيرًا وجدنا أبواب العمر موصدة ، وصارت حياتنا ضحية لأعدائنا

لم يكن لنا ذنب سوى الزواج ، فغرقت أمورنا فى تلك الأمواج

ووصلت قافلة طاووس قرب مقر الملك المنصور ، فنادى المنصور على مرشد القافلة .

مرشد القافلة : نعم يا سيدى

المنصور : كم تبقى من الزمن حتى نصل إلى منزلنا ؟

المرشد : سوف نصل صباح الغد إن شاء الله .

المنصور : كم أمضينا من الأيام فى السفر ؟

المرشـــد : لقـد أخـذنا شـهرين فـى الذهاب والإياب ، إلا أن الرجوع من بلد العروس استغرق اثنى عشر يومًا

المنصـور : أرسلـوا رسـولا إلى المنزل حـتى يطبـخـوا طعـامًـا ويستعدوا لوصولنا ·

المرشـــد : سمعًا وطاعة يا سيدى ، سأرسله حالاً

وصلت القافلة إلى مسقط رأس المنصور فى صبح اليوم التالى،وكـان الرجال فى اسـتقـبالها ،ونـزل القوم عن الإبل ، وذهبـت النسـاء لمساعـدة طـاووس على النزول · · ·

وكان هنالك العديد من الخدم والحشم الذين وقفوا أمام المنزل سعداء بقـدوم سيدهم ، وأخذوا يجـرون خروفاً سمينًا جهة الباب · · · وفى طرف آخر شخص يحمل موقـدًا قد وضع فيه بخـورًا جميلاً ، وهناك آخـر يحد سكينته لذبح الخروف · ·

أسلم الملك المنصـور قيـاد إبله إلى خادمـه ، ثم وقف بجوار طاووس ، وتقـدم الجزار وأراق دم الخروف على الأرض ، أما طاووس ، فكانت لا تبـالى بما يحدث ، والحضور يصفقون ويزغردون ويباركون للعروسين ·

رفعت طاووس رأسها فوجدت بيتًا جميلا أمام عينيها ، وبدأ المنصـور يتقـدم وبصـحبـته طاووس نحـو منزله الجمـيل ، فتح الخدم البـاب أمامهمـا مرحبين بهـما ، فدخلا أولا على فناء أخضـر ، ثم صعدا على درجات خمس لسلم كبير أمام المبنى · · ·

يبدو أن أحـداً من أقارب المنصور لم يحضـر ، بل كان الحضور جـميعهم من خدمه وحـشمه لم تكن طاووس تتمنى مـثل هذا البيت ، ولم تكن قـادرة على الدخول فيه ، بل كانت تتمنى أن يكون الدخول إلى بيت حميد ابن عمتها ، وموسى يلعب فى فناء البيت ، وعصمت هانم تحرق لها حبات الـبخور . . . وقفت طاووس عدة لحظات أمـام الباب مطرقـة إلى الأرض وكان الحـضور جمـيعًـا منتظـرين دخـولها ، حـتى يـدخل النـاس خلفها . . .

المنصـــور : تفـضلى يا هانم ، الناس منتظرون خلـفك ، فأفـاقت طاووس من تفكيرها وعـرفت أنها لابد وأن تدخل إلى هذا المكان ، فـدخلت وألقت نظرة إلى السقف العـالى والفرش الجميل المزركش ، وفتحت " الطباخة " بابًا " جانبيًا " وأشارت إلى طاووس والمنصور أن أدخلا . . . انتظر المنصـور أن تثنى طـاووس على هذا المكان ، إلا أنها لـم تفعل ، فـقد أدى سفرها الطويل الذى اسـتمر ثلاثة عشر يومًا إلى فقدانها الإحساس بكل شيء لدرجة أنهـا لم ترد إبداء رأيها تجـاه أى شىء ، وبدأ كل شيء أمام ناظريهـا عديم الجدوى والفائدة ، وفـجأة وجدت نفسهـا تجلس على كرسى خشبى بـجوار النافذة ، وأن المنصور يتحدث إليها ، إلا أنها لم تستطع فهم ما يقول ، فما دلت أن تستجمع قواها وشتات فكرها . .

دخلت الخادمات إلى غرفة طاووس للترحيب بها ، كل واحدة ترحب بها على طريقتها الخاصة ، وقالت ماهيتاب للأخريات : اخرجن ، فخرجن كلهن وظلت ماهيتاب لا تريد الخروج ، فقال لها المنصور : اخرجى وأغلقى الباب خلفك فلما خرجت ماهيتاب استراح المنصور لحظة ، فطرق الباب فقال غاضبًا : أدخل فدخل سلطان يحمل صينية كبيرة ، ووضع عليها طبق كبير من الأرز وطاووسة مشوية كانت الطباخة قد ذبحتها عندما علمت أن اسم العروس " طاووس " حتى تكون من الذكريات الجميلة فى هذا اليوم ٠٠ وضعها الخادم أمام المنصور وخرج ٠

غير المنصور ملابسه ، ثم جلس متربعًا أمام صينية الطعام ، ثم نزر إلى طاووس وقال لها : لا تغضبى ، اجلسى ٠

كانت طاووس جائعة جدًا ، إلا أنها لم تجد شهية إلى الطعام ، بل إنها لم تلتفت إلى دعوة المنصور ٠

قال المنصور مرة أخرى : الطعام طاووس لذيذ جدًا ، تفضلى بالجلوس ، إلا أنها لم ترد عليه ، فأخذ قطعة من الطاووس المشوى ورفعه أمام فمه حتى يحرك رغبة طاووس فى الطعام وقال لها : لو لم تأتى لأكلته وحدى ، فأخذت طاووس نفسًا عميقًا دون أن تقول شيئًا ، فتناول المنصور دجاجة أخرى ووضعها أمام فمه

وأخـذ ينظـر إلى طاووس بجـانب عـينيـه ، ثم قطع قطعة وقـال : لذيذ جداً ، ألست جائعـة ، تفضلى هنا ! !

رفـضت طاووس الجـلوس ، فـفـضلت الجـوع على الجلوس مع الملك المنصور وعندمـا لاحظ المنصور فشله فى إقناع طـاووس بالطعـام ، قـام من مـكانه وترك الطعام ، وفتح الباب فوجد خادمـتين يراقبانه من فتحة المفتاح ، فهم بزجرهما إلا أنهما هربتا كالبرق .

عقد المنصور جلسة استشارية عصر ذلك اليوم مع مرشد القافلة وآخرين .

قال المنصور : لم تعتد العروس هذا الوسط وأرى أن أذهب إلى لاهور وأبيع كل مـا عندى هناك وأرجع ، لأنـنى قـررت أن أصفى تجارتى وأعيش مع عروستى بقية عمرى ، ولهذا قررت أن نبدأ السفر بعد غد حتى نبيع تجارتنا ومسكنى فى لاهور ونرجع بسرعة إلى هنا .

المرشـد : أنت ما زلت مـتعـبًا يا منصـور ، فضـلا عن هذا فإن العروس تحتاج إلى العريس . . .

المنـصـور : أنت لاتفهم ما أعرفه ، إن العروس لابد أن تتعود أولا على البـيت الجـديد ، ثم هـى ما زالـت تفكر فى ابن عمـتها ، ومن ثم فإن اقـترابى منها لن يزيل حـزنها ، والأفضل أن ابتعد عنها .

المرشـــــد : لا بأس يا ملك إلا أن هذا السفر يختلف عن الأسفار السابقة .

المنصـــور : ما الفرق إذن ؟

المرشـــــد : لأننا بعد عودتنا سنكون عاطلين ، فلابد من البحث عن قافلة أخرى نعمل معها فضحك المنصور قائلاً : ستعيشون فى كنفى وعلى نفقتى بعد عودتنا من السفر حتى تجدوا قافلة أخرى تعملون معها ، وذلك هو حلاوة زواجى ، فسعد الجميع وقال المرشد : أيها السيد لقد منحك الله المال الوفير ، والحياة الرغدة ، ولم يكن ينقصك سوى الزوجة الجميلة ، أما وقد وجدتها فإنه قد حان وقت الراحة والتمتع بالحياة .

الملك المنصور : كلامك صحيح ، إلا أننى لا أريد أن أقعد فى البيت وإنما أريد أن أبيع كل ما عندى فى لاهور وأشتغل هنا .

أحد الحاضرين : ماذا نشتغل ؟

الملك المنصور : يمكن أن أشترى سبعة آلاف أوثمانية آلاف من الأغنام وأعهد بها إلى الراعى ، أو أفتح محلا واشترى بالجملة وأبيع بالقطاعى . . .

شخص آخر : حينئذ سنبقى نحن بلا عمل أيضًا ، ونحن لا غنى لنا عن عمل نقوم به .

الملك المنصور : نعم ، ربما يكون الأمر فى بداية صعبًا ، ولكن الله كريم .

وكان الملك المنصور يفكر فى أنه لو ضغط على طاووس فى أمر من الأمور ستحدث المشكلات ، وربما أدى ذلك إلى فرارها من حياته ومن ثم استحسن فكرة السفر ليترك طاووس لتعتاد الحياة الجديدة بنفسها ودون ضغوط من أحد ،ولهذا صمم على السفر ، ثم رتب له بسرعة فائقة وكان عليه أن يخبر طاووس بقرار سفره ، وعندما رآها جالسة فى فناء البيت ، اغتنم الفرصة ، واقترب منها حتى جلس بجوارها ، وحاول أن يلاطفها ، بمعنى أن حاول أن يلفت انتباهها بأن يلقى إليها بكلمات معسولة ، بعد أن كان قد ارتدى الثياب الفاخرة الأنيقة ، وبعد لحظات أخذ يغازلها بيده ، فأخذ يدها ووضعها على ركبته قائلاً : يا لها من يد جميلة ، وانتظر قليلاً يسمع ردًا ، ، ولكنه لم يسمع شيئًا ، فأردف قائلاً : لم تساعدنى الحياة لأتزوج زوجة مناسبة ، مع أننى تزوجت عدة مرات ، وهلكت زوجاتى إما من تعب السفر وعنائه وإما من غارات قطاع الطرق واللصوص ...ولم يكن لى هدف قبل ذلك سوى جمع المال ، لكن بعد زواجى منك قررت أن أعيش حياة مستقرة سعيدة ... ثم أخذ نفسًا عميقًا وأضاف قائلاً : لقد قلت لمرشد القافلة ، أن يستعد للسفر إلى لاهور ، حيث توجد أموالى وممتلكاتى لأبيعها ، وربما يأخذ هذا السفر ستة أشهر ، ولكن لا

تقلقى ، فلن تعيشى وحدك، فهناك الجوارى والخادمات وقد أعطيت لخادمك الخاص أموالاً كافية لقضاء احتياجاتك وهناك كثير من الأموال فى داخل الصندوق الحديدى فى هذه الغرفة ، ففيه الكثير من قطع الذهب والفضة .... لا تقومى بشىء من شئون البيت ، وإنما عليك أن تأمرى بما تشائين أو تذهبى مع الجوارى إلى السوق وتشترين ما تريدين ، وليس على الجوارى سوى التنفيذ ، وإذا ما رأيت إن أحداهن غير مؤدبة معك ، فاتركيها وخذى أخرى وتغيرت نغمة كلامه ثم قال : ولكن لا تنسى أننى فضلتك على الذهب والفضة ، فإن فكرت فى الحبيب الذى تركتيه أو ديارك صرت عدوتى ... وبعد رجوعى سأبقى بجوارك إلى نهاية العمر ، وسوف أعمل بالتجارة المحلية ... وبعد فقد تحدثت إليك كثيرا وأريد أن أسمع منك شيئًا .

وسكت الملك المنصور حتى يسمع من زوجته شيئًا ، إلا أنها كانت مريضة بمرض روحى وكمد داخلي ، ولم يفلح بكلامه أو وعوده أن يعالج ذاك المرض ، إذ لم يكن كل هذا الكلام عن الأموال أو الوعود يعنى طاووس فى قليل أو كثير ، وانتظر المنصور الجواب وإغتاظ ولم يحتمل إلا أنه تجلد ولم يظهر ذلك ، وقال بصوت شديد : هل فهمت كلامى يا هانم ؟

التفتت طاووس فى اضطراب شديد وقلق بالغ وقالت :
نعم نعم على عينى لم يكن المنصور يريد السمع والطاعة ، وإنما كان يريد رأيها فى سفره ولذلك نظر إليها ، ثم قام من مقامه وسار عدة خطوات فى فناء المنزل .

وحاول أن يقطف وردة فتغير لونه إثر إنغراس شوكة الوردة فى يده ، فألقى الوردة فى جدول كان يمر فى داخل البيت ... ومع أن موعد السفر كان مقرراً فى صباح الغد ، إلا أنه نادى على المرشد أن يستعد للسفر بسبب ما به من ألم وإضطراب .

كان المرشد نائمًا فاستيقظ بسرعة وقال : كل شىء جاهز لصباح الغد .

المنصور : لا بل نريد أن ننطلق الآن .

المرشد : ولكن القائد قد ذهب إلى البيت ، وسوف يأتى فى الصباح.

المنصور : لا بأس ، سوف نذهب من ذات الطريق ، ونأخذه معنا ، سنبدأ السفر الآن ، هيا..

المرشد : سمعًا وطاعة يا سيدى.

كانت الجوارى والخادمات يسكن داخل بيت المنصور ، أما المرشد وبقية الرجال فكانوا يسكنون فى السكن الذى أعد لهم خارج البيت وعندما أمر المنصور بالسفر ، ترك سلطان الذى كان ينشر الملابس فى الفناء عمله ،

وذهب إلى المطبخ حيث بقية الخدم عطية هانم تلك السيدة السمينة الطويلة تطبخ شيئًا فى قدر كبير ، وسيدة أخرى تطبخ السبانخ ، وماهيتاب تحكى قصة العرس . . .

دخلت سلطان لتخبر عن رحيل المنصور مع أن الخبر كان مهمًا للجميع ، قالت إحداهن مشيرة إليه بالملعقة انتظر قليلاً لنرى ما يحدث بعد ذلك ، فتعجبت سلطان ، ووقفت ساكتة لتعرف ما الخبر الذى هو أهم من رحيل الملك المنصور ، وأخذ يتأمل كلامها وهى تقول : لذلك لم ينتظر المنصور لحظة واحدة بعد أن قالت سلاّمة التى لم يكن لها علاقة بالعروس أو العريس : نعم موافقة ، حتى لا يفتضح أمره ، ولم يبق مع طاووس ليلة واحدة . . . بينما طاووس تألمت من هذا الزواج لدرجة أن قدميها لم تقدر على حملها ، فأغمى عليها عندما خرجت من البيت .

عطية هانم : يا لها من طفلة صغيرة مسكينة مظلومة .

وأضافت ماهتياب : ولو لم نحملها آنذاك لافتضح أمر المنصور ووالد طاووس .

ثم توجهت عطية هانم إلى سلطان وقالت : ما عندك ؟

سلطان : أما عرفت حتى الآن لم قرر المنصور السفر الآن .

عطية هانم : لم هذا التعجل ، إنه لم يسترح من عناء السفر وقرر الخروج مرة أخرى .

سلـــطـان : لا وقت لدينا للمناقشــة ، علينا أن نذهب إلى الباب ، فربما نذهب معهم.

انطلق الجميع نحو الباب ، وكانت طاووس جالسة على درجات السلم كالأطفــال ، رأسها بين كتفيــها ،عيناها زائغــتان ، وانطلق صــوت المنصور مــدويًا : هيا أيهــا السيدات وأنت يا طابخ الماء (٢)

أجابت عطيــة هانم مازحة : نعم يا سيــدى إن السرعة التى تريد أن نــســافــر بهــا تجــعلنا نطــبخ الماء بدلاً من الطعام.

المنـصــــور : سننطلق الآن ، ويــبــقى من الرجــال " هيــبت " ومن النساء " ماهيتاب " وسلطان ، والباقى يأتى معنا.

المنصور متوجهًا إلى ماهيتاب وسلطان وعطية ، وقال : عليكم بطاعــة السيدة طاووس ، وإذا أخطــأ أحد منكم فلها أن تعزله ، اهتموا بها جيدًا ، ولا تتركوها محزونة ، أريدها مثل الطاووس جــميلة سعيدة مــغردة ، ثم أشار إليهــا ، وقال لا أريدها هكذا مــحزونة ... أفهــمتم جميعًا ؟!

قالوا جميعًا فى صوت واحد : نعم يا سيدى

أعد المرشد الإبل ، وكان الرجال جميعًا مستعدين سوى القائد ، وأخــذ المنصور طبــقًا للعــادة الناقة الثــانية فى القافلة ، ثم قامت الإبل جميعها، وكان المنصور يتوقع أن ترافــقه طاووس حــتى يخــرج إلا أنها لم تفــعل ،

(٢) كناية عن السخرية والاستهزاء به .

وظلت جالسة... فذهبت إليها عطية هانم التى لم ترض بموقفها وقالت لها : إن زوجك على سفر، فقومى حتى تودعيه ..

فقامت طاووس ، وسارت ناحيته ، ولكنها لم تقترب منه حتى يقول لها ما يريده من أسرار وإن لم يكن لديه أسرار يقولها لها ، لكنه توجه إليها قائلا : هل تريدين شيئًا من لاهور ؟

فأجابت : لا شىء

فقال لها راضيًا بهذه الكلمة : استودعك الله .. فى أمان الله

أجابت طاووس برقة وعذوبة تناسب جمالها ولطافتها : فى أمان الله.

رضى المنصور بالإجابة الثانية ، وتبسم وكأنه يريد أن يلغى السفر ويبقى فى أحضان زوجته الجميلة ، إلا أن القافلة قد انطلقت فعلا ، فودعها مشيرًا وملوحًا فطأطأت طاووس رأسها فى حياء وخفر ، فلم ترض عطية هانم عن هذا الموقف ، وأخذت يدها ورفعتها ملوحة بها لوداع الملك المنصور.

وانطلقت قافلة المنصور متجهة نحو بيت القائد ، بينما جاء طفل أعرج وأخذ تلك الوردة التى ألقاها المنصور فى الجدول السارى ، وأخذ يقطف أوراقها ويطعمها للإبل، فغضب المنصور من صنيع الطفل ، لأنه كان يريد أن تذهب هذه الوردة إلى أهلها حيث كان يشبه طاووس بهذه الوردة فى خيالاته .

الفصل الرابع

طاووس فى وحدتها

رقدت طاووس على السرير لمدة يومين ، ولم تستطع القيام أو المشى ، وفى صباح اليوم الثالث جاءة ماهيتاب ، وطرقت الباب بإصبعها ، فلم ترد عليها طاووس بالرغم من علمها بالطارق ، وقالت سلطان التى كانت واقفة بجوار ماهيتاب - لها : لا تطرقى الباب ثانية فالسيدة نائمة فقالت ماهيتاب : أنا خائفة ، فالسيدة لم تأكل شيئًا ليلة أمس ، ويمكن أن يؤثرذلك عليها ، ومهمتنا أن نسعد السيدة حتى لا نقع تحت طائلة العقاب عند عودة المنصور من السفر فقالت سلطان : هذا صحيح ، إذن فعلينا أن نعمل اليوم طعامًا تأكله السيدة حتى تستعيد عافيتها ، ثم طرقت ماهيتاب الباب مرة أخرى ، فأجابت طاووس : أدخل ففتحت ماهيتاب الباب قائلة : بعد إذنك يا سيدتى ، وأدت لها التحية قائلة : السلام عليكم ورحمة الله يا هانم.

طـــاووس : وعليكم السلام ، كيف حالك ؟
مـاهيتـاب : أريد أن أسـألك عن حـالك أنت أولاً ، لأنـنا في قلق شـديد عليك ولما كـانت ماهـيتـاب قـد تركت البـاب مفتـوحًا ، دخلت سلطان أيضًا وطرقت البـاب فأذنت لها طاووس بالدخول وقالت لها : أدخلي أنت أيضًا ، ولا أريد المجاملات فأنا مثلكن،أتركن هذا الأسلوب ، وتكلمن مـعي بـلا أدنى حـرج ، فـدخلت سلطان ، وجلست طاووس على السـرير ، فضـحكت ماهيـتاب وسلطان وقـالتـا: يبدو أن الهـانم بصـحـة جـيـدة - والحمد لله .
مـاهيـتـاب : نريد أن نتكلم معك ببساطة ، فهل تريدين الفطور ؟
الـهـــــانم : هل تناولتن أنتن الفطور ؟
سـلــطـان : لا ، نحن لا نريد أن نفطر قبلك .
الـهــــانم : طيب ، سوف آتي معكن إلى المطبخ ونفطر سويًا .
مـاهيـتـاب : هـذه فـرصـة طيـبـة ، مـا أجـملهـا ، ســوف نكون سعداء بك .

فأخذت طاووس نفسًا عميقًا ، واستراحت عن ذي قبل ، وأخذت مـاهيتاب بيـدها وأنزلتهـا من السرير ، وذهبن جميعًا إلى المطبخ وجلسن حـول مائدة خشبية ، إلا أن طاووس كانت تتـكلم بتحفظ ، لأنهـا لم تكن تريد أن تكون مثلهن تمامًـا وكان المطبخ واسعًـا ، له نافذة تطل على الحديقة ، فوق هذه النـافذة إنه به عدة ريشات من

ريش الطاووس ، وقيل لها ما أجمل هذا الريش ، إلا أنها لم ترد لأنها كانت مشغولة بالطعام.

الطباخة : هذه الريشات من الطاووس الذى ذبحناه يوم قدومك لكنك لم تأكلى منه.

الهانم : هل لديكم طاووس هنا؟

سلطان : نعم لدينا أربعة طواويس ، ذبحنا واحدًا فقط ، ولو شئت ذبحنا واحدًا اليوم .

طاووس : لا ، ولكن أين الطواويس؟

تعجلت ماهيتاب بالإجابة قائلة : خلف البيت ، لو شئت ذهبنا جميعًا بعد الفطور .

طاووس : نعم أريد ذلك.

فسعدن جميعًا بما آلت إليه حالة طاووس ، فبعد ثلاثة أيام من السفر ، أكلت الفطور برغبتها ، وتحدثن فى كل شىء إلا زواج الملك المنصور ...

ومازحت سلطان عطية هانم الطباخة ، فقالت لها : لا تحضرى معنا حتى لا يحترق طبخك ، ثم اتجهن إلى الحديقة التى خلف المنزل ، ووقفت ماهيتاب وسط الطريق أمام طاووس وقالت بمزاج: ياهانم !

طاووس : ماذا تقولين ؟ أنت عفريته ، ما اسمك ؟

ماهيتاب : اسمى ماهيتاب خادمتك ، وخلصتك.

فضحكت طاووس وقالت : لا تتحدثين كثيراً ، ماذا تريدين ولماذا وقفت أمامى ؟

ماهيتاب : نحن نريد أن تغيرى ملابسك ، لقد أحضر المنصور الملابس الفاخرة الكثيرة من ملابس أميرات إنجلترا وأميرات الهند ، ونحن نريد أن تلبسى منها قبل أن نذهب إلى الحديقة حتى نراك جميلة بها ·

فضحكت طاووس وقالت : أنا لا أحب الملابس الفاخرة ، لأنها لا تنقص من همومى شيئًا

فقالت عطية هانم الطباخة : بالله عليك يا هانم لا تتكلمى عن الحزن والغم ، لقد سعدنا بمعرفتك أيها السيدة الجميلة ، فلا تحزنى ولا تقلقى من أجلنا ·

طاووس : لا بأس ، سوف ألبس الملابس من أجلكن ، حتى إذا وصل الملك المنصور ، لبست ملابسى العادية ·

قالت ماهيتاب التى كانت جاهزة بالجواب دائمًا : يا هانم أين نحن من وصوله ، أمامه ستة أشهر ، هل تخافين من الآن من مجيئه ؟

طاووس : أقصد خبر موته

ضحك الجميع ، وقالت ماهيتاب لسلطان : أحضرى الملابس الإنجليزية البيضاء والحمراء ونظرت إلى طاووس قائلة : وأنت يا سيدى تفضلى إلى الغرفة ، فذهبت طاووس إلى الغرفة وأحضرت سلطان الملابس الملكية الجميلة لها ، ثم أخذت واحدًا منها ورفعته إلى أعلى

قائلة : ما أجمل هذا ؟

عطيـة هانم : إن هذه الملابس على مـقـاسك يا سـيـدتى ، لأن لك خصـرًا نحيفًـا وقامة طويلة ، ولو لـبست هذه الملابس لأصبحت أجمل من ملكات إنجلترا . . .

وفتح باب حجـرة النوم ودخلت السيـدة طـاووس ، ثم فتحت ماهيتاب باب الدهليز ونادت : هيبت فأجاب الخـادم الذى كان يعـيش فى حـجرة فى فناء اليـبت ، وكان مسئولا عن شـراء حوائج المنزل من الخارج وكان بخلاف اسمه نحيفًا طيبًا بل ساذجًا ، : نعم

مـاهيـتـاب : ستـحضر السيـدة إلى الحديقة ، فـعليك أن تخرج من البيت ، فـخرج هيبت من غرفـته وجاء نحو مـاهيتاب منزعجًا وقال لها : لقد أهنت هيبت .

مـاهيـتـاب : ليس فى هذا إهانة قلت لك إن الهـانم ستـأتى إلى فناء البيت ومن ثم فلابد أن تخرج .

هيـــــبت : هل نسيت أن السيد قال لى : يجب أن تكون فى البيت دائمًا حتى لا تهرب السيدة وكانت طاووس تستمع إلى هيبت من النافذة ، فتـغير لونها بعد أن كانت مبـتسمة وفرحة بملابسها الجـميلة ، إلا أنها لم تأخذ فى بالها ، وفتحت الباب وخرجت فهرع الأخريات ليشاهدن الهانم.

هيـــــبت : فقالت مـاهيتاب بصوت عـال لهيبت : لا بأس ، ولا تتكلم كثيراً لقد وصلت السيدة .

سوف أذهب إلى غـرفتى ولن أخـرج منها ، ولكن لا تفتحوا باب البيت.

مـاهيتـاب غاضبـة : أغرب عنا واذهب حيثـما تريد ، ثم رجعت
مسرعة حتى تشاهد السيدة فى ملابس
الملكة ، فلقد كانت طاووس تبـدو مثل ملكة إنجلترا فى
لباسها الأبيض والأحمر والقلـنسوة البيضاء ذات الريشة
الجميلة التى كانت تزيد فى جمالها ٠
فنزلت أولا وكانت مـاهيتاب علـى جانب السلم الأيمن
وسلطان على الجـانب الأيسـر وخلفهـما عطيـة ٠٠٠
نزلت طاووس درجتين ثم صاحت ماهيـتاب : اصبرى
يا هانم اصبرى !!
وقـــــفـت طاووس وقالت : ماذا تريدين الآن يا ماهيتاب ؟ أنت
شريرة جدًا ضحكت ماهيتاب وقالت :
أستـأذنك لحظة لأنك غير معـتدلة ، قاطعتـها طاووس
قائلة : ابتعدى ، أى اعتدال تريدين ؟
منعت ماهيـتاب طاووس بكف يدها اليسـرى وقالت :
صبرًا يا هانم صبرًا ، ثم أسـرعت نحو الغرفة وجاءت
بحذاء جميل ، ورجع الجميع ليشاهدن الحذاء الأبيض٠
جلست ماهيـتاب حتى تلبس الهانم الحـذاء ، وتوقعت
سعادة غامرة لطاووس ، إلا أن الأمـر جاء على غير ما
توقعت ، حيث أخذت نفسًا عميقًا وقالت : إن الحذاء
جمـيل يحتاج إلى حظ سـعيد وجـميل ، ٠٠٠ يجب
على طاووس الجمـيلة أن يكـون لها رجـل قبـيح حتى
لا تغـتر بجـمالهـا ٠٠ فالتـفت الجمـيع إلى طاووس

وكلامهـا الذى أخرجهـن من فرحـتهـن ، وبقـين في صمت .

خلعت طاووس الحذاء الجديد الجـميل ، ولبست الحذاء القديم ، وذهب الجميع إلى الحديقة ، فرأين الطواويس الثلاثـة ، اثنان منهمـا يلعبـان ويتعـاشقان ، والـثالث مهموم كئيب رافع رجليه عن الأرض .

الهـانم : لماذا حزن هذا الطاووس وسعد الآخران ؟

ماهيـتاب (التى كانت تتكلم كـثيرًا وبسـرعة) : لأن هذين زوجان ، وقد ذبحنا زوج الثالث قبل يومين ومن ثم فهو حزيـن فسيطر الهم والغم على قلب طاووس ، وتذكرت " حميد " قائلة فى نفـسها : ربما مات حميد أو ربما قتله رجال المنصور ... لكنها عادت وقالت لا يمكن أن يقتلوه . هذه علامـة ... هذه دلالة وقالتها بصوت مرتفع .

نظر الجـميـع إلى طاووس فى دهشة مما تـقول وتفـعل ... ومـا لبـثت طاووس بـعـد أن قـالت هذه دلالة بصوت مرتفع حـتى أغشى عليها ... فصـاح الجميع وهرولن ورفعنها من الأرض .

فانتبه هيبت ، وخـرج من الغرفة مناديًا : ماذا حدث ؟ أخذت مـاهيتاب وسلطـان طاووس إلى غرفتـها ... وذهبت عطية إلى هـيبت وقالت : هيـبت ... هيبت ... فتقدم هيبت بسرعة قائلاً: ماذا حدث يا عطية ؟

عطيـــــة : اذهب بسرعة وأحضر الطبيب.

فـضرب هيـبت بيديـه على رأسه وقـال : يا حضـرت عباس ماذا حدث للهانم ؟

قالت عطية : لقد أغشى عليها ... اذهب بسرعة

ذهب هيبت إلى غرفـته ، ثم خرج منها حـافياً وانطلق إلى الخـارج ، فأغلقـت عطية البـاب بالرغم من أنهـا شاهدته حـافيًا ، إلا أنه عاد بعـد لحظات وطرق الباب ودخل مهـرولا وهو يقول : حـذائى حذائى ... ثم جرى نحـو غرفـته ولبس حذاء واحـدًا وخرج بســرعة فلمحته عطية فنادت عليه هذه المرة : الحذاء الآخر ، لا يمكنك أن تذهب هكذا ... فعـاد هيبت ولبس حذاءه وخرج.

رقدت طاووس على الـسرير فى غرفـة نومهـا ،وقالت ماهيـتاب لسلطان : أحضرى الماء ثم قـالت لعطية التى جـاءت إليـهن : وأنت جـهـزى الحـســاء أو أى شيء للهانم.

ذهب عطية مـضطربًا إلى الطبيـب ، وما إن وصل إلى عيـادته حتى سمع صـياح إمرأة تـضع مولودها ، ولم يكن أحد فى غرفة الاستقـبال والانتظار سوى الممرضة وزميلاتها ، وعندما هم هيبت بالدخول ... صاحت الممرضـة صيحة شـديدة ، فارتعد هيـبت وأغلق الباب بشدة ، فلما رأت إحدى مساعداتها الباب ينغلق بشدة ،

فتحت الباب ، فوجدت رجلاً يرتعد ، فقالت غاضبة : ماذا تفعل هنا ؟ ولماذا فتحت الباب ؟

اضطرب هيبت ثانية ، وأجابها بكلام غير مرتب وغير مفهوم لأنه لم يستطع نظم كلماته وجمله ، فلم تفهم شيئًا ، فسألته : ماذا قلت؟

كان الخوف يسيطر على هيبت من أمرين : الأول : خشيته أن تصاب طاووس بمكروه والثانى: أنه فتح الباب بدون إذن ، ويخشى العقاب على ذلك ، فلم يتكلم فعادت الممرضة السؤال : طيب ماذا تريد ؟

هيبت : الهانم .. الهانم .

الممرضة : عندكم مريضة .

هيبت وبصعوبة شديدة : نعم ... نعم زوجة الملك المنصور مريضة وكانت الممرضة قد سمعت عن الملك المنصور وعن ثرائه الفاحش ، فقالت على الفور : بيت الملك المنصور ؟ !

هيبت وهو يهز رأسه : نعم .. نعم (دون أن يدرى أنه جاء إلى القابلة وليس إلى الطبيبة)

الممرضة : حسنًا بعد أن تنتهى الطبيبة من عملها فسوف نأتى إليكم

فأشار هيبت بيده وقال: بسرعة ... بسرعة .

ذهبت الممرضة إلى داخل الغرفة ، فوجدت المولود يبكى ، فقالت ضاحكة للقابلة : عندكم مريضة هناك رجب مضطرب خلف الباب ينتظركم ، ويبدو أن

القابلة : زوجته تنجب توأمين ... فضحك الجميع ، ثم قالت

حسنًا رتبـوا الوسائـل المساعـدة وسوف نـذهب ،
ثم نادت : مريم

مـــريم : نعم يا سيدتى

القـــابـلة : أبقى أنت مع المـريضـة ، وسـوف اذهب أنا وآزر هانم إلى المريضـة فى البيت ··· وخـرجت مسـرعة نحـو البـاب ، فوجـدت هيـبت مضطربًـا فقـالت له : هل زوجتك مريضة ؟ وقـبل أن يجيب هيبت ، أجابت آزر هانم: لا بل يقول إن زوجة الملك المنصور هى المريضة ·

القـــابـلة : حسنًا ، هيا نذهب

لم يسيروا بـضعة خطوات حتى سألت حـكيمة هانم : كنت أعتقد أن المنصور لم يكن متزوجًا ·

هيـــبت : كيف . بل كان متزوجًا ، وتزوج بأخرى جديدة ·

حكيمة هانم : أخشى أن تخدعنا بعد تلك المسافة الطويلة ·

هيـــبت : لا ، على الإطلاق ، هيا بنا·

وصلوا ثلاثتهم إلى البيت سيرًا على الأقدام ، ثم طرق الباب بشدة ، فعرف الجـميع أن الطارق هيبت ، حيث كانت سلطان عند رأس طاووس داخل الغرفة ، وكانت ماهيـتاب تذب عنـها الذباب ، فجـرت سلطان بعـدما سـمعت الطرق نحـو النافـذة لترى من الطارق حـيث كانت عطية هانم فى المطبخ ·

قـــالـت ماهيتـاب لسلطان : اذهبى انت بسرعة وافـتحى الباب قـبل أن يـكسـره هيـبت ثـم اصـحـبى الطبـيب إلى

الغرفة ، فـجرت سلطان نحو الباب ، وفتحـته فدخل هيبت وبصحبته حكيمة هانم وآزر إلى البيت ·

لم تعبأ سلطان بـهيئة حكيمـة هانم ، بل قالت لها فى لهفـة شديدة وقلـق واضطراب :أرجوك يا دكـتورة إن الهانم أمانة عندنا،أستحلفك بالله اصنعى شيئًا، وذهب هيبت إلى غرفته وانطلق الـباقيات إلى الدور الثانى عن طريق السلم الأمامى ، وعندما وصلوا إلى نهاية السلم ، قالت حكيـمة هانم لسلطان : أحضرى فـوراً طستًا من الماء الساخن مع بعض الفوط ، ثم سألت : أية غرفة ؟

فقالت سلطان : هذه هى الغرفة ·

وعندما علمت ماهيتاب أن الطبيبة قد وصلت قامت من مكانها وفتحت باب الغرفة ، وقالت : تفضلى ·

دخلت سلطان المطبخ وسـألت عطية هانم : هل لديك ماء ساخن ؟

عطيـة هانم : نعم ، اصبرى قليلاً ·

سـلـطـان : قالت لى حكيمة هانم احضرى ماءً ساخنًا وطستًا ·

ولما كانت عطية هانم خبيـرة بأمور الدنيا ، قالت : هل جـاءت كى تولد طفلا حـتى تحـتاج إلى الماء السـاخن والطست ؟

سـلـطـان : أنا لا أعرف هذه الأمور ، وأسرعى !

عطيـــة : طيب ، أكثر من هذا !

وعندما دخلت حكيمة هانم الغرفة وجدت أن الهانم امرأة غنية ، وأن حالتها الاقتصادية تختلف عن الأخريات وكانت طاووس راقدة على السرير ، وقد غطت ماهيتاب وجهها بلحاف وبدت طاووس كأنها حامل ، وفى تلك الأثناء دخلت سلطان بالطست والماء الساخن ووضعته بجوار السرير ، وكشفت حكيمة هانم الغطاء عن طاووس فلم تر فيها آثار الحمل ، فقالت : إن المخاض لم يأت بعد.

ماهيتاب : لا يا هانم ، ليس بها ألم وإنما أغشى عليها.

حكيمة : أغشى عليها ؟

ماهيتاب : نعم يا هانم.

فظنت ماهيتاب أن حكيمة هانم عرفت مشكلة طاووس وكشفت حكيمة بطن طاووس فوجدتها صغيرة وليس بها شىء ، فضحكت وقالت لآزر : ألم أقل لك إن هؤلاء يخدعوننا ، وظنت آزر أن كل شىء يحدث هو من قبيل الخداع والمزاح.

ولهذا قالت للمريضة ضاحكة : قومى ... قومى ... ولا تفضحى نفسك وبدأت حكيمة هانم فى جمع أدواتها حتى تترك الغرفة ، فدخلت عطية الطباخة ونظرت إلى حكيمة هانم وآزر فعرفت حكيمة هانم.

عطية : السلام عليكم يا حكيمة هانم ، كيف حالك؟

حكيمة : وعليكم السلام يا عطية ، قولى لماذا خدعتمونا ؟

عطيـــة : الخدعة ، ولم الخدعة ، وكيف جئت إلى هنا ؟

حكيمـة : لم يقل أحد أن ذلك مزاحًا أو خدعة .

عطيـة : ما هذا ؟ عم تتحدثين ؟ وما الموضوع ؟ لقد ذهب هيبت ليحضر الطبيب فلماذا جئت أنت؟

حكيمـة : حسنًا لا تتجاهلى أكثر من هذا ، ثم التفتت إلى طاووس ظانة أنها تلعب دوراً تمثيليًا ، وقالت لها : قومى لقد أديت دورك على أحسن وجه .

قالت آزر : إن الطفل قد ولد ، قومى ... قومى ... لا يليق بك هذه الكلمات .

كانت طاووس مغشيًا عليها بالفعل ، وكانت ماهيتاب وسلطان لا تعرفان ماذا يجرى هناك ، ومن ثم كانت مبهوتتين من الموقف .

ماهيتاب : عم تسألين يا حكيمة هانم ، لقد سقطقت طاووس على الأرض ، وأغشى عليها،ولم نطلب طبيبة نساء ، بل قلنا لهيبت أن يحضر الطبيب

فلاحظت حكيمة هانم أن الخطأ خطأ هيبت ، والأمر جد وليس هزل ، وطاووس متعبة بالفعل فتساءلت : أهى متعبة حقًا ؟

فأجابت عطية وماهيتاب بصوت واحد : نعم

آزر : ولماذا طلبتمونا ؟

حكيمـة : وهل كان هناك قحط فى الرجال حتى تبعثوا رجلاً سفيهًا جاهلاً ، لقد كان لدينا مريضة فى العيادة ، فتركناها وأتيناكم .

ماهيتاب : أرجوك يا دكتورة اكشفي عليها بعدما تحملت مشقة السير إلى هنا ، ثم أضافت : إن الملك المنصور سوف يعاقب الجميع ، لأن حالة طاووس سيئة جداً

ترك الجميع موقف الهزل والمزاح وأصبحوا جادين فى العمل وبدأت حكيمة تكشف على المريضة ، ووضعت أذانها على قلبها ، ثم لطمتها لطمة قوية . . .

فارتعدت جوارى المنصور من لطمة حكيمة هانم . . .

ولكن لم يكن لديهن قدرة الاعتراض عليها ، وإن أبدين انزعاجهن.

حكيمة هانم: أحضروا الماء البارد

فأسرعت سلطان إلى المطبخ لإحضاره وهى تحدث نفسها قائلة : كيف تقول هذه المرأة أحضروا الماء الساخن مرة وتقول فى الأخرى أحضروا الماء البارد.

فتحت طاووس عينيها ونظرت إلى من حولها ، ثم جلست على السرير فرأت حكيمة ملابس طاووس الفاخرة ، ووجدتها امرأة جميلة فقالت لها : إن العشاق يغشى عليهم ، يبدو أنك عاشقة؟

أحضرت سلطان الماء البارد ، وأعطته لحكيمة هانم ، ووضعت حكيمة الماء البارد فى فم طاووس وأسقتها قليلاً ، ثم نثرت بقية الماء على وجهها ورأسها وقالت لها: لا تفكرى فى العشق لأنه سوف يدمر حياتك، وتوجهتا للحاضرين وقالت: هل تزوج المنصور هذه الحسناء ؟

فقالت ماهيتاب وعطيـة معًا : نعم ، ثم همست عطية في أذن حكيمة قائلة : ولكن بواسطة النقود.

ولما كانت حكيمـة صاحبة خبرة واسعـة قالت : اتركوا هذه الحسناء الجميلة البغبغاء لتلتحق بمن يريدها ويحبها.

وكانت سـلطان قليلة التجـربة والخبـرة في أمور الحـياة فقالت : هي ليست بغبغاء وإنما هي طاووس هانم.

حكيمة : لا بأس : بغبغاء أو طاووس ، فكل منهما له زوجـة ، وكانت طـاووس قد أفـاقت من سـباتهـا وسمعت كـلام حكيمة هانم فقالـت باكية : ولكن هذه الطاووس قد فقـدت زوجها ورأت الذئب وهو يأكله ، وقد تخيلت منظر أكل المنصور للطاووس بالأمس ورأت فيه صورة الذئب يأكل خطيبها "حميد".

كانت حالة طاووس سيئة جـدًا وكانت متأكدة جدًا بأن حمـيد قد مـات ولهذا أصبحـت فكرة المنصور من كل قلبها.

ثم قالت حكيـمة هانم لعطية : أرجوك يا عطيـة اسقي هذه الحسناء شـرابًا حلوًا وحاولي أن تجعليـها سعـيدة وإن شاء الله سوف تصبح حالتـها جيدة ، ثم قالت : لا تسجنوا هذه البريئة هنا واتركوها لتمش حيث تريد ، ثم قالت لآزر: هيا يا آزر نمشي ثم نزلنا من على السلم واتجهنا نحو الباب.

فخرج هيبت من حجرته حتى يعرف ما حصل لطاووس ولما اقتربت حكيمـة منه ضربته بحقيبتـها ضربة قوية ، فصاح هيبت مثل الكلب الذي ضرب في رأسه.

الفصل الخامس

موسى وحياته المستقبلية

كانت مسئولية تنظيف المدرسة على عاتق السيد مظفر كفاشى عند غياب إبراهيم من المدرسة لمدة الأسبوعين ، وعندما وصل الأولاد فى هذا اليوم وجدوا الباب مغلقًا ، فذهبوا إلى السيد مظفر فقال لهم : لقد وصل إبراهيم ليلة أمس وأخذ منى المفتاح ، ولذلك اطرقوا الباب عليه حتى يفتح لكم ، لأنه ربما كان نائمًا من تعب السفر ، فانتظر الأولاد - الذين بلغ عددهم حوالى الأربعين - خلف الباب ، ولكن يبدو أن إبراهيم لا يريد فتح الباب ، فنادى أحدهم من ثقب الباب : يا إبراهيم افتح ، أنائم أنت ؟! وارتفع صوت الأولاد إلى درجة كبيرة حتى جاء المدير فقالوا : المدير ٠٠ المدير

وقف الجميع إحترامًا للمدير ، وجرى الأولاد نحوه : إبراهيم لم يفتح الباب٠

المـــديـــر : ولماذا ؟ أهو نائم ؟ على أية حال اطرقوا الباب .
الأولاد : لو طرقنا البـاب ثانية ، فسـوف نضربه ، فـجاء المدير وطرق الباب بنفسه ، فطلب مـوسى من عمه ألا يفتح الباب إلا بعد أن ينتهى من تنظيف غرفة المدير حتى فناء المدرسة ، وترك مـوسى عمـه مشغـولاً فى التنظيف ، وذهب ففتح الباب ، فلـما رأى المدير قال له : السلام عليكم .
المـــديـــر : وعليكم السلام يا موسى ، هل إبراهيم غـير موجود ؟
فقال له موسى : لا بل موجود وينظف الغرف .
وما أن دخل المدير ومن خلفـه الأولاد ، حتى لاحظوا التغييرات التى حدثت فى ديكورات المدرسة ، فالزهور فى فناء المدرسة ، وحـول الأحواض ، والغرف نظيـفة وبخـاصـة مكتب المدير الذى كـان أجـمل من قـبل .
فـضـحـك المـدير واندهش الأولاد قـائلين : مـا هذا الجمال !!
كان إبراهيم وكذلك موسى يريدان أن يوافق المدير على قبول موسى فى المدرسـة ، لأن هذا الأمر كان فى غاية الأهمية .
وما أن دخل المدير مكتبه ، حتى لحقه الأولاد متسائلين :
هل اليوم مناسبة كبيرة ؟أو هل هناك أمر مهم ؟
وقـبل أن يجـيب المدير الـتـفت إلى ديكور الغـرفـة ، وكذلك الأطفال الذى اندهشوا من جمالها وقال أحدهم بعد إذن سيادتكم أيها المدير .

المـــديـــر : تفضل .

الـطـفـــل : سيـادة المدير ، إن إبراهيم قد غاب منذ سبـعة أيام أو ثمانية ، وهو يريد أن يعوض ذلك اليوم .

فسمع إبراهيم مقالة الغلام ، وهو فى طريقه إلى مكتب المدير ، وعندما دخل غرفـة المدير لابسًا السواد ، بادره

المـــديـــر : لماذا تلبس السواد ؟ هل أصابك مكروه ؟

فتقدم إبراهيم إليه وصافحه قائلاً : السلام عليكم سيادة المدير .

المـــديـــر : وعليكم السلام يا إبراهيم ، لقـد ذهبت إلى قريتك هل كان هناك جنازة ؟

إبـراهـيـم : لا بل كنت ذاهبًا لحـضور حفل زفاف ، ثم تغـير الأمر إلى مجلس عزاء .

المـــديـــر : ماذا حدث ؟

إبـراهـيـم : لا شىء ، ولكن تعست ابنة أخى ، ومات ابن اختى ،

فتدخل الولد الشرير فى الحوار قائلاً : يا سيادة المدير : ماتت بنت أخـيه وكذلك ابن أخـته فتـعجب المدير من كلام الولد ، وكـاد يضحك ، ولكنه تحـفظ ، ونهض لكى يعاقب الولد لكن اختفى كلمح الـبصر أو كخطفة البرق ، وغاب بين الأولاد .

وبدأ طابور الصباح ، وأخذ الأولاد يسـتمعون إلى بيان المدير الذى كـان يقول : إن كل هـذه التغـيـيـرات التى حدثت لم تكن بسـبب تعويض إبراهيم لغـيابه ، وإنما

كانت احتفالاً بقدوم موسى الذى سوف ينضم إليكم ليستكمل دراسته ، وأرجو منكم أن تحترموه فموسى ولد ذكى ، لقد اختبرته وعرفت أنه يفهم بسرعة ، لقد كان فى مدرسة القرية ، وقد امتحنته ، وقبلته فى الصف الخامس ، ونحن نفخر بوجوده فى مدرستنا . . .

أيها الأبناء : عليكم أن تحتفظوا بجمال المدرسة ، فإذا قطفتم زهرة من هذه الأزهار سوف أضربكم بالسوط . . . وأشار إليهم بعود كبير وضخم من الخشب أخذه معه فى ذلك اليوم بدلاً من السوط الصغير ، لكنه ذكر السوط على سبيل الخطأ .

فضحك الأولاد جميعًا ، وتقدم الولد الشرير مرة أخرى وأستأذن المدير بصوت عال .

فقال المدير : نعم ماذا تريد ؟ ولكن لا أريد أن تضيع وقت الأولاد .

فقال الولد الشرير : ثم نجمع أشلاءه الملوثة بالدماء المتناثرة على الأرض .

بكى موسى بعد سماعه هذا الكلام ، فعرف إبراهيم علة بكاء موسى ، حيث تذكر جسد حميد الملطخ بالدماء ، وتقدم إبراهيم حتى يسكت موسى ، إلا أنه بكى هو الآخر كالطفل وظلا يبكيان أمام الأولاد ، فضحك الأولاد عليهما ، فصاح المدير : ادخلوا إلى

فصولكم وتقـدم المعلمون إلى موسى وإبراهيم بدلاً من دخولهم إلى الفصول الدراسية ·

وجاءت عصمت هانم التى كـانت تستمع إلى المدير فى بيتـها ، وأخذت يد موسى ثم قـالت : يا إبراهيم لقد أفـسدت اليـوم على الأولاد ، فـقم حـتى نذهب إلى الغرفة ·

ولم يكن الذنب ذنب إبراهيم وموسى ، لأنهمـا جمعا أشلاء حميد ، بل إن عصمت كـانت معهما ولكنها لم تسـمع كلام الـولد الشرير الـذى قال " ونحن سـوف نجمع أشلاء جسده "

ثم ذهب ثلاثتهم إلى الغـرفة ، ورجع المدير والمعلمون إلى المكتب وبالرغم من أن لبـاس إبراهيم الأسـود كان يجيب عن كل الأسئلـة ، إلا أنهم عرفوا كل شىء عن هذه الأسرة المظلومة بعد ذلك بالتفصيل ·

الملك المنصـور فى لاهور:

كان الملك المنصـور جالسًا مضطجعًـا على أريكة مزينة بسجادة إيرانية ،واضعًا رأسه على الوسادة ،جاعلاً يديه تحت رأسه وأمـامه مترجمـه ومدير أعماله يار عبد الله اللاهورى العـجـوز،يرتدى قـلنسـوه جلدية وسـروالاً وقميصًا ، ويحاسب أحد العاملين الشباب شفويًا ·

لقد مـضى على زواج المنصور من طاووس ثلاثة أشـهر وهو مشغـول بجمع أمواله فى لاهور ، ولذا طلب من

يار عبـد الله ألا يقبل أى عذر من ذلك العـامل الشاب الذى لم يكن معـه مال يسدده إلى المنصور ، فـبدأ يار عبد الله يقول للشـاب : أنا لا أعرف اليوم ولا الغد ، أنا أريد المال حالاً ، فاختنق الشاب ، وتوسل إليه قائلاً : أمهلـنى أسبوعـًا آخر حـتى أرتب المال ، فليس عندى سيولة الآن .

قال المنصـور متداخـلاً فى الحديث مع يار عـبد الله : نحن لا نقـبل أى أعـذار فـسـوف يأتى غـدًا ويقـول أمهلنى . . . أمهلنى وواصل الحديث : إننى غريب فى هذه الديار فلا تلتفت إلى التماساته بل خذ منه المال .

فقال يار عبد الله للشـاب : المنصور لن يقبل أية أعذار ولن يمهلك بعد ذلك فهو يريد المال الآن ، ثم أضاف : إذا دفعت المال صـرت حرًا ، وإلا أخذك مـعه وباعك فى بلد آخر .

فارتعد الـشاب من ذلك وإن كان يار عبد الـله قد قال مقالتـه تحذيرًا للشاب رغم معرفتـه أن المنصور لن يفعل ذلك .

وصل فى هذه اللحظات أحد أصدقـاء المنصور القدامى فـقام المنصـور من مـضـجعـه وجلس على السـرير ، وانشغل بالسلام والتـحايا مع صديقه ، فانتـهز الشاب الفرصـة وقال ليار عبـد الله : أرجوك أن تعمل شيـئًا حتى لا يؤذينى المنصـور ، ولما كان يار عبـد الله كارهًا

للمنصور ومتظاهراً بصداقته ، قال للشاب : اهرب من هنا وسوف أخبره بأنك فررت ·

فعمل الشاب بكلام يار عبد الله وفر فى الحال ، فالتفت يار عبد الله إلى المنصور قائلاً (وكلامه يتقطع فى فمه) : ملك · · · ملك · · · ملك

قطع الملك منصور كلامه ، والتفت إليه وعرف أن الشاب قد هرب ·

قال يار عبد الله : لقد هرب ، وذهب من هناك ·

الملك المنصور : اذهب بسرعة واقبض عليه ، ولا تمكنه من الفرار ·

فمكث يار عبد الله بعض الوقت عمداً متظاهراً بآداء الاحترامات وطقوس الطاعة لكلام المنصور ، ورفع يديه مظهراً كمال الطاعة وقال : أمرك يا ملك ·

ثم أكد المنصور كلامه : اذهب وأمسك به ·

فرجع يار عبد الله مرة أخرى مظهراً الطاعة وقال : نعم يا سيدى أمرك مطاع ،ثم ذهب من طريق آخر غير الطريق الذى ذهب منه الشاب ·

صديق المنصور : حسناً ، متى جئت هنا يا ملك ؟

الملك : منذ شهرين أو ثلاثة ·

صديقه : لماذا جئت مبكراً ، كان المفروض أن تأتى بعد ثلاثة أشهر أو أربعة قادمة فتذكر المنصور طاووس وقال : لم تأت الأهل ، لقد تركتها وجئت وحدى ·

فضحك الصديق الضيف عندما سمع مقالة المنصور عن العيـال وقال تزوجت جديداً ، مـبارك من هى ·· من هى ؟

الملـــك : هى شيرازية ، جميلة ، شـابة ، إلا أنها لم تعتد على حتى الآن·

الصـديق : ولماذا لم تأت بها معك؟

المنصـور : هى لا تتحمل مشـقة السفر ، فتركـتها هناك ، وجئت لأبيع كل ممتلكاتى وأعود لأعيش معها·

فـضحك الصـديق الضـيف وقال: يبـدو أنك تريد أن تعيش بقية عمرك مع زوجتك ؟!

ضحك المنصور وقال : لا ، بل سئمت من كثرة السفر وأريد أن أعود إلى البلد وأعيش حياة كـريمة محترمة ، تبًا لهذه الحياة التى نحن فـيها ، دائمًا على ظهور الإبل نركب وننزل·

فقـال الصـديق الضيف ممازحًـا كعـادته : نعم فلو لم تستفد من أموالك فى نهاية عمرك فما فائدة جمع تلك الأموال اذن ؟

فقهـقه كلاهما ، وفى هذه الحـال ، دخل يار عبد الله وقال : أيها الملك لقد فر الشاب ولـم أتمكن من القبض عليه ، ولكن المنصـور لم يهتم به لأنه لم يرد أن يقطع حـديثـه عن طاووس ·· وفى الـنهـاية قـال له اذهب وامسك به وعد فأدرك يار عبد الله أن المنصور لا يرغب فى وجوده ، ولهذا انصرف·

الصـــــديق الضيف : حسنًا يا ملك مـاذا لديك حتى أحـمله معى إلى الديار؟

المنـصــــور : ماذا تريد ؟ وأين ستذهب؟

الصـــــديق الضيف : أريد أن أذهب إلى إيران

المنـصــــور : تريد أن تأخذ إلى إيران ؟

ثم فكر قليلاً وقال هل تمر ببلوجستان ؟

الصـــــديق : ولماذا ؟ هل الطرق الأخرى غير آمنة ؟

المنـصــــور : سوف أكتب رسالة إلى زوجتى وتوصلها لها ·

الصـــــديق : إلى زوجتك ؟

المنـصــــور برومانسيـة : نعم إلى زوجتى ، لقد اشتـقت إليها كثيرًا ·

الصـــــديق : هل الرسالة جاهزة ؟

المنـصــــور : لا بل سوف أكتبهـا الآن وأعطيك إياها مع بقية الأشياء بعد العصر ·

وصول الرسالة إلى طاووس :

كان هيـبت فى غرفـته يغط فـى نوم عميـق ، وقد انتصف الليل ، وسراج ضـعيف الضياء ينيـر الغرفة ، وزيته يغلى ·

كان هيبت رجلاً طيبًـا لكنه كان ساذجًا ، ومن ثم كان مزعجًا فى بعض الأوقات ، ماتت زوجته منذ سنوات ، وتركت له بنتين تزوجتا وأنجبت له الأحفاد ·

وكـانت عطية هانم تعـمل فى هذا البـيت "طباخـة "
لكنها فى هـذه الأيام تطبخ لنفسهـا ولغيـرها من الخدم
ماهيتاب وسلطان وهيبت ،مات زوجها ولم ينجب منها
أولادًا ، كانت نشيطة دائمًا تمزح وتضحك ، وتتحدث
مع ماهيـتاب وسلطان وكـان هيبت يضايـقها أحـيانًا ،
تزوجت من المنصور لفترة محدودة لأنها كانت من أسرة
شريفة ، ولكنه لم يكن مهتمًا بها ٠

وكان زوجا مـاهيتاب وسلطان من رجال المنـصور وكانا
دائمًا معـه فى سفر ، وماهيتاب وسلطان إمـا فى سفر
معهما أو فى بيت المنصور هنا أو فى لاهور ٠٠ لكنهما
ظلا هذه المرة مع طاووس حـتى لا تبـقى وحدها بأمـر
المنصور وسوف يرفع راتبهما ٠

وظللن ثلاثتهـن فى حجرة واحـدة من بيت المنصور ،
وكانت ماهيتاب أصغرهن وتحب طاووس جدًا وتحترمها
ومن ثم كانت تقول لها بعض أسرارها ٠

مضت أربعة أشهر على غـياب المنصور فى سفره ، وما
زالت طاووس تشعر بأنها مقيدة ، ولم تعد المنصور فى
يوم من الأيام زوجًـا لها ، وإنما كـان حميـد هو الذى
يسكن خيـالها وكـانت تقول فى نفسـها : عندمـا كان
يرجع حميد مـن عمله فى المساء كنت أذهب عنه تعب
النهار ، كنت أهتم بملابسـه الصيفية والـشتوية ، كنت
أخيـــط له الملابس بجمـيع أنواعها ، كنـت أمشط له
شعره ،و٠٠

ظلت طاووس فى هذه الأفكار حتى نامت نومًا عميقًا ، رأسها على الوسادة وعيناها تنظران إلى سقف الحجرة ، ثم نامت بعد ذلك فى غـرفتها الجـميلة التى تطل على الحديقة الخضراء وعلى فناء المنزل و . . . لكن ماهيتاب وسلطان يستمعان إلى حكايات عطية هانم عن كل شىء لقد تحدثت هذه الليلة كثيـراً وضحكن ثلاثتهن كثيراً ، وما زالت تتحـدث حتى قالت سلطان لهـا : لا تتعبى نفسك لقد نامت مـاهيتاب ، ولو استـيقظت لسألت : ليلى رجل أو امرأة ؟!

فضـحكتا ، وأخـذت سلطان تعبث بإصـبعـها فى أذن ماهيتـاب ، فاستيقظت ماهيـتاب وسألت عن طاووس فقالت : هل ذهبتما عند الهانم ؟ فقالت عطية : لا لم نذهب من المؤكد أنها نامت .

فقامت ماهيتاب بسرعة ، واتجهت نحو غرفة طاووس ، فقـالت لها سلطان : اصـبرى قليـلاً حتى نذهب مـعًا ونتحدث معها .

كان باب غـرفة طاووس مفتـوحًا ، فلما اقـتربا منه ، ودخلتا وجدتاها فى نوم عميق ، فـقالت ماهيتاب إنها تحلم الآن .

سلـطـان : وكيف ذلك ؟

مـاهيـتـاب : كل من ينام نومًا عميقًا هكذا دون أن يكون مريضًا فإنه يحلم ومن ثم فـإن طـاووس تحلم الآن ، لأنهـا برئت الآن .

سلطان : لابد أنها تحلم بالمنصور.

وكانتا تعرفان أن طاووس لا تحب المنصور ولهذا ضحكتا فى صمت ، ثم وضعت سلطان "اللحاف" على طاووس ، وهمتا بالخروج من الغرفة ، إلا أنها سمعت صراخ طاووس قائلة :حميد ... حميد وفى ذات الوقت كان هناك من يطرق الباب من الخارج.

فخافت سلطان وماهيتاب من ناحيتين : الأولى : طرق الباب فى هذه الساعة من الليل ، والأخرى: صراخ طاووس ، وكانت طاووس قد فزعت من النوم بصورة قاسية .

ماهيتاب : ماذا حدث يا سيدتى ؟ ولماذا فزعت؟

سلطان : قد جئنا لنطئن عليكِ ، فهل فزعت منا لا سمح الله.

عرفت طاووس أنها كانت تحلم وبدأت تبكى ، وارتفع صوت طرق الباب مرة أخرى فصاح هيبت: ماذا حدث؟ من الطارق؟ اصبر قليلا ، لقد جئت إليك وخرج هيبت واضعًا المنشفة على رأسه ولابسًا ملابسه البيضاء التى كان ينام بها دائمًا .

قالت مهاتاب لسلطان : اذهبى وانظرى ماذا حدث هناك.

فقالت سلطان التى لم ترد أن تترك طاووس فى حالتها السيئة : لا تشغلى بالك بالباب ، فإن هيبت سوف يذهب ويفتح.

ماهيتاب لطاووس : هل كنت تحلمين ؟
طاووس باكية : لقد مات حميد
سلطان : سيدتى لقد تزوجتى المنصور ، فلا يصح أن تفكرى فى حميد مرة أخرى لقد ارتفعت الأصوات عند الباب ، حيث فتح هيبت الباب فوجد صديق المنصور حاملا رسالة إلى طاووس .
الطارق : جئت برسالة من الملك المنصور إلى السيدة طاووس .
هيبت : هل طاووس قادرة على القراءة والكتابة ؟
حامل الرسالة : لست أدر ، المفروض أن تكون أنت أدرى بذلك منى .
فأرجع هيبت الرسالة إليه قائلا : خذها ، إنها غير قادرة على القراءة .
حامل الرسالة : أيها الأحمق ، لقد بعث المنصور برسالة إلى زوجته من أقاصى الأرض ولو لم تكن تعرف القراءة ، فهناك من يقرأها ، ثم ضرب بيده على صدر هيبت قائلاً : أريد أن أسلم الرسالة إليها فى يدها ، وكان يريد فى داخله - أن يرى طاووس ويعرف كيف تزوج بها المنصور مع كبر سنه .
غضب هيبت من ضربة حامل الرسالة ، وألقى بالرسالة من يده إلى الخارج وأخرجه وأغلق الباب بشدة .
فصرخ الرسول من وراء الباب ، ولكن هيبت لم يهتم ورجع إلى غرفته ، ثم تذكر أن الرسالة من المنصور

ولابد أن يأخذها منه فعاد مرة أخرى وفتح الباب فوجد الرسول واقفًا ، فـقال له : لماذا تزعجنا فى هذا الوقت من الليل وتفسد علينا نومنا ؟

ثم غير لهجته وقال بهدوء : أعطنى الرسالة ·

الرســـــول : اسأل نفسك ، ولماذا توجه إلى أنت السؤال ؟

أخذ هيبت الرسالة ثم أغلق الباب بشدة فى وجه صديق المنصور واتجـه نحو البيت وكـانت طاووس تبكى بشدة وهى تحكى ما حلمت به من أن روح حمـيد فى السماء إلا أنهـــا رأته والدم يقـطر من يديـه ··· وفى هذه اللحظة طرق هيبت باب الدهليـز وقال : عطية ···! تعـال خذى الرسـالة ، إلا أن عطيـة كانت نائمـة فى غرفتها ، فلم تسمع صوت هيبت ولما كان صوت هيبت يشبه صوت النساء قالت سلطان التى لم ترد قطع كلام

طـــاووس : ادخلى ، ظانة أن الطارق هو عطية ·

دخل هيـبت أولاً الدهليز والسـراج فى يده ، ثم دخل إلى غرفـة طاووس فانزعـجت طاووس ، إذ إن هيبت بملابسه البـيضـاء كان يشبـه روح حميـد التى رأتاه فى منامها ، وصرخت وهى تدافع بيدها ·

التفـتت سلطان وماهيتاب فـوجدتا هيبت ، فقـالتا فى صوت واحد : لا تخافى سيدتى إنه هيبت ·

استيقظت عطية من نومها ، وجاءت إلى غرفة طاووس ، فوجـدت هيبت وقـد اقتـحم الغرفة وفـى يده السراج

وعلى رأسه المنشفة ، فظننت أنه قد جن ، فصرخت فى وجهه قائلة: يا حمار من قال لك أن تدخل غرفة الهانم ؟

هيبت : سلطان هى التى قالت لى ٠

ولما كان هيبت قد عوقب مرتين فى هذه الليلة ، مرة بسبب رسول المنصور ومرة بسبب سلطان ، ألقى بالرسالة على أرض الغرفة بعد أن شطرها نصفين ، وخرج ٠

عطية : ولماذا مزقت الرسالة كالمجنون؟

لم هيبت ، وانطلق وهو يشتم عطية قائلاً : أنت يا حمارة بدلاً من أن تتكلمى مع الإنسان كالبشر ، تعضين رجل الإنسان كالكلاب٠

جمعت ماهيتاب الرسالة المزقة ، وقدمتها لطاووس ، ثم قالت لعطية وسلطان اتركا السيدة وحدها حتى تقرأ الرسالة وأخرجا ، فخرجن وأغلقن الباب ولما كانت طاووس خائفة جدًا ، وكان جسدها يرتعد من شدة الخوف ، أخرجت الرسالة من الظرف ووصلتها وبدأت تقرأها فتجسد لها صوت المنصور الذى كان يقول فى رسالته ٠

السلام عليك يا طاووس ، يا أغلى من حياتى٠

فقالت طاووس فى نفسها : تبًا لك .

المنصور فى رسالته : اكتب إليك هذه الرسالة من بلاد الشرق ليتك كنت معى حتى تتمتعى بجمال هذه الديار .

طـــــاووس في نفسها : إننـي نادمة فى هذه الليلة أيضًا ، لعنة الله على أبى عبـد المال ، الجاهل الذى زوجنى من عـجوز مثلك ٠

المنـصـــــور في رسالـته : لقد بعت ممتلكاتى ، واشـتريت لك هدية ثمينة ، وسوف أعود فى خلال شهر

وما أن وصلت طاووس إلى جملة " سوف أعود خلال شـهـر " حـتى ظل صـوت المنصـور المزعج يردد هذه الجملة فى فضاء الحجرة ، فأغمى عليها ، وراحت فى غيبوبة ٠

وظلت على هـذه الحـالة من الفكر حـتـى تخـيلت أن المنصور قد جاء فارتعش جسمها من دخوله وقامت من مكانها ،وقـالت بصوت مـتهدج : قـد وصلتم خافت طاووس من هذا الموقف غـير المتـوقع ، ولكن لم يكن لديها خيار آخر ، لابد أن تتعامل معه ، إنها زوجته ، وأرادت أن تبـتـعد عـنه ولو للحظات ، فـتلفـتت يمنة ويسرة فـوجدت فى زاوية الحـجرة طسـتًا وكـوز ماء ، فذهبت ،أخذت الطست بيـد والكوز بالأخرى فضحك المنصور بصوت أقبح من ذى قبل ، فقالت فى نفسها : يا ربى إنه لم يكن قبيحًا بهذه الدرجة ٠

اقتـربت طاووس منه ، وتذكرت أنها لـم تسلم عليه ، وحاولت ٠٠ ولكنها تراجعت ووضعت الطست بجوار السرير الذى كان يجلس عليـه ، ووضع المنصور رجليه

فى الطست وحاولت أن تصب الماء من الكوز على رجليه ، فصبت قليلاً من الماء ، ثم تذكرت مرة أخرى أنها لم تسلم عليه ، فرفعت رأسها وأرادت أن تسلم عليه ، فرأت المنصور يقترب منها حتى يقبلها ، فقالت فى نفسها : يا ربى : لماذا أصبح قبيحًا هكذا ، ثم فوجئت بأن صورته تقبح وتزداد قبحًا ، فارتعدت بشدة لدرجة أن أسنانها بدأت تتصادم محدثة صوتًا وبدأت ترى شيئًا آخر هو أن عين المنصور اليمنى قد جحظت جحوظًا شديدًا ، وصارت العين اليسرى بيضاء بياضًا خالصًا ، فلم يكن أمامها وهى الشابة الجميلة إلا أن تصرخ وتلقى بالكوز على الأرض.

فأسرعت الخادمات نحو غرفتها ،فوجدن الماء مسكوبًا على الأرض وطاووس مغشيًا عليها ، واستيقظ هيبت عند سماعه لصرخة طاووس ، فغضب وقال : لقد جننتم جميعًا فى هذه الليلة .

وعندما دخلن ووجدن طاووس على تلك الحال ، قالت عطية : ربى ماذا حدث هنا؟

ولماذا الكوز والطست ؟

أضافت ماهيتاب : لقد جنت هذه البنت.

واقترين من طاووس ، وهى فاقدة الوعى ، وحاولن أن يحملنها على السرير جاء هيبت إلى باب الدهليز وهو يقول : ماذا حدث ؟

سلــطـان : اذهب يا هيبت وأحضر الطبيب.
صـرخت مـاهيـتـاب قـائلة : لا ، لا تذهب ، لأنك سوف تأتى بالقابلة.
عطيـــــة : لا تتعجلوا اصبروا حتى نعرف العلة أولاً ، ثم قالت : ما معنى الكوز والطست والماء ، إن السيدة كانت عاقلة ، ما هذه الأمور التى تحدث فى هذه الأيام ؟
عطيـــــة : قربى السراج حتى ألقى نظرة عليهـا ، فقربت ماهيتاب السراج وكانت طاووس ترتعش وتتصادم أسنانها.
عطيـــــة : ضعـى اللحاف عليـها ، فـوضعت ماهـيتاب اللـحاف عليها.
مـاهيـتـاب : هل يمكن أن نسقيها جرعة ماء؟
عطيـــــة : صدقت ، أحضرى الماء يا سلطان.
سلــطـان : كيف تأمـرينى أنا وأنا أكبـر من ماهيتـاب ، ولا تقولى لها.
عطيـــــة : كـلامك صـحـيح نحن نفـعـل كل شىء ونظرت إلى مـاهيـتـاب وقالت : وأنـت لماذا تقـفى هكذا؟ اذهبى وأحضرى الماء.
فذهبت مـاهيتاب لتـحضر الماء ، وبـدأت سلطان تجمع أجزاء الكوز المحطم ، وألقته فى الطست ، ثم أخرجته من الغرفة.

عطيـــــة : إن السيــدة أصبـحت تتخيل دائمًـا صورة إنســان ما ، وأرى ألا نتركها أبدًا وحدها بعد ذلك ·

تقدم هيـبت إلى الباب وخرج من الدهليـز : وأنا ماذا أفعل ؟

عطيـــــة : لا شيء ، اذهب ونم على سريرك ·

هيــــبت : لقد طار النوم من عينى ، كيف أنام ؟ هل أنت متأكدة إنك لن تنادى على مرة أخرى ؟

التـبنى :

كانت الغرفة التى يعيش فيها إبراهيم مع زوجته عصمت هانم خاليـة تمامًا من لمسـات الجمال فـيهـا عدة أوانى للطهى ، وسراج غازى فى زاويتها ، لكن إبراهيم كان سعيدًا بهذه الحياة وكانت زوجتـه مهتمة بموسى إهتمامًا شديدًا نظرًا لأنهـا لم تنجب ، وأرادت أن تعوض ذلك باتخاذها موسى ابنًا لها·

وذات يوم كانت تملى على موسى قطعة إملاء ، وبدأت الإمـلاء فى ذلك اليوم بحـرف الطاء فـقالت له اكـتب (طوطى) أى بغبغاء و(طير) أى فأس و(طمع) طريق ، طعمة ، طلا أى (ذهب) ·

مـــــوسى : أسرعى ، قولى إننى أكتب بسرعة ، ولا يمكن أن انتظر حتى تقولى على مهل واحدة واحدة وكلمة كلمة ، ولم يكتب موسى الكلمات فحسب ، بل كان يتصور معناها فى عـقله ويربطهـا بالواقع ، فكان يرى الفـأس فى يد

أبيه الظالم الذى قطع جـذور الحياة بطمعـه وحرصه ، وقـد انحرف عن الطريق القـويم إلى الضلال والدمـار حتى جعل اللقمة اللذيذة طعامًـا لعجوز قبيح بقوة المال والذهب ·

وكـانت عـصمت تبـحث عن كلمـة جـديدة ، إلا أن موسى كـان يعرف ماذا تكون هذه الكلمـة وكان ينتظر سماعها ، وقد سـمعها ، لأن تلك اللقمة اللذيذة التى أصبحت طعام العجوز القبيح بقوة الذهب والمال هى : طاووس

فـــقــــالت عصمت : اكتب طاووس

دمعت عينا موسى وقال : لماذا لم تقولى بسرعة ، لقد كنت أعرف أن اللقـمة التى أكلهـا العجوز القـبيح هى طاووس ، وانفـجر مـوسى فى البكاء ، ووضع رأسـه على الجـدار وبدأ يبكى بكاءً فى غزارة المطر مـن فراق طاووس ·

عـصـــمت : ماذا حدث يا مـوسى ؟ لماذا تبكى؟ بل إنك كنت تبكى قبل أن أمليك كلمة طاووس!

مـــــوسى : ماهـذه المصائب التى لحـقت بنا ؟ أين طاووس الآن ؟ ولماذا لا اسـتطيع زيارتها ألست أخـاها؟ ولماذا لا تفكر هى فى أخيها ؟ لقد أتعبت نفسك معى يا عصمت هانم ولكن لماذا ماتت أمى وهرب أبى وأسرت أختى ، · · · لقد أصبحت أنا بلا أسرة وبـلا مأوى وسقط ابن عمتى

ميتًا بين الجبال ٠٠فأين فرحة العرس وأين حياتنا؟حقًا إن حظنا عسر وسيء جدًا ٠

عصمت هانم : لا قدر الله ، إن حظك ليس سيئًا ، أشكر الله على كل النعم التى أنعمها علينا ولا بأس ، فإذا كان ما لدينا اليوم قليلاً فعلينا أن ننفق حسب دخلنا وعلى قد لحافنا نمد قدمنا لقد بللت الكتاب بدموعك ٠

لقد تذكر موسى كل ما حدث بعين دامعة ولسان معترض٠

رجوع المنصور

لقد شاهدت عطية وغيرها من الخادمات أن طاووس قد أصيبت بمرض فى غياب المنصور ، وأن هذا المرض يعود عليها كل مرة ، فتدور رأسها ، وترتعد فرائصها ، وتتصادم أسنانها ٠٠٠ ثم يغشى عليها بعد لحظات وتسقط على الأرض وقد حاولوا جميعًا معالجتها فى غياب المنصور دون جدوى ٠٠٠ لكن طاووس كانت سليمة فى تلك الأيام لكن المزعج حقًا لدى الخدم هو مجيء المنصور ومعرفته أنهم لم يهتموا بطاووس و٠٠٠ جهز الفطور من الجبن والعسل والبيض والشاى وغير ذلك فى المطبخ والجميع يعرف أن المنصور سوف يعود اليوم دون تحديد وقت معين ٠

وذهبت ماهيتاب إلى طاووس فى غرفتها ودعتها لتناول الفطور وهى تفكر فى نفسها أنه ينبغى أن تتزين طاووس اليوم أكثر من أى يوم مضى ؛ لأن المنصور

سوف يراها بعد عدة أشهر ، حيث إنه سافر ليبيع كل تجارته وأملاكه ، ليرجع ويبقى بجوارها وقد ذكر المنصور فى رسالته التى أرسلها، ومزقها هيبت أنه سيعود وفى خلال شهر .

ومنذ ذلك اليوم وقد وضعت طاووس قماشًا أسود اللون حتى لا ترى صورتها لأنها ترى معها "حميد" وهو يقف بجوارها .

ماهيتاب : يا هانم إننى أطلب منك شيئًا وأتمنى ألا ترفضينه .

طاووس : ماذا عندك يا ماهيتاب ؟ قولى لى .

ماهيتاب : كنت أريد أن أقول لكم : إن المنصور هو زوجك سواء أكان قبيحًا أو غير ذلك .

طاووس : حسنًا .

ماهيتاب : إنه يريد أن يرى وجهك الجميل بعدما ضحى بكل ثروته فى سبيل رضاك ، فإلى متى تهربين منه ؟ إن القدر قد كتب عليك هذا النصيب فلا مفر منه ، فلماذا لا ترضين به ؟

أخذت طاووس نفسًا عميقًا وقالت : يا ماهيتاب ، إن طاووس اليوم بلا ريش ولا جناح ، ولم يعرف المنصور أننى مريضة ، فماذا يحدث لو عرف أننى فى حالة سيئة ؟

ماهيتاب : أرجو أن تأتى حتى تتناولى الفطور ، ثم تلبسى ملابسك الملكية حتى لا يراك المنصور بهذه .

الملابس ، لقد غطى الحـزن وجهك ... سنفطركم ثم نذهب إلى الحمام فى الخارج .

طـــاووس : حاضر يا ماهيتاب يا عفريتة ، نفطر أولاً ثم نذهب إلى الحمام ثم ألبس ملابســى الفاخــرة التــى ترضيك يا ماهيتاب .

سعدت ماهيتاب وهى تدعو فى نفسها أن يراها المنصور على أحـسن حال ، واتفقـت مع سلطان وعطيــة على ألا يذكرن للمنصور شيئًا عن مرض طاووس .

ذهبت طاووس وتناولت الإفطار مـعهن ، ثم اسـتعـد الجـميع للذهـاب للحمـام ، وعندمـا وصلن إلى باب الفناء ، وقف هيبت أمام البـاب وقال : لو هربت ماذا تقولين للمنصور ؟

عطيـــــة : أبعد عن الطريق ، فسوف نحافظ عليـها ، كما أنها لن تفعل هذه الجريمة .

هيـــــبت : المسئولية عليكم ، وليس لى شأن بهذا .

عطيـــــة : لم يجعل أحد عليك مسئولية هذا الأمر .

فتح الباب واتجه الجميع نحو الحمام .

لم يكن أهل البلد يـعرفـون طاووس جـيداً ، وعندمـا شاهدوا أجـنبية تذهـب مع ثلاث جاريات إلى الحـمام تعجبوا ، وقالوا فيما بينهم : من هذا الوجه الجديد؟ أما الذين شاهدوا طاووس عند دخـولها بيت المنصور ، فإنهم لم يروها بعد ذلك فى شوارع البلدة .

وأصل الحكاية أن طاووس عندما دخلت البلد قد دخلت فى الصباح وكان أهلها نائمين ، كما أن الخادمات قد اتفقن فيما بينهم ألا يذكرن لأحد عن طاووس شيئًا حتى لا يزعجوها بزيارات قد تشجعها على الفرار والهروب من بيت المنصور ... ومن ثم فلم يعرف عنها شيئًا سوى حكيمة وممرضتها وبعض أطباء القرية وهؤلاء ليس لديهم وقت لنشر الأخبار.

دخلت طاووس الحمام مع الخادمات ، وقد أعطت عطية كثيرًا من النقود لصاحبة الحمام ، وقالت : لا يدخل أحد الحمام بعدهن ، ثم سألت كم شخصًا داخل الحمام ؟

صاحبة : الحمام : أربعة ، وإن شئت أخرجتهن الآن.

ماهيتاب : لا ، ولكن لا تدخلى أحدًا بعد ذلك

عطية مخاطبة من فى الحمام بعد ما طال مكوثهن طمعًا فى مال طاووس : أنتن لا تردن الخروج من الحمام؟

إحداهن : لن نخرج حتى نحصل على الحلاوة من السيدة.

طاووس التى لم تنس أنها كانت ابنة خباز ، كما أنها لم تغتر بما عندها من مال .

ما الفرق بينى وبينكن ؟

واحدة أخرى : الفرق بيننا مثلما بين الملك والرعية.

رفعت طاووس عينيها وقالت : لا يعرف أحد ماذا فى قلبى ، لقد كنت وردة فذبلت وداسها الجميع بالأقدام.

ماهيتاب التى أرادت ألا تعود طاووس لمرضها : ماذا تقولين يا هانم ، إنك زوجة الملك المنصور .

وما أن علم النسوة أنها زوجة الملك المنصور أقبلن جميعًا لمساعدتها فى الاستحمام فأخذت طاووس نفسًا عميقًا وقالت: هل تعلمين شيئًا عن حالتى السيئة؟ لا ، لن تعرفى إلا بعد أن أقبر.

وعندما انشغل الجميع فى الحمام بخدمة طاووس وجاءت صاحبة الحمام لتلبى كل ما يحتجن إليه وكان هناك من يأتى بالماء ، ومن يأتى بالصابون ، ومن يجفف جسدها بالمنشفة ، ومن يلبسها ثيابها وفى النهاية وقفت طاووس أمام المرآة لتتأمل جمالها بالملابس الملكية ، ولم تفكر فى المنصور أو حميد ، لكنها شعرت أن روح حميد تقف بجانبها بالملابس البيضاء والشعر المشتعل فالتفتت لتراه فلم تجده فعاودت النظر فى المرآة فرأت صورة المنصور المخيفة فى المرآة التى رأتها من قبل ، ومن ثم فإنها لم تطل النظر .

هذه المرة حتى لا ترى جحوظ عينيه كما رأته المرة السابقة ، والتفتت بجوارها فلم ترى سوى ماهيتاب ، فقالت لها : هيا نخرج بسرعة ، فأدركت ماهيتاب أن حالة السيدة سيئة ، فأسرعت فى الخروج من الحمام .

عطية : ماذا حدث؟

ماهيتاب : لا شيء ، سنخرج والحقوا بنا.

فلبست الأخريات ثيابهن بسـرعة ، وخرجن من الحمام ولحقن بطاووس وماهيتاب ·

ماهيتاب : إن هذه الملابس غير مناسبة للظهور خارج الحمام والأفضل أن نعود للحمام ونغيرها ·

طاووس التى خافت من الحمام : لا ، لو أسرعنا فى المشى وصلنا إلى البيت بسرعة ·

سارت طاووس بملابسها غير العادية مع الخادمات ، وكان عليها أن تمر بثلاثة شوارع طويلة حتى تصل إلى البيت،وكانت تلك الشوارع مزدحمة جدًا والناس ينظرون إليها وكانت هى تريد الهروب من الخوف الذى انتابها ·

ظلت عطية مشغولة بجمع أدوات الحمام ، أما ماهيتاب فتمشى بجوار الهانم وبقية الخادمات فيمشين خلفها ·

وصل هؤلاء إلى الشارع الرئيسى الذى يقع بيت طاووس على ثلاثة شوارع جانبية واقترب موكبهن من البيت حتى لم يبق سوى خمسين قدمًا على باب البيت ، وإذا ببعض الرجال يضربون بالطبول وكبيرهم ينفخ فى الناى والأطفال حولهم يمرحون وما إن علموا بأن طاووس ستدخل هذا البيت حتى وقفوا جميعًا أمام بابه ليمنعوا دخولها إلا أن تعطيهم الحلاوة وفى تلك اللحظة ظهرت قافلة المنصور التى دخلت البلد وتقترب شيئًا فشيئًا من البيت وظن الطبال أنهم سيقبضون هدية ثمينة .

ولما رأى الأطفال دخول القافلة صاحوا : الإبل ..
الإبل

وقف هيبت خلف الباب وهو يقول : لماذا وقف الطبال هنا ؟ ولماذا لم ينصرف ؟!

وعندما فتح الباب فوجىء بدخول قافلة المنصور وبمحاصرة الطبالين لطاووس فحاول أن يساعد طاووس على الخروج من حصارهم ،إلا أنه تراجع عندما شاهد المنصور قائلاً : مالى وطاووس ، لقد وصل زوجها وهو يتصرف.

وصلت عطية إلى البيت فشاهدت الزحام أمام الباب ، والملك المنصور فى غاية السعادة ظنًا منه أن من فعل كل هذا طاووس فرحة بقدومه.

لم تستطع طاووس تحمل المنظر ، ودارت رأسها أسود العالم أمام عينها ووقفت الخادمات ماهيتاب ، وسلطان وعطية دون أية حركة ، لأن المنصور هو صاحب التصرف فى زوجته.

فجاء المنصور فى موكبه،واقترب من طاووس سعيداً بأصوات الطبول والناى ومد إلى طاووس التى لم تكن تتخيل أنها ستقابله - يده حتى تأخذها لينزل من على ظهر الجمل ، إلا أنها نظرت إليه بجسمها دون شعور ولا روح.

ودارت الأرض بها ، واشتد الأمـر عليها ،حتى ارتعش جسمها وحدثت لها النوبة التى أخـفتها ماهيتاب وعطية وسلطان حتـى عن هيبت ، والناس جمـيعًـا يشاهدون فخاف الطبالون ، وفـروا الواحد تلو الآخر ، ودخلت الإبل ، ونزل المنصور خائبًا يبكى من الفشل .

سـقطت طـاووس على الأرض ، فـأخـذتهــا عطيـة وماهيـتاب وغيـرهما من النســاء إلى غرفتـها ،ووقف المنصور مبهوتًا ،وترك الإبل تدخل بنفسها إلى البيت ، وقف يتأمل الموقف فاغـرًا فاه ، ينظر إلى طاووس وهو متكىء على الباب المفتوح دون أن يستطيع الدخول إلى البيت .

مشترى العشق اليائس :

لم يكن هيبت يعرف هذه الحالة التى تحدث لطاووس ، فرافق النسوة اللائى حملنها إلى غرفتها،ثم رجع فوجد المنصـور حـزينًا جـدًا يبكى بدمـوع اليأس فـرق قلبـه للمنصـور الذى لم يبك أمامـه من ذى قبل ، مـوقف بعيدًا عن وراح يبكى على حالة ، ثم اقترب منه وأخذ بكتفه ورافقه حـتى الباب الداخلى للبيت ، ولكن تذكر أنه لم يذبح الخـروف ،فقال لسـيده : انتظر يا سـيدى حتى أحـضر الخـروف ،فوقف المنصـور على السلم ،. وذهب هيبت وأتى بالخـروف وذبحه ومر عليـه المنصور بلا رغـبة ولا شـوق وصعـد إلى السلـم ، ووصل إلى

غرفة طاووس فوجدها جسدًا بلا حركة ولا روح ، لقد أثرت عليها الضغوط النفسية بسبب ذلك المشهد الرهيب ، فراحت أسنانها تتصادم محدثة صوتًا حزينًا وملأت الدموع عينيها ، وعندما رأت النساء الخادمات دموع المنصور ودموع طاووس تركن الغرفة فى هدوء ·

لقد وقف المنصور حياته كلها على طاووس وسعادتها ، بالرغم من أنه لم يكن مسرفًا فى إنفاق ماله، وكان يستطيع أن يحصل على زوجة جميلة بواحد فى المائة من الأموال التى أنفقها على طاووس ، وبخاصة أن بنات كثيرات كن يردن الزواج منه فى أثناء رحلاته إلى الهند ، لكنه لم يفعل لأن طاووس فقط تلك البنت الشيرازية هى التى استطاعت أن تحطم الأسوار حول قلبه وتدخل فيه ·

إن بيع المنصور لأملاكه فى لاهور يذكرنا بقول حافظ :

إذا ما نلت البنت الشيرازية التى سكنت فؤادى ،

لأمنحن سمرقند وبخارى هدية بسبب خالها الجميل ·

لم يكن بيعه متلكاته أمرًا على غير إرادته ، بل كان ضمن مخططه للبقاء مع طاووس ، إذ لم يكن هدفه من التجارة والرحلات سوى جمع المال فحسب ، وذلك قبل طاووس ، إلا أنه بد زواجها قرر أن يقضى بقية عمره مع محبوبته فى بلده وموطنه وكان سعيدًا بهذه التضحية من أجل سعادتها ، ولكن ماذا حدث ؟

لماذا لا يستطيع أن يتمتع بهذه الحياة الجديدة ؟
المنصور صائحًا : عطية ، سلطان ، ماهيتاب ·
فتح الباب بسرعة وجئن أمامه ، ويعرفن ماذا سيقول لهم ، إلا أن عطية كانت تعرف أكثر من ذلك الذى تعرفه ماهيتاب وسلطان وهو أن المنصور رجل متكبر ، لكنه يسامح كل من يركع على ركبتيه ويضع يده على صدره ··
دخلت النسوة ، وجلسن ووضعن أيديهن على صدورهن لكنه صاح غاضبًا ويقول : من الذى تسبب فى تعب طاووس ؟

ماهيتاب : اقسم بالله أننا لم نقصر فى حقها ·

المنصور : إذن فمن المسئول عن كل ما حدث لها ؟ هل نزلت مصيبة من السماء على رأس هذه المسكينة حتى تجعلنى تعيسًا سيء الحظ ؟ هل هذا ما تقصدين ؟

ماهيتاب : لا يا سيدى ، لقد تركناها مرة واحدة فقط بمفردها ، وكان يجب علينا ألا نتركها ·

المنصور : متى حدث هذا ؟

ماهيتاب : عندما وصل خطابكم ، وتركناها حتى تقرأ الخطاب وحدها ، وأظن أن شخصًا جاهلاً هو الذى تسبب فى كل هذه المصائب لسيدتى ·

المنصور : من هو ؟

ماهيتاب : لقد أعطيتم الخطاب لرجل ليأتى به إلى السيدة ، ثم بكت ·

وأضافات : لقد كان رجلاً جاهلاً حيث إنه جاء بالخطاب فى منتصف الليل وسلم الخطاب إلى هيبت وهو أجهل منه ، وقد جاء به هيبت إلى غرفتها دون مقدمات ومزق الخطاب ·

المنصور : ما علاقة هذه الحكاية بصحة طاووس ؟

ماهيتاب : هناك علاقة وثيقة ·

المنصور : إذن فسرى لى أصل الحكاية ·

وقد لاحظ المنصور أن عطية ما زالت جالسة على ركبتيها ، فلم يستطع أن يراها هكذا ، فقال لها غاضبًا : قومى يا عطية واخرجى ·

فقامت وقالت ماهيتاب وسلطان وهى خارجة : اجلسا وإلا قتلكما المنصور فجلستا على ركبتيهما

سأل المنصور فى غضب شديد : قلت لك ما علاقة الحكاية بمرض طاووس ؟

ماهيتاب : عندما تركت السيدة وحدها لتقرأ الخطاب ··· وتوقفت ماهيتاب لأنها لم تستطع تفسير الموضوع كما هو من شدة الخوف والخجل ·

رجع المنصور عن غضبه بعض الشيء وقال : حسنًا فسرى لى جيدًا ·

ففسرت ماهيتاب حكاية طاووس فى تلك الليلة كما حكتها لها ... وعندما وصلت إلى الكلام عن الجن توقفت لأنها كانت تخاف .. ثم أضافت ماهيتاب قائلة : ولما خرجنا من الغرفة أعطيت الخطاب لسيدتى حتى تقرأه ،فقرأته ولم تتخيلكم بالخير والعطاء وأنما شاهدتكم واعتذر جداً جداً بشكل عفريت ، أجل لقد شاهدت السيدة عفريتًا تشكل بصورتكم ودخل الغرفة فى صورتكم أنتم ،وكانت ماهيتاب توضح الحكاية بشكل دقيق وكأن ذلك العفريت سيعود مرة أخرى إلى تلك الغرفة .

وكانت سلطان تصغى جيداً إلى كلام ماهيتاب ، أما طاووس فهى غائبة عن الوعى ، ولا تسمع شيئًا ، ثم أضافت ماهيتاب : وظنت السيدة أنكم رجعتم من السفر وعليها أن تحضر الطست والماء حتى تغسل رجليك ثم أشارت إلى الطست كوز الماء الذى كان فى زاوية البيت واسترسلت ثانية فى الحديث قائلة : أحضرت هذا الطست والماء لتضع قدميك فيه ، ولما كانت تريد أن ترى صورتكم فى تلك الليلة ، فوجئت بأن صورتكم ظهرت قبيحة جداً ، وإن عينيك قد جحظتا ، فارتعدت من ذلك وخافت خوفًا شديداً ، فصاحت وصرخت ، وعندما ذهبنا إلى غرفتها وجدنا قد أغمى عليها وقد استلقت على الأرض بجوار

الطست وكوز الماء المكسور ، ورأينا جسمها يرتعد .
حاولت سلطان أن تمسك نفسها إلا أنها لم تستطع ، فصاحت : لا ، لا ثم خرجت من الغرفة فى حضور الملك المنصور . . . وكانت عطية واقفة خلف الباب فشاهدت سلطان وهى تصيح فقالت لها : اخسئى ، ماذا تريدين ؟

لاحظ المنصور الموقف فقال : كفى . . وأخذ نفسًا عميقًا وهو ينظر إلى السقف . . .
ثم أشار بيده إلى ماهيتاب : أن أخرجى ، فخرجت ، ثم دخلت عطية الغرفة وهى تقول : يا سيدى من المؤكد أنك جائع وكذلك السيدة ، هل تريد طعامًا؟

فقال المنصور : لا ، إن السيدة متعبة ، ولن تستطيع أن تأكل شيئًا ، أما أنا فسوف أخرج لأتناول شيئًا ، والآن اخرجى وأغلقى الباب خلفك ثم أخذ نفسًا عميقًا ، وغير ملابسه وجلس عبى السرير بجانبها ، ثم وضع رأسه على صدرها وبكى بكاءًا شديدًا ، ليس على مرضها فحسب ، وإنما على عمره الضائع أيضًا ، ثم كف عن البكاء وأخذ يفكر ورأسه على صدرها ، فيما كان من سفره مبكرًا ، وكيف رفضت طاووس المعيشة معه ، ثم تحدث مع نفسه قائلاً : ماذا لو امتنعت عن المعيشة فيما بعد ومن ثم فعليه أن يفعل شىء الآن حتى يربطها بحياته إلى الأبد .

وبعد ساعة من الزمن ، أفاقت طاووس ، فوجدت المنصور نائمًا بجوارها وعندما لاحظت أن المنصور قد فعل بها ما فعل ، انتحت جانبًا وأخذت تفكر فى حياتها وقالت : لا مفر من القدر ، فاستطيع أن أفر من كل شىء إلا القدر ، ولهذا فعليها أن ترضى بحياتها غير السعيدة كرهًا ، لأن القيام بشىء ما ضد إرادة المنصور سوف يجر عليها كثيرًا من المتاعب .

فقامت من مكانها ،وغطت وجه المنصور بعدما قبلته ، ونزل شعرها على وجه المنصور ،فاستيقظ ونظر إليها ، ولم يذكر لها شيئًا ، ولاحظ أنها قد دبت فيها العافية، سلمت طاووس على زوجها لأول مرة ، وقالت أهلاً وسهلاً ، ثم لبست ملابسها ، ونادت على ماهيتاب وأعطت لها الإذن بالترحيب به .

موسى فى المدرسة :

كان الأولاد فى طابور الصباح فى المدرسة ، وكان المدير يتحدث معهم قائلاً : إن الإرادة القوية والعزم الشديد من أسباب الوصول إلى المراتب العليا " وإن ليس للإنسان إلا ما سعى " ولقد اجتهد موسى اجتهادًا كبيرًا ، فلقد استطاع أن يحصل على دروس السنوات فى شهور قليلة فضلاً عن تنظيف المدرسة وقد أكمل اليوم المرحلة الأولى ، فأرجو أن يستيقظ التلاميذ

المنعمون فى الحياة ومع ذلك فدرجاتهم سيئة جداً فى الامتحان إن موسى الآن يعرف بالتلميذ الأول فى المدرسة ، وأتمنى أن يكون من الأوائل فى المستقبل.

كان موسى واقفاً فى طابور المدرسة سعيداً من حديث المدير عنه ، وكذلك إبراهيم كان واقفًا خلف الطابور مفتخراً بموسى وجهوده ونجاحه الباهر ، وهكذا عصمت هانم كانت بجوار الغرفة سعيدة نتيجة لنجاح محاولتها مع موسى ، إذ كانت تملى على موسى ليلاً ونهاراً ، وكانت تجبره على المذاكرة وأداء الواجبات المنزلية ، ثم رفعت يديها إلى السماء قائلة : نشكرك يا رب على هذا النجاح .

قال المدير : تعالى يا موسى بجوارى أمام جميع التلاميذ ، يا موسى نحن جميعًا فخورون بك فى المدرسة كما أن لك جائزة ثم أعطاها له وقال صفقوا له .

فصفق جميع التلاميذ وكذلك إبراهيم ، ولما رأت عصمت أن إبراهيم يصفق صفقت هى أيضاً لشدة حبها لموسى ، ثم قالت فى نفسها : يا موسى إننا نعدك ابننا ليتك كنت ابننا .

أعطى المدير الجائزة لموسى وقال: لم يصبح أبو على بن سينا مشهوراً بفكره وجهوده ، ونحن نتمنى أن يصبح موسى كابن سينا ، ثم أشار إلى موسى : أن اذهب إلى الطابور ، وأشار إلى الأولاد: أن اذهبوا إلى فصولكم الدراسية.

الفصل السادس

بعد خمسة عشر عامًا

مضت سنوات طويلة وتغير كل شىء ، الناس والعادات والتقاليد والشوارع وحتى الخدم والجوارى فلم يبق منهم سوى هيبت ·

عـالج الملك المنصـور زوجتـه بكل الوسـائل الممكنة له ولكن لم يصل إلى نتيجة مرضية ، ولم يستطع الإنجاب منها ، وربما عاد مرضها إلى كثرة الضغوط النفسية التى كانت تعانى منها وكانـت تصيـبهـا بالإغماء لساعـة أو ساعتين وإن حدثت هذه الإغمـاء لها فى حفل كانوا يأخذونها إلى زاوية حتى تفـيق ، أما إذا حدثت لها فى الشارع فكان الأمر أكثر صعوبة حيث يبحثون هن مكان مناسب لها لتـعود إلى حالتـها الطبيـعية ، وقـد كتب الأطبـاء لها أدوية كـثيرة إلا أنهـا لم تكن ذات فـائدة لمرضها ·

وذات مرة وقعت لها الغيبوبة فى الشارع وبكى المنصور من أجلها بحرارة لدرجة أنهـا أفاقت على صوت بكائه

وحـزنت طاووس فى ذلك اليـوم على ظروف منصـور السيئـة حزنًا شديدًا ، واعتذرت له قـائلة : لقد صرت سببًا لعذابك الروحى ،فلو اذنت لى خطبت لك فتاة ، فـأنت ذو مـال كـثـيـر ، وسـوف يوافـق الناس على تزويجك مثلمـا فعـل أبى معـك من قـبـل ، ولكن لا أريدك أن تبكـى من أجلى هكذا ، كـمـا لا تنفق أموالك على علاجى ، فلست الزوجة المناسبة لك .

ضارت هذه الكلمات كالملح على جروح المنصور ، لأنه كان يحب طاووس حبًا شديدًا، ومن ثم رغب فى تغيير موضوع الحديث ، وأخذها وذهب إلى البيت .

ولم يتوقف المنصور عن علاج زوجته ، بل كان يحضر كل دواء يكتب لها مهمـا كلفه ذلك من مال، لأنه كان متأكـدًا من وجود علاج لها ، لكنه كـان يصاب بالألم والحزن والضيق عندما تصاب بالغيبوبة والرعشة لأنه لم يكن يتحمل الموقف لدرجة أنه كان يشتمها أحيانًا .

مرت سنوات طويلة ، وكان مـوسى لا يعرف عن أخته شـيئًـا ، ولا تعرف طاووس عنه شـيئًـا وكانت دائمـة التفكير فى موسى وفى زيارته ظانة أنه سوف يعمل فى المخبز مكان أبيه الذى باعها وفرح بالأموال التى حصل عليها من المنصور ليتزوج زوجة جديدة يتمتع معها بالمال ، إنه لا يستحق لقب " الأب " لأنه باعها بالنقود .

وكانت تفكر فى عمتها ومـاذا حدث لها وكذلك عمها إبراهيم وزوجته العمة عصمت ترى ماذا يفعلون الآن ؟ كانت تفكر دائمًا فيهم ولكنها كانت تخشى أن تذكرهم أمام المنصور ، إلا أنها قررت أن تذكر ذلك أمامه بعدما قضيا معًا عمرًا طويلاً وتطلب منه أن يأخذها إلى أهلها أو أقاربها ·

ودخل المنصـور ذات يوم إلى البـيت وكـانت الفرصـة سانحة للإعراب عن هذا الأمـر ، حيث كان يريد قول شىء ثم امتنع فجأة عن إظهاره فقالت طاووس : ملك ، يبدو أن أمرًا مهمًا قد حدث وتريد أن تقول شيئًا لكنك تخفيه ·

المنصور يتجاهل ذلك ويقول : لا لم يحدث شىء ·

طـــاووس : لا بل هناك أمـر ولكنـك لا تريد بيـانه لا بأس اتركـه مـعك إلـى أن يأتى وقتـه وسـوف أستطيع أن أفـهمـه بنفسى ·

المنـصـــور : كيف تستطعين أن تفهمى ؟

طاووس ضاحكة : المولود لا يبقـى طفلاً وإنما يكبر فى يوم من الأيام ويقول على قدميـه كما أن الطائر لا يبقى دائمـًا فى البيـضة بل إنه يكبـر ويخرج منهـا ذات يوم وكذلك أنت لم تخف شيـئًا الآن دائمـًا وضحـت كل ما يدور فى قـلبك وهذا يثبت صدق وفـائك لى وهذا يجعلنى ارتبط بك أكثر وأكـثر ثم تبسمت وقالت : أنا

لست عجلة ، لأن سـرك مثل الطفل ، وسـوف يخرج من قلبك فى يوم مـن الأيام لما يخـرج الطفل من بطن أمه .

المنصور يضحك ويأخـذ نفسًا عميـقًا ويروح فى تفكير عميق .

طـــاووس : لم تكن ضحكتك مناسبة للنفس الـعميق ، لقد جاءت الضحكة من باب وآهتك جاءت من باب آخر ، فإن لم ترد أن توضح سبب ضحكتـك فعليك أن توضح سبب آهتك .

المنـصـــور : لا بأس أقـول لك علة آهـتى ، ولن أقـول لك سـبب ضحكتى .

طـــاووس : حسنًا فسر لى علة آهتك .

المنـصـــور : عندمـا ذكرت الأم وبطن الأم والولد الصـغيـر ، فقـد تأسفت لأننى لم أرزق منك بولد حـتى تنبت الأعشاب فى تلك الصحراء الجرداء بعد سنوات الجدب .

طـــاووس : لقد قلت لى إن لك ولدًا من زوجتك السابقة .

المنـصـــور : نعم لقد قلت هذا .

طـــاووس : إذا كنت قـاسـى القلب ولا تريد رؤية ابنـك فـإنه ربما يشتاق إلى رؤية أبيه .

المنـصـــور : وربما بحث كثيرًا عنى ولكنه لم يجدنى .

طـــاووس : وهل بحثت عنه حتى الآن ؟

تذكر المنصـور مأساة زوجـته الأولى وقـال : لو كانت زوجتى الشـريرة قد صبـرت معى لكان عندى الآن ابن كبير .

طـــاووس : إن قلبك كـالحـجـارة إنك لم تفـكر أن تذهب بى إلى زيارة أخى وأبى بعد خـمسة عشر عـامًا ٠٠ثم قطعت كلامهـا وأخذت نفسًا عميـقًا وقالت: لا بأس ثم أدارت وجهها ، بل قامت من مقامها وجلست بجوار الجدار ، وراحت فى تفكير عميق وحزن كبير ٠

المنـصــــور : لا تفكرى كثيراً ، وسوف تذهب أحزانك فى يوم ما٠ التـفتت طاووس بوجـهها وهى مليـئة القلب بالحـزن والأسى وقالت : اتركنى حتى استريح إلى الأبد وذلك عندمـا أموت ، ثم بكت بكاءً شـديدًا وقالت : حـتى تستريح منى وأستريح منك٠

المنـصــــور : لا بأس ، وسوف نقررهذا الأمر فى أوانه أيضًا٠ ولم تكن طاووس قـد طلبت طيلة السنوات الماضـية أن يأخذها المنصـور إلى أهلها، وكـانت تحاول أن تتصـبر على فراق أهلهـا ، بل لعلها يئست بسبب قـسوة قلب زوجها٠

طـــــاووس باكـيـة : أنت رجل الصـحـراء تقـاوم قطاع الطرق وقلبك كـالحـجـر ، وليس لديـك أى فكرة عن لطف القلوب ورقتها٠ تذكر المنصور الوردة التى قطفها من بيت عمران وألقاها فى النهـر ، فأخذها المجنـون وجعل يقطع ورقـة ورقة منها ، وشبه نفسه بذلك المجنون وطاووس بتلك الوردة ثم قـال : لا بأس ، لا تبكى واجلسى ، سـوف ندبر هذا الأمر عن قريب٠

قالت طاووس وهى جالسة بجوار المنصور تبكى :
عندما يأخذ الناس الخروف للذبح يتركونه أحيانًا ليتجول بحريته كى لا يشعر بآلام الموت ، ثم ضربت بيدها على رأسها وقالت : يا ويلتى أنا لا أساوى عندك خروفًا ؟!

لم يستطع المنصور تحمل كلام زوجته الذى يسمعه لأول مرة ، وكان يدرك أن العقد التى اجتمعت فى قلب طاووس سوف تفجر بركانًا مرة واحدة ، ولكنه كان سعيدًا بذلك ، لأن مرضها يبدو أنه قد زال ، بدليل أنها تبكى ولم يحدث شيء.

قام المنصور الذى لم يعد يحتمل عذاب زوجته ، وجلس بجوارها ووضع رأسها على ركبتيه وقلبها ووعدها بأنه سوف يأخذها فى أول فرصة إلى "سرو ستان" قرية طاووس.

وبعد لحظات من السكوت نادى عليها : يا طاووس

طاووس : نعم يا سيدى

المنصور : هل تعرفين كيف بدأ بكاؤك؟

طاووس : لا ، من أين بدأ؟

المنصور : عندما أتيت إليك وضحكت ثم تأوهت.

طاووس : حسنًا.

المنصور : وطلبت أن أفسر لك سبب آهتى ، وقد فعلت ، وانتهت بهذا البكاء والحزن ، ولكن الحمد لله لقد انتهت بالخير والعافية.

أخذت طاووس نفسًا عميقًا وقالت : ما فائدة هذا الخير الذى لا يعـالج أمًا ، إن الخيـر والصلاح هو مـا يدوم للأبد

المنصـــور : حسنًا ، أريد أن أفسـر لك علة ضحكتى ، حتى تكون نتيجتها خيراً إن شاء الله ·

وعندمـا سـمعت طاووس كلمـة " إن شـاء الله " منه انتهت قائلة : ملك

المنصـــور : ماذا تريديدين يا حبيبتى ؟

طـــاووس : هل تعرف أنك قاسى وقلبك كالحجر؟!

المنصـــور : نعم ، يقول البعض هذا ·

طـــاووس : إننى لم أسـتمـع إلى هذه الكلمة مـنك طيلة السنوات الماضيـة ، ثم ضـحكت وقـامت وجلست بجـواره ، ووضعت رأسهـا على ركبتيه وقـالت : أنا أتفاءل بهذه الكلمة ، الآن استمع إلى علة الضحك ،

وعندما أراد المنصـور أن يبوح بما فى صدره ، قاطعـته طاووس قائلة : ألم أقل لـك إن الصغيـر يكبر فى يوم من الأيام ·

وضحك كلاهما ثم قال منصور : جاءنى اليوم شخص حتى يشترى منى شيئًا ·

طـــاووس : حسنًا

المنصـــور : وقال إنه يعرف الساحر والذى يسخر الجن·

طـــاووس : ما هذا؟ تتحدث عن السحر والجن مرة أخرى ·

المنصـــور : تمهلى قليلاً ، فربما كان خيراً لك هذه المرة ·

طـــاووس : وهل الحديث عن الجن فيه خيراً ؟!

المنصـور وهو يعبث بشعرها : لقـد تحدثت مـعه عن حالتك ·

طـــاووس : حسنًا ، وماذا قال؟

المنصـــور : قال إن الجن قد دخل جسمك ·

طـــاووس : ساخرة من هذا الكلام : حسنًا استمر ·

المنصـــور : وقـال لابد أن نأخـذك للرجـل حـتى يخـرج الجن من جسدك ·

طـــاووس : · · · ثم أشفى من هذا المرض ؟!

المنصـــور : لا أعرف ولكن حسب مقولة الرجل سوف تشفين ·

طـــاووس : وأين هو الآن ؟

المنصـــور : إن العنوان الذى أخذته منه هو ذات عنوان قريتك ·

طـــاووس : وقد فـتحت عيناها وقامت من مـكانها ثم جلست على ركـبتـيهـا : معنى هذا أننى سـوف أزور موسى ؟ لقـد يأست من زيارة حميد ؟ لأنه لا يفـيدها شيئًا ، إلا أن زيارة موسى سوف توقظ ذكريات طويلة ، وكانت تأمل هذه الزيارة منـذ سنوات ، صـارت بعـدهـا ابنة ثلاثة وثلاثين سنة وموسى ابن ثلاثة وعشرين عامًا ·

طاووس وقـد ذهبت إلى المنصور واقـتربت منه : مـتى نذهب يا حبـيبى ؟ هل ننطلق الآن ؟ قم حـتى نستـعد للرحيل ·

المنصـــور : أنت مستعجلة جـداً ، وكلامك يجعلنى فى قلق شديد
.. ثم وقع نظره على وجـه طاووس الأحمـر وقال لا
تفعلى حتى ..... فقاطعته طاووس

وقـــالت : استحلفك بالله .

المنصـــور : حسنًـا ، انتظرى أيامًا قليلة حـتى أنتهى من شـغلى ،
فآمر بتجهيز القافلة ثم ننطلق بعد يومين أو ثلاثة .

سعـدت طاووس سعــادة غامـرة ، وقامت من مكانــها
وبدأت ترقص من شدة الفـرح فصاح المنصـور: أسدلى
الستار وارقصى بلا حجاب .

فذهبت طاووس راقصة حتى تسـدل الستار ، فوجدت
خادمها بجوار النافذة مـتظاهراً بأنه يعمل شيئًا ، إلا أنه
كـان يصغـى إلى الكلام الذى يدور بينهـمـا فأسـدلت
الستار واستعدت لسفر طويل .

جاء صبح يوم الرحـيل ، وطاووس منهمكة فى ترتيب
لوازم السفر وكل ما تحتاج إليه ، فهى لم تنم منذ ليلتين
تفكر فى سفـرها ومتى يبدأ وهل سيكون ناجـحًا ومتى
تصل إلى بلدها وهل يســمح لها المنصـور بزيارة أبيـها
وأخيها وعمتها ، هل يمكن أن تذهب إلى شيراز لزيارة
العم إبراهيم وزوجته عصمت هانم و... و...

وكانــت تفكر فى كل شىء إلا الساحـر لأن همهـا هو
الوصول إلى أسرتهـا فقط ، موسى وهل أصبح كـبيراً
وصارت صورته مثل حميد فى تلك الأيام ، وهل صار

أبوها عجوزاً أو لعله صار شاباً لأن الفقر يجعل الإنسان عجوزاً ، أما المال فمن أفضل الوسائل التى تحافظ على شباب الإنسان ولعله قد تزوج بماله ... ، ...
وهل عندما يصل سوف يكون أبى فى البيت ، لماذا أفكر فيه ، الأفضل ألا يكون موجوداً إن الأب الذى لا يعرف قيمة أولاده فيبيعهم إلى الآخرين فإنه لا يستحق كلمة " أب " ولكن إذا طرقت الباب ووجدت زوجة أبى ماذا أفعل؟
لا أستطيع مشاهدتها ومن يدرى أنها تعرفنى أو أنها سوف تفتح لى الباب ؟! وإذا أغلقت الباب فى وجهى أمام المنصور ، فسوف يكون هذا خزياً عظيماً ، وإذا عرفتنى وفتحت لى الباب ثم سألتنى: أين ولدك بعد هذه السنوات ؟ هل أقول لها : إننى عقيم ، أو لقد جعلنى أبى عقيماً .
أخذت طاووس نفساً عميقاً وقالت فى نفسها : لو رفض أبى أن يزوجنى من حميد لماذا لم يزوجنى من شخص آخر ، حتى أزوره بعد خمسة عشر عاماً وحفيده معى ؟
هل متعته فى الأموال فقط وليست فى حفيد يجلس على ركبتيه ويلعب معه ؟
يا أبى كنت سبباً فى عقمى وعدم إنجابى ، كنت أريد... وكنت أريد و... لقد امتلأ قلبها بالكراهية لأبيها.

كل هذا دار بخلدها وهى تتناول الفطور بجوار المنصور بجوار المنصور تأخذ اللقمة وتأكلها وهى شاردة ، ولذلك كانت الكلمات تخرج منها دون دراية ، ومن ذلك قولها : كنت أريد ولدًا . . . كنت أريد ولدًا .

وعندما سمع المنصور كلامها غير اللإرادى ،اضطرب وقال : ماذا بك يا طاووس ، لماذا تصرخين وتقولين : أريد ولدًا أريد ولدًا ؟ وهل أنا لا أريد ولدًا ؟

وفجأة دخلت جاريتها احترام هانم متسللة وفتحت باب الغرفة وقالت : ماذا تريدين يا سيدتى ؟

ثم وقعت عيناها على المنصور فقالت : عفوًا يا ياسيدى هل طلبت الهانم شيئًا ؟

غضب المنصور وقال : وما شأنك ، اخرجى وانشغلى بعملك .

وعندما شاهدت الجارية غضب المنصور اضطربت بسبب عدم استئذانها بالدخول ، ثم أرادت أن تعرف رد فعل المنصور تجاه فعلتها فقالت له : إن صاحب العربة (الحوذى) ينتظركم بالخارج يا سيدى .

المنصور : حسنًا بعد الأشياء معك ، اللحاف والمراتب .

احترام : سمعًا وطاعة يا سيدى ، وهمت بالانصراف .

المنصور : احترام . . . احترام .

رجعت : قائلة : نعم يا سيدى .

وكانت طاووس مشغولة بتجـهيز الإفطار إلا أنها كانت مصغية إلى الكلام الذى يدور بين المنصور واحترام·

المنـصــــور : لا تذهبى بهذه الأشياء إلى العربة·

فــاندهشت طاووس وقـبل أن تسأل عــن السبب، قـال

المنـصــــور : وقولى له إن سيدى قد ألغى قرار السفر·

ولما كانت احتـرام تتوقع هذا من المنصور ، لـم تقل شيئًا لكنها وقفت وهمست فى نفسها لكن لماذا ؟

فاض كيل الصبر بطاووس وصاحت : لماذا لا نذهـب ؟

المنـصــــور لاحترام : أخرجى وأغلقى الباب خلفك

طاووس تقوم من مقامها وتجرى نحو الباب وتنادى على

احــتـــرام : احترام ··· احترام

احــتـــرام : نعم يا هانم·

طـــاووس : لا تقولى شـيئًا من هذا الكلام بل خـذى كل الأغراض إلى العربة·

المنـصــــور : لا نريد أن نسافر·

طـــاووس : ولماذا؟

المنـصــــور : اسألى نفسك·

طـــاووس : وعن أى شىء أسأل نفسى ؟

المنـصــــور : ألم تقولى أريد ولدًا ؟

طـــاووس : وما علاقة ذلك بإلغاء السفر ؟

المنـصــــور : وهل نسـيت أن هناك من ينتظرك فى " سـروسـتـان " بلدتك·

طـــاووس غاضبة : ومن ينتظرنى هناك ؟
المنـصـــور : حميد مثلاً ·
طـــاووس : لقد مات حميد فى الوقت الذى تركنا فيه البلدة ·
المنـصـــور : من أين عرفت هذا ؟
طـــاووس : زوج سلطان ·
المنـصـــور : من سلطان؟
طـــاووس : جاريتك وزوجها الذى كان يرافقك فى أسفارك ·
المنـصـــور : تقصدين أن " ناصر " هو الذى أخبرك بهذا ؟
طـــاووس : نعم ، هو الذى قال لى هذا الخبر ·
المنـصـــور : متى أخبرك بهذا ؟
طـــاووس : منذ ثلاث سنوات تقريبًا
المنـصـــور : وماذا قلت له عن حميد ·
طـــاووس : قالـت لى سلطان إن زوجهـا يذهب إلى تلك النواحى فى سفرات تجارية ·
المنـصـــور : وماذا بعد ذلك ؟
طـــاووس : طلبت منه أن يأتى بأخبارهم ·
المنـصـــور : إذن صنعت لك الجواسيس أيضًا ؟
مكثت طـاووس لحـظة ،وكـانت إحـتـرام تسـتـمع حوارهما ، ثم ضحكت وقالت : ما معنى الجاسوس، لقد قلت له أن يأتى بأخبارهم وجاء بها ·
المنـصـــور : وماذا عن أبيك وموسى ؟
طـــاووس : المخبز مغلق ، ولم يلتق بموسى كذلك ·

ثم توجهت طاووس بالحديث إلى إحترام وقالت :
خذى الأغراض إلى العربة ونحن قادمون.
ذهبت احترام،وذهبت طاووس حتى تسكن غضب المنصور غمزت له وقالت بلهجة حنونة: بعد خمسةعشر عامًا،وعندما قررت أن تخفف عنى قليلاً قلبت الأموروزدت فى أحزانى،من أنت إذن؟
وبعد فترة ، ركبا العربة التى يجرها حصانان ، واستعد للرحيل وكان هيبت يرقص أمام الحصان ليلفت نظر المنصور إليه ، وحبيبة إحدى جواريه تقف وفى يدها صينية ومصحف وفاطمة الطباخة تضع حلة من الطعام على العربة وبعد لحظات وبعدما قسم المنصور بعض القروش ، بدأت العربة فى السير ، واتجهوا نحو الصحراء عن طريق الشوارع الحديثة التى لم يكن السفر عن طريقها ممكنًا قبل عدة سنوات.

الفصل السابع

الرجوع إلى مسقط الرأس

مر موكب الملك المنصور بآخر جبال قرية " سروستان " في وقت الغروب وقت إدبار النهار وإقبال الليل ، وكانت طاووس تخرج رأسها في كل لحظة حتى تنظر إلى مسقط رأسها ولو من بعيد.

وكان المنصور نائمًا في زاوية من زوايا العربة ، وفجأة توقف الحصان عن السير وتغير حاله ،وأخذ عبد الله صاحبه يضربه ويحاول إجباره على السير دون جدوى.

المنصور وقد استيقظ لطاووس التي أمسكت بجدران العربة حتى تحفظ توازنها : يبدو أن الحصان قد رأى ثعبانًا ولهذا لا يريد أن يسير .

طاووس : وقد ارتعدت : أنا أخاف من الثعبان وأخشى أن يأتي إلى العربة .

المنصور : اسكتي ، إن الثعبان لا يصعد العربة.

نظر عبد الله على الأرض فلم يجد أثرًا للثعبان ، فقال : لا أعرف لماذا يأبى هذا الحصان أن يمشى ·

كان الحصان يصهل بشدة ويرفع يديه إلى السماء كأنه يخشى أمرًا ما ، ونزل عبد الله وأخذ بلجامه ، فوضع الحصان يديه على الأرض ، وقاده عبد الله لمسافة ثلاثين أو أربعين قدمًا حتى يبتعد عن ذلك المكان ، ثم ركب واستمر الحصان فى المشى ·

قالت طاووس : نذهب أولاً إلى بيت أبى ، إنى أريد أن أزور موسى·

وكان المنصور يريد هذا أيضًا ولكنه أراد أن يداعبها قائلاً : بل نذهب إلى الساحر أولاً ·

فبدأت طاووس تلح بشدة ، وترجوه أن يذهب إلى بيت أبيها أولاً ، ولما زاد التماس طاووس إلى حد أن الدموع جرت من عينيها قال لها : لا بأس ، نذهب إلى بيت أبيك أولاً فسعدت وضحك المنصور من سذاجتها ·

الذكريات الماضية

لقد كبرت تلك الأشجار التى كانت أمام البيت ولكن الباب الخشبى لمخبز عمران يبدو من بين الأغصان والأوراق الخضراء ·

مر موكب المنصور من فوق الجسر (الكوبرى) القريب من البيت ، ودخل محيط بيت طاووس لكن بيت المخبز كان مغلقًا ، وألوان الجدران والأبواب تدل على أن البيت مهجور وكذلك المخبز ·

المنصور لعبد الله (الحوذى) : على رسلك هنا يا عبد الله ·

وطاووس المليئة بالشوق لأهليها وذويها تقذف بنفسها على الأرض قبل أن تقف العربة وتجرى نحو باب البيت وتصيح دون قصد : موسى أين أنت يا أخى ؟

ثم نظرت إلى البيت فوجدت شكل الباب والتراب المتراكم عليه يدل على أن البيت غير مأهول منذ سنوات عدة ، فتحولت فرحة طاووس إلى حزن وقلق ، فرجعت إلى الخلف لتجد المنصور ينزل من العربة فقالت : ملك : يبدو أن البيت خال من أهله ·

المنصور نعم فالإنسان عندما يصير غنيًا لا يمكن أن ينظر إلى مثل هذه البيوت فضلاً عن الإقامة فيها ·

ثم تقدم المنصور ليلقى نظرة على جالخ البيت من ثقب الباب إلا أنه لم يستطع أن يرى شيئًا ، وطاووس تقف مترقبة تريد أن تعرف ما حدث لأبيها وأخيها موسى فنظرت إلى عبد الله الذى كان يربط حصانه فى الشجرة الكبيرة وقالت له : يا سيد عبد الله ··· يا سيد عبد الله ·

عـــبـــد الله : نعم يا سيدتى ·

طـــاووس : هل من الممكن أن تتـســور الجـدار وتفـتح البـاب من الداخل؟

عبد الله (ينظر إلى الملك المنصور منتظراً منه) ·

المنـصـــور : هيا يا عبد الله ، لماذا تنتظر ؟

فنظر عـبـد الله نظرة أخرى إلى الجـدار ثم إلى البـاب ويقول : إن الجـو مازال نهاراً والسـارق يأتى ليلاً " ثم أمسك بحلق الباب ، ووضع قدمه على قبضة الباب ، وقفز إلى أعلى الجـدار ، وجلس عليه ونظر إلى داخل البيت ·

طـــاووس : ماذا ترى داخل البيت ·

عـــبـــد الله : يرى هنا كل شيء سوى الإنسان ·

طاووس التى تريد معرفة ماذا يجرى خلف الباب : لماذا لا تجيب ماذا عندك؟

عـــبـــد الله : بعض الأشيـاء غيـر المرتبة مـثل حجـر الرحى ، وقدر وسرير وقليل من الأعشاب نبتت خلف الباب ، وفرش قديم·

المنـصـــور : انزل إلى أسفل الجدار وحاول فتح الباب ·

نزل عبد الله وحاول أن يفتح الباب وقال للمنصور ادفع البـاب وبعد مـحـاولات عديدة انفـتح البـاب، فنظرت طاووس إلى بيتها فوجدته قد تغـير فصار السرير رميما وامتلأ القدر بماء المطر وتحلل الـبساط بفعل الماء والطين

ونظر المنصور إلى البيت فوجده بيت أشباح ·

دخلت طاووس البيت وتجددت ذكريات صباها ونظرت إلى الجدار علها ترى حميدًا وأغمضت عينيها واضعة يديها عليهما ، وفجأة ضعفت قدماها مثلما حدث وهى تخرج من بيت أبيها فى يوم عرسها ، وارتعش بدنها ، فحاولت أن تصعد السلم وتمالكت حتى صعدت فوجدت زجاج النوافذ مكسورًا وفتحت باب الغرفة فوجدت السراج القديم والملاعق والأطباق التى أكلت الضيوف فيها يوم عرسها ، ثم خرجت وهى تقول فى نفسها يا إلهى أين موسى وعمران ، ألا يوجد فى البيت أحد ، ودخلت الغرفة الثانية التى عقد فيها عقد زواجها ، فوجدت بعض الطعام ، وقد سقط عليه التراب ،ثم نظرت إلى الجدران والسقف فوجدت أوراق الزينة التى لصقت يوم عرسها ما زالت موجودة ، ثم نظرت إلى المائدة فتخيلت أن شخصًا جالسًا عليها فقالت فى نفسها : يا إلهى من الرجل ذو الشعر الطويل الأبيض ، واللحية الطويلة البيضاء ، الأغبر الوجه الذى مزقت ثيابه·

ارتعشت طاووس واضطربت وخافت خوفًا شديدًا ، ودارت بها الدنيا ومع ذلك كانت تظن أنها تعرف هذا الشخص ، فقالت : أريد أن أتأكد منه يا إلهى هذا حميد ، يا حميد ماذا تفعل هنا ولماذا أنت أشعث أغبر

على هذه الحال ؟ هل تنتظرنى حتى الآن ؟

المنصور يدخل الحجرة ويرى طاووس وقد دارت بها الدنيا وعاودها المرض فيضطرب ويقول: طاووس... طاووس.

سقطت طاووس على الأرض ، وأسنأنها تصطدم ، وتئن أنينًا مسموعًا فهرول المنصور ، وأخذها بين أحضانه ورفع رأسها ووضعها على فخذية وضرب على خدها وقال : طاووس... طاووس ، قومى، إلا أنها كانت فى غيبوبة وسمع عبد الله صوت المنصور ،فاتجه إلى تلك الغرفة التى كان المنصور فيها ، وقال : ماذا حدث يا منصور ؟ ولماذا سقطت الهانم على الأرض؟!

المنصور : لقد عاودها المرض مرة أخرى.

عبد الله : أية مرض ؟ هل كانت الهانم مريضة؟

المنصور : بل هى مريضة منذ خمسة عشر عامًا ، ويعاودها المرض كل خمسة عشر يومًا .

عبد الله : وماذا نفعل الآن؟

المنصور : لا شىء ، لابد لنا من مكان جيد تستريح فيه حتى ينتصف النهار حتى تفيق من هذه الحال.

عبد الله : كنا قررنا أن نذهب إلى الساحر من هنا.

المنصور : نعم جهز العربة حتى نأخذها إلى هناك الآن .

خرج عبد الله مسرعًا إلى الخارج ،وجاء بالعربة أمام البيت ، وحمل المنصور طاووس ،وخرج من الغرفة

وأغلق الباب ، ونزل السلم بصعوبة شديدة ، حتى أنه كان يلهث من شدة التعب ، ولا عجب ، فهو فى السبعين من عمره وحمل طاووس أمر بالغ الصعوبة بالنسبة له ، ومع هذا حملها إلى العربة وأجلسها وجلس بجوارها ثم نادى على الحوذى : أغلق الباب يا عبد الله ·

فأغلق عبد الله الباب ثم ركب وقال : إلى أين يا سيدى ؟

المنصور : اذهب إلى شارع لقمان الدولة ·

عبد الله : من أية جهة يا سيدى؟

المنصور : لا أعرف ، أسأل أى شخص ·

قطعا شوطًا كبيرًا فى الطريق ، ووجدا رجلاً يسحب بقرة ، فخاطبه قائلاً : يا عمى أين شارع لقمان الدولة؟

الرجل : بعد شارعين على اليد اليسرى ·

المنصور : اسأله أين بيت أمير شاه نوائى؟

عبد الله : وأين بيت أمير شاه نوائى يا عمى ؟

الرجل : لماذا ألديكم مريض؟

عبد الله : نعم لدينا مريض ·

الرجل : هو هو يأخذ النقود ولا يفيدكم شيئًا ·

المنصور : قل له : لا بأس ، نحن نريد عنوانه ·

الـــرجـــل : (بعـد أن سـمـع المنصـور) : إذا دخلت الشـارع ، البيت رقم ٧ على يدك اليسرى٠

عـبـد الله : بارك الله فيك ، شكراً٠

ضرب عبد الله الحصان بسوطه ، فأسرع الحصان ودخل الشارع وأخذوا يبحثون عن الباب السابع، فوصلوا إلى بيت ذى جدران رقيقة وباب بنى ، فنزل عبد الله وطرق الباب ، وبعد لحظات جاءت امرأة قبيحة الوجه تشبحه السحرة وقالت: من الطارق؟

ارتعد عبد الله إذ إنه لم يتعود زيارة مثل هذه الأماكن ، ولم يستطع إخفاء خوفه ، فقال بصوت مرتعش : جئنا من السفـر ولدينـا مريض فـتحت المرأة القـبيحـة جداً البـاب ، فإذا هى سـاحرة قـبـيحـة الصورة ، عـيناها حـمراوتان كـالدم ، تمسك بيـدها فـانوسًـا ، فخـاف المنصور وعبد الله من شكلها٠

تفكر المنصور فى نفـسه وكأنه يريد أن يعـود من حيث أتى ، لكنه عاد ويقول إننى لم أقطع هذه المسـافة كلها حتى أعود بلا فائدة٠

السـاحـرة : أدخلوها٠

المنـصـــور : السيد أمير شاه نوائى موجود؟

السـاحـرة : نعم موجود٠

نزل المنصـور وأخـذ طاووس فـى أحـضـانه ، فنظرت الساحرة إلى طاووس وقالت : أهى بلا روح؟

المنصور فى سخرية : ما زال لديها بعض الروح ، فإلى أين أخذها ؟

الساحرة : أدخلها فى الغرفة الكبيرة.

وتقدمت الساحرة ، وسار المنصور خلفها ، وعبد الله يتأمل البيت ويقول فى نفسه : إن هذا البيت هو بيت السحرة ، ودخلت الساحرة الغرفة ، دخل المنصور وراءها ، فإذا هى غرفة كبيرة ذات سقف خشبى وجدران من الطين مفروشة بالحصير ، والساحر يجلس على مكان مرتفع أمامه مائدة صغيرة عليها أربعة سرج وبيده بعض الأوراق يرسم عليها أشكالاً فنظر المنصور إليه وقال: السلام عليكم يا سيدى.

أمير شاه نوائى : وعليكم السلام ، أهلاً وسهلاً .

يتقدم المنصور الذى كان يحمل طاووس ويضعها أمامه ، فنظر الساحر الذى كان يتظاهر بأنه مشغول فى الرسم على الأوراق وقال : ما مرضها؟

المنصور : إن مرضها قد استمر خمسة عشر عامًا .

أمير شاه : متى يعاودها المرض كل مرة؟

المنصور : بعد أسبوع أو أسبوعين

أمير شاه : وكيف يبدو مرضها؟

المنصور : تشعر بدوران رأسها ، ثم ترتعش وتتصادم أسنانها ، ثم يغمى عليها وتسقط على الأرض.

أمير شاه : متى جاءتها الغيبوبة الآن؟

المنصـــور : منذ ساعتين.
أمير شاه : أين؟
المنصـــور : فى بيت أبيها ، لقد جئنا لتزور أسرتها وأعالجها ، ولكننا لم نجد أحدًا فى بيت أبيها ، وعندما رأت وضع البيت عاودها المرض.

تفكر أمير شاه جيدًا ، ثم صاح صيحة شديدة فخاف منها عبد الله والمنصور ، ثم مد يده ، وأخذ العصا من على مائدته ، وأدارها فى يده ، ثم ضرب بها على الأرض فاندهش عبد الله دهشة كبيرة ، ثم خاطب الساحر الساحرة قائلاً: أحضرى وسادة وضعيها تحت رأسها ، لقد عانت كثيرًا من آلام الغربة.

المنصـــور : نعم نعم ، لقد ابتعدت عن بيت أسرتها خمسة عشر عامًا عاشتها فى " بلوشستان".
أمير شاه : وقد هرب أبوها بالحصان المسروق.
المنصـــور : لماذا الحصان المسروق، لم يكن سارقًا ، إنه عمران الخباز الذى كان عنده مخبز فى هذه المنطقة.
أمير شاه : أنت لا تعرف ، إننى أشاهده الآن وهو يفر.

جاءت الساحرة بالوسادة ووضعتها تحت رأس طاووس وقالت : وأنا أيضًا أشاهده ، وهو الآن يمشى فى الصحراء حيرانًا ، وهناك ذئبان يتربصان به وبفرسه.

أمير شاه : مخاطب الساحرة: لقد قلت لك مرارًا لا تتدخلى فى عملى ، وعندما أتكلم يجب عليك أن تسكتى.

الساحرة : كيف أسكت وأنا أرى كل شىء ثم أضافت : لا بأس تفضل أنت ، ولكننى أرى نقوده وقد وضعها تحت حجر .

أمير شاه غاضبًا :اخرجى من هنا .

الساحرة : سأصمت وتكلم أنت .

أمير شاه مخاطبًا المنصور: عندما رجعت من السفر بأموالك وقافلتك التجارية .

المنصور : نعم . . نعم يا سيدى .

أمير شاه : لقد أغويت أباها بالمال .

المنصور (لأنه لا يريد أن يفشى سره أمام عبد الله) مخاطبًا عبد الله : اخرج يا عبد الله وانتظر بالخارج .

فخرج عبد الله من الغرفة وأغلق الباب خلفه ، وبدأ يسير فى فناء البيت .

المنصور : عفوًا ، استمر .

أمير شاه : وكانت نقودك سببًا فى إزهاق روح شاب هوى من فوق الجبل .

عرف المنصور أن الساحر يقصد حميدًا ابن عمة طاووس وقال : استمر من فضلك .

أمير شاه : وكذلك كانت نقودك سببًا فى تدمير قبيلة .

المنصور : لماذا أصبحت أموالى سببًا فى هذه الكوارث .

أمير شاه : لأنها من طريق غير مشروع .

المنصور الذى يعرف كيف حصل على أمواله يندهش من مهارة الساحر ويقول: استمر ·

أمير شاه : وكذلك كانت سببًا فى تدمير هذه الفتاة وأبيها ·

المنصور : بعد أن فقد القدرة على تحمل هذا الكلام : لقد اشتريتها من أبيها وحملتها إلى بلدى بلوشستان ، وعشنا خمسة عشر عامًا من السعادة ·

أمير شاه : كيف تعيش فى سعادة وهى الآن راقدة مثل الميت؟

نظر المنصور إلى طاووس وأدرك أنها سوف تفيق بعد قليل وتعرف كل شىء ·

حقاً لقد عرفت كل شىء إذ أنها مستيقظة ، تفتح عينيها فى بطء، ولكنها لم تكن قادرة على الحركة أو القيام،وسمعت كل شىء وفهمت كل ما دار حولها ·

أمير شاه : وقد هرب أبوها بعد موت ابن أخته بالأموال التى أخذها منك على الحصان المسروق ·

اضطرب المنصور الذى لم يرد أن يستمر الساحر فى كلامه حتى لا تفهم طاووس ومن ثم قال:نعم··نعم تفضل وأكمل بسرعة

أمير شاه : لقد اتجه نحو اصفهان ، ومات حصانه بعد ثلاثة أيام من شدة التعب·

المنصور : وماذا حدث بعد ذلك·

أمير شاه : مات حصانه·

المنصور : نعم ، وماذا حدث بعد ذلك له؟

أمير شاه : حاصرته الذئاب بعد يوم من المشى على قدميه وافترسته .
وفى هذه الحال عرفت طاووس كل ما جرى بين أمير شاه والمنصور من الحوار ، فصاحت بلا إرادة ، وقامت من مكانها ، وجلست فشاهدت الوجوه القبيحة لأمير شاه والساحرة تحت ضوء السراج ، فعلمت أنها فى مكان العلاج ، وسلمت على أمير شاه والساحرة ، وقالت : وأين أمواله الآن ؟ فعرف المنصور وأمير شاه وزوجته الساحرة أن طاووس عرفت كل شيء .

أمير شاه : عندما وقع أبوك تحت حصار الذئاب دفن أمواله تحت حجر أحمر .

وقال : هذه أموال ابنتى طاووس ، ويجب أن تأخذها بنفسها .

المنصور : وهل تلك الأموال موجودة الآن؟ وهل أستطيع الوصول إليها ؟

أمير شاه : لا أنا ولا أنت يستطيع أن يحصل عليها ، ولا يستطيع ذلك إلا طاووس بنفسها أو من ترسله ليحضرها لها .

طاووس : لو ذهبت أنا ألا تهاجمنى الذئاب ؟

أمير شاه : لا ، بل سوف تحصلين على تلك الأموال دون أى ضرر ، أما إذا حاول أحد غيرك الحصول عليها فسوف يصيبه الأذى الشديد .

طاووس : وكيف أحصل عليها ؟

أمير شاه : الطريقة على ، والحصول عليك ولكن بشرط أن تعطينى حقى .

فضحك المنصور وطاووس معًا وقالا : لن نتساك أبدًا .

أميـر شـاه : لقد تقدم أبوك نحو خمسمائة خطوة إلى الأمام بعدما دفن النقود ، فهاجمه ذئبان ، وافترساه وتركا عظامه وهى موجودة حتى الآن وعليك أن تدفينها فخافت طاووس أولاً ، ثم قالت : لا بأس سوف يساعدنى فى ذلك المنصور وعبد الله .

أميـر شـاه : لا ، إننى أرى أن تذهبى أنت وأخوك فقط للحصول على تلك النقود المدفونة فسعدت طاووس بسماع كلمة " أخوك " وقالت : أخى ، وأين هو الآن ؟

أميـر شـاه : لا داعى سوف تعثرين عليه قريبًا ، ثم أضاف قائلاً : ولكن ينبغى أن نخرج الشبح القبيح الذى دخل جسمك .

المنصـور : من هذا الشبح القبيح؟

أمير شاه : الذى دخل فى جسمها ووجودها فى تلك الليلة أثناء وجودها فى غرفتها .

المنصـور : يا أمير شاه أنا أرى نفسى فى وجود طاووس ، فهل هذا حقيقة أو خيال ؟

أميـر شـاه : صحيح أنت عرفت جيدًا ، ولكن لن يستغرق الأمر وقتًا طويلاً وسوف ترى زوجتك سالمة .

فسألت طاووس مندهشة : أنت ترى نفسك فى وجودى يا منصور ؟

المنصـــور : نعم ولكننى لم أذكر لك شيئًا عن هذا الأمر.

اتجه أمـير شاه إلى الساحـرة وقال : أحضـرى الوسائل التى نستخدمها لاستخراج ذلك الشبح القبيح من وجود هذه السيدة : فقامت الساحرة وذهبت إلى مائدة أميـر شاه وأخذت مـن فوقهـا خرقة مـستطيلة حـمراء وفرشتها فى وسط الغرفة ثم رجعت إلى مكانها.

الشبح القبيح فى وجود طاووس:

مساحـة الغرفة التى يوجد فيـها المنصور وطاووس الآن عشرة أقدام عرضًا فى ثلاثين طولاً جدارها من الطين ، وسقفهـا من الخشب المتين مفروشة بالحصـير وبها نافذة صغيرة أمير شاه يخاطب المنصور قائلاً : إن زوجتك قد دخل الجن فى وجـودها منذ فـترة طويلة وسـوف تنام ولا تشعر بما يحدث لها ،لكنك لـن تستطيع مشاهدتها فى هذه الحالة ، ومن ثم فعليك أن تخرج.

المنصـــور : أريد أن أبقى ، فـأنا جـرىء وكنت معـرضًـا لهجـوم الجنيات فى أثناء أسفارى فى الصحراء.

أمـيـر شـاه : إن وجودك فى هذه الغـرفة سوف يفسد كل مـحاولاتنا إذا خفت من مشاهدة زوجتك.

المنصـــور : أعدك بألا أخاف.

أمـيـر شـاه : إذن ، فاجـلس فى زاوية ولا تتـحرك مهمـا شاهدت من أمور.

المنصـــور : لا تقلق.

قام أمير شاه من مكانه وأجلس المنصور فيه وقال للساحرة : اذهبي وأحضري المساكين المساعدين.

قامت الساحرة من مكانها وخرجت ، ثم أخذ أمير شاه قلنسوة بيضاء من درج المائدة التي أمامه، ووضعها على رأسها ، فخافت طاووس من أفعال أمير شاه فضلاً عن خوفها من صورته، فنظرت إلى المنصور وتبسما سرًا .

فتح الباب بعد لحظات قليلة ودخل ثلاثة رجال طوال القامة وهم راكعون على رأس كل واحد منهم قلنسوة،يمشون بالترتيب منظمين ، وعلى وجه كل منهم قناع يصل إلى ركبته ويرتدي سروالاً ضيقًا ويمشون حفاة ، فخافت منهم طاووس خوفًا شديدًا ، إلا أن وجود المنصور كان يقلل من خوفها.

المنصور : لا تخافي واصبري.

طاووس مع شدة خوفها : لست خائفة.

أخذ أمير شاه سراجًا من الأربعة ، ثم أخذ كل واحد من مساعديه سراجًا واصطفوا خلفه ، وبدأوا في الطواف داخل الغرفة على بعد متر من الجدار بخطوات قصيرة متقاربة ، ثم فتح الباب ودخلت الساحرة وأخذت طاووس من يدها وأرشدتها إلى تلك الخرقة المفروشة وسط الغرفة ، وجعلتها تنام عليها ، والمنصور يشاهد الرجال وهم يطوفون ويقولون خلف أمير شاه :

" هيا هو كاروسي جارت رو"

وطاووس راقدة على الخرقة مفتوحة العينين تنتظر حتى ترى ماذا يحدث ذلك ، ووقفت الساحرة بجوار طاووس وقرأت الورد ، وأشارت بيدها إلى طاووس وقالت :

" هى راهوا ميركم شود جن خبيث "

ثم نظرت إلى عينى طاووس نظرة فاحصة وقالت لها : نامى ... نامى فنامت طاووس نومًا عميقًا وكان المنصور يشاهد تلك المشاهد باستغراب شديد إلا أن الواقعة التالية كانت أشد غرابة ، حيث نامت الساحرة على طاووس ومحيت فى وجودها بل اتحدت معها ، بحيث إن المنصور لم ير الساحرة قط.

ثم وقف أمير شاه ومساعدوه الثلاثة على الزوايا الأربعة للخرقة ، بعد أن أكملوا الطواف داخل الحجرة وبأيديهم السرج ثلاث مرات.

جلس أمير شاه أولاً على الجانب الأيمن عند رأس طاووس ، ووضع سراجه أمامه على الخرقة ، ثم جلس أحد مساعديه فى الجانب الأيسر من رأسها ووضع سراجه على الخرقة ، ثم جلس أحد مساعديه فى الجانب الأيمن من قدم طاووس وجلس الرابع فى الجانب المقابل له ، ثم رفع الجميع أكفهم إلى السماء ، فظهر فى يد كل واحد مجلد أحمر بعد لحظات قليلة ، فأنزل كل واحد كتابه ووضعه على ركبته وبدأوا يرددون

الأوراد التى يتلوها أمـيـر شـاه وهم يحـركـون أيديهم للأمام والخلف ، ومن هذه الأوراد :

سى رامو - هاتواى - شاروفى - خـامورى - كافاتا - همورى - فاخوتى

وكان المنصـور خائفًا جـدًا من هذا المشهـد إلا أنه كان يحاول ألا يتحــرك على الإطلاق كما وعد أمـير شاه من قبل .

وحدث مشهد عجـيب ، فلقد طار جسد طاووس كما هو وأخذ يدور فى الحجرة ، فـاشتد خوف المنصور إلا أنه كان متـذكرًا وعده لأمير شاه فلم يغـير من حاله ، وتحرك جـسم طاووس فى فضـاء الحجـرة وأخذ يطوف على بعد قـدم من الجدار مع ارتفاع طول إنسـان وكان السحرة مشـغولين بأوراد، وكـان المنصور يشـاهـد كـل مـا يحدث فى تلك الغـرفـة - مع خوفـه - باندهاش وإعجاب بالغين .

أما صاحب العـربة فقد نفذ صبـره فى الخارج ، وجاء إلى الباب ففـتحه ، فنظر أمير شـاه إلى الباب،وانشغل بقراءة الأوراد من الكتاب ، وعندما شاهد عبد الله هذا المشـهـد كـاد يصـرخ من شـدة الخـوف إلا أنه شـجع نفسه ،وجلس على الأرض خلف البـاب ، فأشار إليه المنصور أن يلتزم الصمت فى هذه الغرفة .

وبدأ جسم طاووس يطوف حتى إذا جاء فوق رأس عبد الله ، ظن أنه سيسقط فوقه فطأطأ رأسه خائفًا ، فجاوز الجسد عبد الله ووصل إلى المنصور إلا أنه لم يخف ، بل كان ينظر إليه ويتأمله وهو يطوف فى الحجرة ، وعندما أكمل الجسد الطواف الأول ، انطفأ السراج الأول من السرج الأربعة ثم توقف الشخص الأول عن تلاوة الأوراد ، وأغلق الكتاب ووضعه أمامه إلا أنه كان يتابع الحركة مع زملائه ·

وبدأ جسد طاووس فى الطواف الثانى ، فنظر عبد الله إلى المنصور وسأله بالإشارة : ما هذه العجائب التى تحدث أمام أعيننا ؟ فرد عليه بالإشارة أيضًا : إنه لا يعرف شيئاً عنها · وانتهى الطواف الثانى لطاووس وانطفأ سراج آخر ،ثم مرجسد طاووس على المنصور ، وانتهى الطواف الثالث وانطفأ السراج الثالث ، فأصبح جو الغرفة مظلمًا وجسد طاووس يرى مثل الروح التى تطوف فى الحجرة ·

وفى الطواف الرابع بدأ نور السراج يتناقص حتى هبط جسد طاووس واستقر على الأرض فانطفأ نور السراج الرابع ، وحل الظلام الدامس فى الحجرة للحظات قليلة ، ثم اشتعلت السرج الأربعة مرة واحدة وخرجت الساحرة من جسم طاووس ووقفت بجانبها ·

وقف أمير شاه من مكانه ، ووقف مساعدوه الأربعة ، وتناول كل منهم سراجه ومشى أمير شاه وسار الآخرون خلفه ووضع كل واحد منهم سراجه على طرف من أطراف المائدة وقام المنصور وأخلى مكانه لأمير شاه وجلس أمامه ، ثم خرج الآخرون من الحجرة .

وقام عبد الله من مكانه وأخذ ينظر إلى الخارجين ، ونظرت الساحرة إلى بدن طاووس وأشارت بأصابع يديها إلى وجه طاووس قائلة لها : قومى ... قومى ... قومى

ففتحت طاووس عينها وهى راقدة على الأرض ، وأخذت الساحرة تسحب الخرقة من تحت طاووس ، وبدأت تساعد طاووس على القيام .

ولم يعرف أحدكم استغرقت هذه العملية من الوقت ، إلا أنهم عندما فتحوا الباب للانصراف ، وجدوا نور الصبح ، فأدركوا أنهم استغرقوا الليل كله .

خرج المنصور وطاووس وعبد الله ، وركبوا العربة ، فخاطبت طاووس المنصور قائلة : ما هذا المكان الذى جئت بى إليه؟

ضحك الجميع ورد عبد الله : كل إنسان خلق لعمل .

المنصور : والساحر أيضًا خلق للسحر والشعوذة .

طاووس للمنصور: ماذا حدث ، وهل خرج الجن الذى كان داخل جسمى ؟

المنصـــور : الأحسن ألا تفهمى شيئًا.

طـــاووس : لماذا؟

المنصـــور : لو عرفت لخفت كل ليلة.

فضحك الجميع ، وبدأت العربة تسير بسرعة ، وعندما خرجوا من الشارع قــال عبد الله : هل ترجع إلى ذات البيت؟

فقال المنصور وطاووس معًا : لا لا لن نذهب هناك.

ونظرت طاووس إلى المنصــور ، فـضـحكا مـعًـا على ردهما معًا على سؤال عبد الله .

المنصـــور : كان السحرة شديدى البخل.

عــبـد الله : ولماذا ؟

المنصـــور : لم يقدموا لنا طعام عشاء أو فطور.

فضحكت طاووس قائلة: السحرة لا يأكلون شيئًا.

المنصـــور : كيف يعيشون من غير طعام؟

فأشار عبد الله إلى الغــربان السوداء فى السماء وقال : ينظرون إلى طيور السماء ويقولون لها كونى مطبوخة ، ثم يشيرون إلى بطونهم ويقولون : ادخلى هنا.

فضحك الجميع مـرة أخرى ، ثم قال المنصور : نذهب أولاً إلى المطعم ثم إلى شيراز.

الفصل الثامن

السفر إلى شيراز

وصل موكب المنصور فى عصر ذات اليوم إلى شيراز ، فقالت طاووس : يا ملك منصور نذهب إلى مدرسة باقرخان ، فوقف الموكب ،ونزل عبد الله إلى رجل يبيع الساندويتشات فى نهاية الشارع ، وقبل أن يسأله نظر إلى الساندويتشات فقال له : أريد ثلاثة ، فنظر البائع إلى عبد الله وأخذ ثلاثة سندويتشات وأعطاها له وقال : يبدو أنكم على سفر ·

عبد الله : نعم نحن على سفر

البائع : من أين جئتم ؟

عبد الله : من بلوشستان·

البائع : ماذا تفعلون هنا ؟

عبد الله : أراد الله أن يجعل لك نصيبًا فى نقودنا ، فجئنا واشترينا من سندوتشاتك ·

البائع : الرزاق هو الله تعالى ، فيسخر السحاب ليأتى من مكان

بعيد بل من آخر الدنيا ليمطر هنا ، وكذلك قدومك ليس ببعيد أن يكون فياضًا مثل المطر ·

عبد الله هو يضحك : أين نحن وأين البركة ؟ نحن أيضًا نجرى وراء لقمة العيش ، لقد جئنا مع المجانين ، وأشار إلى الموكب حتى يريه المنصور وطاووس قائلاً : ليتنى لم أجىء إلى هنا !!

فنظر البائع إلى المنصور وطاووس ثم إلى عبد الله ، فعرف أن طاووس والمنصور ليسا من الناس العاديين ، فقال لعبد الله : كلما انظر إليكم أرى أنك أقرب إلى المجانين منهما ·

عبد الله : لا تكثر من الكلام ، نحن نريد أن نذهب إلى مدرسة باقرخان فأين الطريق إليها؟

البائع : اذهب من تلك الجهة ، الشارع الثانى على اليمين ، سوف تجد المدرسة رجع عبد الله وأعطى ساندوتشًا للمنصور وآخر لطاووس قائلاً : المدرسة قريبة جداً من هنا ، وسوف نصل إليها الآن ، ثم ركب العربة ، ودخل بها شارع المدرسة ، فنزلت طاووس أولاً وجرت مباشرة إلى غرفة عمها إبراهيم وهى تنادى يا عمى ، يا زوجة عمى · · ·

لم ينزل المنصور من العربة، أما عبد الله فقد نزل حتى يطعم الحصان وبعد فترة لحق المنصور بطاووس التى دخلت الغرفة المفتوحة ولكنها لم تجد أحدًا ولم تجد شيئًا يدل على أن إبراهيم وزوجته يسكنان فيها ·

نادت عجوز كانت هناك : عمَّ تبحثين أيتها السيدة ؟
طاووس : أبحث عن عمى إبراهيم فراش المدرسة ·
العجوز العرجاء فى دهشة : من العم إبراهيم؟
المنصور : العم إبراهيم فراش المدرسة ·
حزنت طاووس حزنًا شديدًا لأنها كانت تود أن تلتقى بكثير من أهل القرية ، إلا أنها لم تر أحدًا وإذا كان العم إبراهيم غير موجود فسوف يكون ذلك عسيراً عليها ·
طاووس : هل هنا أحد يمكن أن نسأله عن عم إبراهيم ؟
العجوز : لا ، فاليوم عطلة ، يمكنكم فعل هذا غدًا ·
طاووس : منذ متى وأنت هنا؟
العجوز : منذ سنوات ·
طاووس : ومن كان فراشًا قبلك؟
العجوز : السيد إسماعيل ، أما إبراهيم الذى كان مع زوجته هنا كان قبل إسماعيل فمنذ متى لم تزوريهما ؟
المنصور : منذ خمسة عشر عامًا ·
العجوز : خمسة عشر عاماً ، أنت الآن لو رأيتهما لن تعرفيهما ·
طاووس : لا بأس ولكن قولى كيف أعثر عليهما ؟
العجوز : يمكن أن تأتى غدًا ، وتسألى عنهما مدير المدرسة ، نعم هو مدير جديد غير المدير السابق ، إلا أنه يمكن أن يساعدك فى هذا الأمر ، تفضلوا اشربوا الشاى أولاً ·
المنصور : نشكركم يا أمى ، سوف نأتى غدًا لنسأل عن عمى

إبراهيم وكـان المنصـور غـافلاً عـمـا يجـرى فى قلب طاووس من الحـزن والهم ، ومع أنه كـان يتظاهر بأنه يريد أقارب طاووس ، إلا أنه فى الحقـيقة لم يكن يريد هذا ، فالتـفت إلى طاووس قائلاً : حـسنًا ، نأتى غدًا ونسأل عن إبراهيم ·

خرج الجـميع من المدرسـة ، وطاووس حزينـة جدًا ، فجلست على الأرض خـارج المدرسة متعبـة ، فخشى المنصور أن يعاودها المرض مرة أخرى ، بالرغم من قول الساحر بأنهم أخرجوا الشبح من جسمها ، لأنه لا يثق فى كلامه ·

كان المنصور يسـير أمام طاووس ، فالتفت ليـجدها قد جلست على التراب بجوار الجدار ، فحزن من أجلها ، مع أنه كـان أبعـد إنسـان من الحـزن على الآخـرين وسألها : لماذا جلسـت على الأرض ؟ سوف نأتى غدًا ونعرف كل شيء ينظر عبد الله إلى طاووس ، ويخشى أن يقع لها مـا وقع فى بيت عمـران فيقـول ماذا بك ؟ هل عاودك الجن ؟

فضربه المنصور على صدره ، فأبعده عنها قائلاً له : بل هى حزينة لعدم زيارة عمها ·

عـبـد الله : حسنًا ، هذا أمـر سهل ، سنبـقى فى شيراز حـتى نجد عمهـا ، الناس يبحثون عن أحبـائهم فى العراق فكيف بنا ونحن فى شيراز ؟ الأمر مـيسور إذن وأخذ المنصور

بيـد طاووس وسـاعدها عـلى المشى ، حتى أركـبهـا العربة ، وركب عبد الله وقال : إلى أين يا سيدى ؟

المنصور : ما زالت طاووس متعبة ، ويجب أن نذهب إلى مكان جميل هادئ ·

عـبـد الله : إذن نذهب إلى الحافظية ·

المنصور : لا أعـرف ، اذهب إلى أى مكان حـتى يـأتى الليل ، فنذهب إلى الفنـدق كى نستـريح ، فنحـن لم ننم ليلة أمس ·

سـار الموكب فى الشـارع ، وبعـد لحـظات وصلوا إلى الحافظـية ، فنزل المنصـور وأخذ بيد طاووس،وأنـزلها وبقى عبد الله ·

سار المنصـور مع طاووس فى الحديقة ، فـتقدم إليهـما غلام معـه قفص به عصفوران ، وقـال للمنصور: فأل حافظ · · · فأل حافظ · · أسـتحلفك بالله أن تشترى منى فألاً · · نظرت طاووس إلى العصفورة التى كانت تتبادل العشق والحب مع زوجـها فى القفص، وأخذت نفـسًا عمـيقًـا وأعطت نقودًا للـغلام · فوضع الـغلام القفص على الأرض ، وجلـس المنصور مع طاووس ، فأخـذت العصـفورة فـألاً من بين الفألات ، فـضحك الجمـيع إلا أن ضحكة طاووس لم تكن صافـية ، لأن العم إبراهيم الذى لم تعثر عليه كان هو الطريق الوحيد لموسى وأبيها بالرغم من أنها عرفت أنه مات من قبل·

ومشت طاووس مع زوجها، حتى وقفا على ضريح حافظ وفتح المنصور الورقة ، وقال لها: انظرى فألك واسمعينا ماذا يقول ، ففتحت طاووس الورقة بلا رغبة وقرأت فيها: بشارة للقلب بأن نفس المسيح سوف يأتيه من نفس شخص آخر لا تقلق نفسك من الحزن والألم ، فسوف يصلك الغوث فالتفت المنصور إلى طاووس ، فوجدها ترتعش ، فخشى من عودة مرضها ، فأخذ الورقة من يدها وأعطاها للغلام وقال له إقرأ أنت فأخذ الغلام الورقة واستمر فى القراءة قائلاً :

ليس هنالك من لا حاجة له عند بابك
كل واحد يأتى إليك بآمال عديدة
لم يعرف أحد مكان العشق
لكن صوت جرسه يصل إلى الآذان

حينئذ ارتفع صهيل الحصان ، فنظرت طاووس إلى سقف الحافظية فرأت أن الحافظية تدور حول رأسها ، إلا أن الغلام استمر قائلاً :

أعطينى جرعة ، فنحن فى حانوت أرباب الكرم
ويأتى الناس مطلب الحاجة والتماسها
ومع أن المحبوب يحزن من مرض حبيبه
إلا أنه يسعد لأنه ما زال على قيد الحياة

وكان الضريح ما زال يدور حول رأس طاووس ، وكان صوت الغلام كـالسهام التى تصيب رأسهـا التى تتمايل يمنة ويسرة ، فـابتلى المنصور بإبتـلاء آخر مع أنه لم يمر وقت طويل على زيارته لبيت الساحرة .

ونظر عبد الله إلى طاووس وقال : هل عاد مرضها مرة أخـرى ، إن جنها ليس من الـنوع الذى يترك الإنسـان بسهولة ، وكان الغلام مستمراً فى القراءة ويقول :

تسأل الروضة عن أحوال البلبل

لأنها تسمع أنينًا يخرج من القفص

خاف الغـلام من حالة طاووس فـقرأ البيـت السابق ثم ألقى بالورقة وهرب من ذلك المكان واستمر فى الهروب حتى اختفى عن العيـون ، وكانت طاووس قد سقطت على الأرض.

وكـانت هناك امـرأتان تزوران الحـافظيـة ، فتـقـدمت إحداهما وسألت المنصور: ماذا حدث أيها السيد غضب المنصور من الحالة التـى آلـت إليها طـاووس وقـال : لا شيء إنه قـدرنا الذى قدر لنا أن نكون فـيه دائمًـا ، وأخذ شهيـقًا عميقًا ، وأسند رأسـه إلى حائط الضريح وذهب فى تفكير عميق.

التفتت المرأة التى سألت المنصور قبل ذلك إلى عبد الله وقالت : هل أنت مع هؤلاء ؟

عـبـد الله : نعم ، ولكن كيف حال الهانم ؟

المـــــرأة : أمامكم عـيــادة طبيب مــاهــر فى عمله ، فـخذوها إلى هناك ·

نظر عبد الله إلى منصور فوجده حزينًا جدًا فقال للمرأة وزميلتـها : هل تتـفضلان بمسـاعدتى فى حـمل الهانم لعيادة الطبيب؟

فأجابت السـيدتان : نعم ، وليس هذا العمل بلا ثواب وأجر ، وأخـذتا بكتف طاووس وذهبتـا بها إلى عـيادة الطبيب ، ورجع عبد الله فأخذ بيد المنصور الذى كانت عيناه مليـئتين بالدمـوع ، وصار خلف السيـدتين اللتين أخذن طاووس إلى عيادة الطبيب ·

كانت عيادة الطبيب فى مبنى قديم ، ودخل الجميع إلى العـيادة فـوجـدوا عدة أشـخـاص ينتظرون الطبـيب ، فنظرت الممـرضة إلـى المريضة الجـديدة فـوجدتهـا فى غيبوبة ·

فقالت إحدى السيـدات : اتركوا هذه السيدة تدخل دون انتظار دورها فى الطابور·

فردت الأخرى : نحن هنا منذ الصبــاح ، وكل واحـد يأتى يدخل إلى الطبيب بلا نظام ·

فقالت الممرضة : لا بأس ، عندمـا تخـرج هذه المـريضـة ، ادخلى أنت بعدها مباشرة·

فـأوقفـوا طاووس على قدمـيهـا لعدة لحظات ، حـتى يخرج المريض الذى كان موجـود عند الطبيب، وعندما

خرج ، فتحت الممرضة الباب وقالت : تفضلوا فأدخلت السيدتان الغريبتأن طاووس إلى داخل حجرة الكشف وكانت حجرة قديمة بها دولاب للأدوية ، خلف مكتب الطبيب ، وأجلستا طاووس على الكرسى .

ولم يلتفت الطبيب إلى المريضة حيث كان مشغولاً فى تركيب بعض الأدوية ، لكنه قال: ماذا حدث لهذه المريضة ؟

نظرت السيدتان كل واحدة للأخرى ، وقالتا : لا نعرف شيئًا عن مرضها ، فرفع الطبيب رأسه قائلاً : لا تعرفان شيئًا عن مرض مريضكما ؟! فضحكتا ، وقالت إحداهما : كنا فى الحافظية ، فرأيناها وقد دارت بها الدنيا ، ثم سقطت على الأرض ، وكان معها رجل.

الطبيب : أنتما لستما من أقرباء المريضة ؟

السيدة : نعم أيها الطبيب ، فقط صحبناها إلى هنا.

أخذ الطبيب نفسًا عميقًا ، ثم نظر إلى المريضة وأخذ يديها ليعرف نبضها ، ثم نظر إلى عينيها متفحصًا ، فاضطربت السيدتان وقالتا : ماذا حدث أيها الطبيب :هل ماتت ؟

لم يرد عليهما الطبيب ففتحتا الباب وخرجتا من العيادة بسرعة .

دخلت الممرضة الغرفة ، وكان المنصور يجلس بجوار الباب حزينًا غاية الحزن ·

وكان عبد الله قد خرج من العيادة بعد توصيل المنصور إليها لتجهيز العربة ، ثم سألت الطبيب : ماذا حدث أيها الطبيب ؟ لم تفق بعد ؟

الطبيب : من معها؟

الممرضة : لا أعرف لقد هربت السيدتان ، إلا أن هناك عجوزاً حزينًا فى الخارج ·

الطبيب : اذهبى واسأليه عن اسم المريضة ·

الممرضة : هل أدخله إلى الغرفة ؟

الطبيب : لا ، بل اسألى عن اسمها فقط ·

المرضة تقف أمام العجوز الحزين الذى جلس على الأرض : يا عمى ما اسم مريضتك ؟

المنصور : بهدوء ولا مبالاة : طاووس ·

الممرضة : هل هى ابنتك ؟

المنصور : لا ، بل زوجتى ·

فضحكت وضحك كل من فى العيادة ، لأن طاووس الشابة لا يناسبها أن تكون زوجة لهذا العجوز، وظل المنصور صامتًا ، وتركت الممرضة المرضى ودخلت الغرفة فوجدت الطبيب مستغربًا ومندهشًا من المريضة ، فقالت له ماذا حدث ؟ لماذا تنظر إليها هكذا ؟

الطبيب : ما اسمها ؟ وكان يعرف اسمها لكن كان يريد أن يسمعه من الممرضة ·

الممرضة : اسمها طاووس ، وهو زوجها·

فبكى الطبيب فجأة بكاءًا شديدًا ، فأغلقت الممرضة الباب ، وشاهدت الطبيب وهو يضع رأسه على ركبتى طاووس وهو يبكى بكاءًا شديدًا فعرفت أن المريضة من أقاربه ، وقالت له: على رسلك أيها الطبيب حتى لا يشعر المرضى فى الخارج·

رفع الطبيب رأسه ، والدموع تكاد تغطى وجهه ، وهو يرتعش من شدة البكاء ·

ويقول : أين أنت يا طاووس ، وكيف وصلت إلى هنا ، ولا ترد عليه ، فقال للممرضة : قولى للمرضى : المريضة حالتها خطر ولن يتمكن الطبيب من الكشف عليكم اليوم ، وعليكم أن تأتوا غدًا ، وقولى لزوجها يأتى بعد ساعتين تكون قد أفاقت من الغيبوبة·

فخرج المرضى ، وكذلك المنصور الذى يأس من علاج السحرة ، ومن ثم خرج دون مناقشة ، وذهب إلى العربة وظل يبكى بكاءًا شديدًا ·

حزن عبد الله من بكاء المنصور وقال : ماذا حدث يا سيدى ؟ ادعو الله ألا يحدث أمر سيء فلم يرد المنصور عليه ، وإنما استمر فى البكاء وعندما رجعت الممرضة إلى الطبيب وجدته يبكى ويقول: طاووس ،

أختى . . . ، ولما كانت المرضة تعرف بعض أسرار الطبيب ، وإن والديه تركاه وكيف تزوجت أخته ، فرحت كثيراً بتعرفه على أخته ، ثم ذهبت وأحضرت طستًا به ماء ووضعت فيه رجلى طاووس ، وأخذت ترش الماء على وجهها ، ففتحت طاووس عينيها على صوت بكاء الطبيب ، ورأته يبكى وسمعته يقول : أنا أخوك موسى يا طاووس ، فأرادت أن تقوم وتعانقه إلا أنها لم تستطع ففاضت الدموع من عينيها حتى تمكنت من الوقوف وقامت وعانقت أخاها ، وبكيا بحرارة ، وكان ينظران كل واحد للآخر ويبكيا بحرارة .

لقد تحملت طاووس فراق أهلها طيلة خمسة عشر عامًا ، تعيش فى بحر من الغم والهم بالرغم من أنها كانت تعيش فى حياة مليئة بالترف والزخرف ، ثم جاءت لحظة لقائها بأخيها موسى ، فغسلت بدموع عينيها كل الحزن والعقد التى كانت قد تراكمت فى قلبها وكان من الضرورى أن يحدث مثل هذا البكاء ، لأن حزنها لم يكن حزن يوم ، وإنما كان حزن خمسة عشر عامًا .

جلست طاووس أمام موسى ، فجلس ووضعت رأسها على ركبتيه ، وظلت تبكى بلا انقطاع ، وهو أيضًا يجاوبها فى البكاء واستمر هذا الحال لمدة ساعة متصلة ، وكانت عيون طاووس تلمع من البكاء فيها ،

وكان ذلك يزيدها جمالاً وحسنًا أمام موسى تمامًا مثلما كانت منذ خمسة عشر عامًا،وكان وسط هذا الركام من الدموع يتضاحكان قليلاً وتشاركهما الممرضة تلك المرأة الحنون فى بكائها وضحكها ، وكان بكاء الأخوين وضحكهما كالسماء التى تمطر بينما الشمس ساطعة مشرقة، فكانت تنزل الدموع بينما شمس الفرحة ساطعة .

لم تتح الفرصة للحديث طيلة ما مضى من وقت ، وفى لحظة واحدة أخذ كلاهما شهيقًا عميقًا وإتكأ موسى على الجدار ، وأخذ رأس طاووس على ركبته ، وأخذ يقبل وجهها وهو يقول: أين كنت يا أختى ؟ الدم الذى تجمد فى عروقى قد سرى اليوم برؤيتك .

طاووس : يا أخى ، لقد صار الجميع بلا إحساس (يوم العزس) فلماذا كنت مثلهم؟

موسى وهو يأخذ شهيقًا عميقًا : يا أختى لم يكونوا يعدوننى إنسانًا فى تلك الأيام ، من كان يسمع كلامى؟ ومن كان يقبل نصيحتى ؟ دعينا ماذا تفعلين الآن ؟ ، وهل أنت راضية عن حياتك ؟

طاووس : لا تسأل عن حياتى أنا ، كيف حال بابا ؟ وأين عمتنا وعمنا ؟ وكيف حال عصمت هانم ؟
وماذا تفعل أنت؟

ثم جلست ونظرت فى عينى أخيـها وقالت : لابد انك تزوجت وأنجبت ؟

مـــــوسى مبتسمًا : أنـا متزوج وعنـدى ابـن ، وبيتى قريب من هنا .

الممـرضـة : أيها الطبيب ، أنا أستـأذنك حتى لا أعرف أسراركم ، مع أننى لا أريد أن يفـوتـنى مـثل هذا الكلام والحـوار الجميل .

مـــــوسى وهو يضحك: أهكذا لا تقـدمى لنا شايًا بعدمـا عثرت على أختى بعد هذه الفترة الطويلة ؟

الممــرضــة وقد عرفت غلطها : يا ويلى كيف نسيت هذا ؟ وقامت سريعًا مهرولة .

طـــاووس : لا ضرورة للشاى ، الأفضل أن نخرج ونتحدث معًا .

مـــــوسى : حسنًا ، نمشى إلى المطعم فى نهاية الشـارع ، فيه طعام لذيذ ، ونتحدث هناك .

طـــاووس : وماذا نفعل بالمنصور ؟

مـــــوسى : لا بأس ، لقـد قلت له إن حـالة المريضـة خطيـرة ، وعليه أن يرجع بعد ساعتين .

طـــــاووس وهى ضاحكة : إذن فقد طردته .

مـــــوسى : لقد طردنا طيلة خمسة عـشر عامًا ، فإذا طردته أيامًا ، فقد عاملته بالمثل .

فضحكا معًا ، ثم قاما من مكانهما .

موسى للممرضة : سنذهب إلى المطعم لتناول الطعام ، فإذا جاء المنصور فقولى له : إن الطبيب انتظرك كثيراً، فلما تأخرت أخذ طاووس إلى أستاذه حتى يشخص مرضها ·

فضحك الجميع ، وغير موسى ملابسه البيضاء بالملابس العادية ، وانصرف من العيادة مع طاووس، وبعد مسافة قصيرة ، وصلا إلى مطعم كبير به مقاعد للجلوس ، وقد فرشت أرضه بالسجاد الملون ، وأضىء بالسرج الجميلة ·

وكان المحل مليئًا بالرواد ، بعضهم عائلات ، وبعضهم فرادى ، يأكلون على أنغام الفرقة التى تغنى فى زاوية المحل ·

وأرشدهما عاملى المطعم إلى مكان شاغر ، فجلسا وطلب موسى العشاء وبدأ بالتحدث مع أخته عن كل شىء قديم وجديد ، عن أمه ، وعن ظلم أبيهما وعن حميد وما حدث له وكل ذلك كان كالسكين التى تطعن قلب طاووس ·

وظل المنصور نائمًا فى العربة لمدة ساعتين ، ثم استيقظ فذهب إلى العيادة فوجدها مغلقة ، وكانت الممرضة تنتظره ، فلما رأته فتحت الباب ·

المنصور : لماذ أغلقتم الباب ؟

الممرضة : لأن الطبيب قد انتهى من عمله ، وليس هناك شغل ·

المنصور : وأين ذهبت زوجتى ؟

الممرضة متجاهلة كل ما تعرفه : زوجة حضرتك هى التى كانت فى غيبوبة ؟

المنصور : نعم ... نعم ، فأين هى الآن ؟

الممرضة : لقد انتظرك الطبيب كثيرًا ، ولما لم تحضر ، أخذها وذهب بها لأستاذه لتشخيص مرضها .

المنصور : وأين عيادة أستاذه ؟

الممرضة : لا أعرفها ، الطبيب فقط هو الذى يعرفها .

المنصور غاضبًا: لقد أخطأ الطبيب إذ أخذ زوجتى إلى الطبيب آخر دون إذنى .

الممرضة : أنت غلطان ، وقليل الأدب ، ثم أغلقت الباب فى وجهه .

غضب المنصور ، وطرق الباب مرة أخرى ، ففتحت له الممرضة الباب قائلة : لماذا تزعجنى فى هذا الوقت من الليل ، إذهب لشأنك .

فعلت الممرضة كل هذا عمدًا ، لأن موسى أعطى لها الإذن بأن تؤذى المنصور.

لكن المنصور لم يسكت ، إذ ضرب الباب وفتحه ودخل إلى غرفة الطبيب فلم يجد أحدًا ، ثم صاح: أين زوجتى ؟

الممرضة وهى خائفة : لقد خرجت مع الطبيب.

المنصور : هل الطبيب متزوج ولديه أولاد ؟

المـمـرضـة : نعم.
المنـصـور : أين بيته ؟
المـمـرضـة : بعد ثلاثة شوارع على يدك اليسرى ، الباب الثانى.
المنـصـور : ما اسمه ؟
المـمـرضـة : دكتور موسى.

شك المنصور قليلاً فى اسم " موسى " إلا أنه خرج بسرعة ، وركب العربة وقال لعبد الله : بسرعة بعد ثلاثة شوارع ، وصل عبد الله بسرعة إلى الشارع الثالث ، ثم وقف على رأس الشارع ، وذهب المنصور فوجد بيت الطبيب مفتوحًا وهناك سيدة تتحدث مع زوجة الطبيب وتقول لها : لقد رأيتهما بعينى فى المطعم وقبل أن يتحدث المنصور معهما ، عرف أنهما يتحدثان عن الطبيب وطاووس ، فغضب غضبًا شديدًا ، إلا أنه أصغى إليهما حتى يعرف كل شىء.

التفتت المرأة إلى زوجة الطبيب وقالت لها : هيا بسرعة حتى تصلى إليهما قبل أن تنصرف ، لقد رأيتهما بعينى ، وكانا يأكلان الدجاجة المشوية ، فقلت لزوجى نأخذ طعامنا ونذهب إلى البيت وغضب زوجى بشدة ، لكننى كنت أريد أن أخبرك بسرعة.

أراد المنصور أن يتحدث ، إلا أن زوجة الطبيب دخلت إلى البيت ، ومضت النمامة بعد أن ألقت كل الأخبار التى عندها.

وبعد لحظات خرجت زوجة الطبيب مرتدية خمارها وهى غاضبة جدًا ، حتى إن يدها ضربت وجه المنصور وهى لا تدرى ، ولم تلتفت إليه ، ثم مضت بسرعة فجرى خلفها المنصور حتى يصل إلى المكان الذى كانت فيه طاووس ، زوجة الطبيب تمشى على قدميها ، والمنصور ركب العربة وقال لعبد الله خلف تلك المرأة .
ذهب هبد الله خلفها إلى أن نزلت إلى سلم المطعم ، فنزل المنصور خلفها وكذلك عبد الله بعد ما ترك العربة على جانب الشارع .
كان المطعم منيرًا بالفوانيس والسرج ، وكانت فرقة الغناء تغنى أغنيات سعيدة ، وكان المطرب رجلاً عجوزًا ذا مظهر جميل وكان يغنى أشعار حافظ ويقول :

سوف يصبح نسيم الصبح فواحًا بالمسك
وسوف يصير العالم القديم شابًا مرة أخرى
وسوف يعطى الأرجوان كأس عقيق إلى الياسمين
وسوف تصبح عيون النرجس ملونة بالشقائق
وسوف تنتهى معاناة البلبل من فراق الزهرة
بتغريده على أوراق الأزهار
فإذا رجعت من المسجد إلى الدير فلا تعجب
لأن مجالس الوعظ طويلة والزمن قصير
فلا تترك فرصة اليوم يا قلبى إلى الغد
فمن يضمن البقاء إلى الغد

دخلت زوجة الطبيب بين الناس دون أن تعرف من خلفها ، فوجدت زوجها مع طاووس يأكلان الفرخة المشوية ، ويتحدثان ويضحكان ، والمنصور من خلفها فى غضب شديد بعدما رأى زوجته مع رجل أجنبى ، وداخلته الظنون أن هذه المرأة الحمقاء كانت تعشق عليه طيلة السنوات الماضية التى عاشتها فى بيت الزوجية .

أما زوجة الطبيب فتقول فى نفسها : يا لمصيبتى ، لقد تحملت الأيام الصعبة معه ، وهو الآن يتمتع بالنساء الأخريات بعد ما اكتسب بعض الأموال .

وأما عبد الله الذى كان يمشى خلف المنصور ، فكان شديد الحسرة على مانزل بالمنصور من مصيبة خيانة زوجته له مع رجل أجنبى .

وكان صاحب المطعم يراقب الثلاثة منذ دخولهم إلى المطعم ، وقال لأحد العاملين : اذهب إلى هناك لترى ما يحدث .

وكانت طاووس تعض فى الدجاجة ، وهى تسأل عن أحوال عصمت هانم زوجة العم .

ووصلت زوجة الطبيب فهاجمت طاووس دون أن تسمع منها، وضربتها بحذائها ، كما هاجم المنصور الطبيب من الخلف ولطمه لطمة شديدة فسقط على أوانى الطعام ،فانتشر الطعام فى كل مكان وتلوثت ملابسه .

اجتمع رواد المطعم فى مكان الحادث ، وطاووس تجلس فى مكانهـا تعانى من آلام الضـرب على الرأس ، ولم تفق بعد ، بل وضربتها زوجة الطبيب بالدف الذى كان فى يد المطرب وبينمـا الأمركذلك فـإذا بعبد اللـه يغتنم الفرصة ويأخذ الدجاجة التى طارت فى زاوية المطعم ، وينشغل بها ·

حـاول الناس أن يصلحـوا بينهم لكن زوجـة الطبـيب ذهبت إليه قائلة : رجل لئيم تتأخر ليلاً لتنشغل بالفسق والفـجور ، وأمـسك بعض الناس بالمنصـور وبعضــهم بالطبـيب إلا أن الطبيب أراد أن يفـتـك بالمنصـور أخذًا بثأر قديم ·

نظرت طاووس إلى زوجـة الطبـيب وهى تخرج بقـايا الــدف من رأسـها وتقـول : أهذا هو إكرام الـضيـف فى بلادكم ؟

ونظر الطبـيب إلى طاووس وضـحكا مـعًا ، وغـضب المنصور من هذا الضـحك وكان الناس يعرفـون الطبيب إلا انهم ظنوا أنه خاف من زوجـته ، وكانوا يحسـبون المنصور والد طاووس ·

تقدم أحد الحاضـرين ، وقال للمنصور : لا تغضب : إن الشباب يخطأون واتجه آخر نحو زوجة الطبيب قال: لو أردنا أن نتمتع بزوجـة أخرى فى يوم ما ، فلابد أن نلبس درعًا خشية ضرب زوجاتنا ·

فـقـالت زوجة الطبيب : اسكت أنت لماذا تتدخل فى أمورنا ؟
ودخـل فى تلك اللحظـة ضابـط الشـرطة ، وسأل ماذا حدث ؟
فـترك الناس المنـصور والطبـيب وانتظروا حكم ضـابط الشـرطة، فخـاطب الضابط مـوسى قـائلاً : من هذه السيدة ؟
فـقـال موسى : أختى
فتـذكر المنصـور إن مرضيـة ممرضة مـوسى قالت له : الطبيب موسى
طـاووس : موسى أخى.
فضـحك الناس جمـيعًـا ، ثم خاطب ضابـط الشرطة زوجة الطبيب قائلاً : إذن فلماذا كل هذه الضوضاء؟
فخجلت زوجة الطبيب وقالت : هذه أول مرة أرى فيها هذه السيـدة، فتـقدمت طاووس وقـبلت وجه سـيمين زوجة أخيها ،الفت سيمين بيدها على كتف طاووس ، واعتذرت لها عما فعلت ، وقالت : المرأة التى أخبرتنى أفهمتنى خطأ .
واتجهت طاووس إلى المنصـور غاضبـة ، وأشارت إلى وجه أخيها المضروب وقالت : هو أخى أفهمت ؟
وأكـمـل مـوسى : الذى كـان يضربـك فى يوم زواجك مـعهـا بالحجارة فى بطنك .

طــاووس : ليس فى أسرتنا من نجا مــنك ، أبى وابن عمتى ، وأنا والآن أخى ، ثم أخذت نفسًا عميقًا وقالت : لعنة الله على أبيك وعلــى مــالك وثروتك لا عــمل لك ســوى إيذاء الناس ·

فصاح أحد الحاضرين من ناحــية قائلاً : حدث خير ، صلوا على النبى عليه الصلاة السلام فصلى الجميع على حضرة النبــى ، وطأطأ المنصور رأسه خجــلاً بسبب ما حدث ·

وبدأ المـطرب يكمل أشعار الأغنية التى قطعها :

إن الزهرة عزيزة فاغتنموا صحبتها

لأنها دخلت من باب وسوف تخرج من آخر

يا مطرب إن المجلس مجلس أنس فانشد الغزل أغنية

فإلى متى نتحدث عن هذا وذاك

فتقدم يا حافظ لوداع الوجود لأنه خلق لأجلك

وها هو ذاهب الآن

جهز صاحب المطعم عدة أماكن شاغرة لهؤلاء الضيوف الجدد ، ثم قــال لطباخه : اذهب وأطــبخ كل ما عندك من الطعام وأحضره للإحتفال بــهذا التعارف السعيد بين الأخ وأخته ، ثم نظر الضابط إلى عبد الله الذى اغتنم الفرصة ،وكــان يأكل فى زاوية المحل وقال له: أتفضل على السفرة !!

واعتذر المنصور لجميع الحاضرين عما حدث دون قصد ، واحتفل بهذه المناسبة احتفالاً كبيرًا ، ثم ذهب الجميع إلى بيت موسى ، وسهروا الليلة ، فتحدثوا وضحكوا ، إلا أن عبد الله كان نائمًا وشخيره قد ملأ الغرفة .

تحدث موسى وطاووس عن كل ما فات فى الماضى ، وسيمين تتابع معهما الحكايات وهى فى شدة الخجل مما فعلته بطاووس ، وتعويضها بإستقبال حار فى بيتها .

أما المنصور فقد عرف أن صاحب البيت غير راضى عنه .

خرج موسى وطاووس فى الصباح الباكر ، وترك الجميع نائمين ، وذهبا إلى بيت العم إبراهيم ، وكانت عصمت هانم قد إنتهت لتوها من صلاة الفجر ، وقالت فى نفسها عندما سمعت طرق الباب : من يأتينا فى هذا الصباح الباكر ؟ ثم ذهبت وفتحت الباب فإذا بموسى يخفى خلفه سيدة ، فسلمت عليه ، وسلم عليها و . . .

لماذا تخفى سيمين خلف ظهرك ؟

عصمت : ليست سيمين بل أعز منها

موسى : من تكون أعز من سيمين ؟

عصمت : فتنحى موسى وقال : طاووس هى التى تكون أعز من سيمين ، فسلمت طاووس على زوجة عمها وعانقتها

وبدأت فى البكاء الشديد من فرحتها ، فعرف العم إبراهيم أن هناك أمراً هامًا ، فأسرع إلى الباب ورأى طاووس ، فأخذها فى أحضانه وضحكا وبكيا من شدة الفرح ، ثم دخلوا إلى الغرفة .

وجهزت عصمت هانم الفطور بسرعة ، ودعت الضيوف إلى الطعام وكذلك جهزت سيمين الفطور فى بيتها ودعت ضيوفها إلى تناوله ، فتناول المنصور الفطور مع عبد الله وسيمين وعلى بن موسى الذى يبلغ من العمر خمس سنوات .

ونظر موسى حوله وقال : أين طاووس ؟

سيمين : لا تخف فموسى لن ينكح طاووس .

فضحك الجميع ،وإذا بإبراهيم يدعو الجميع إلى بيته، فذهب الجميع بالعربة إلى بيت موسى،وتناولوا الغداء ، وجاء وقت العصر ، فوجد موسى الفرصة متاحة ليجلس مع المنصور وقال له : يا تاجر الدولة إن النقود التى أعطيتها لأبى أدت به إلى الموت ، أما الجوهرة التى أعطاها هو لك فقد حرمتها من الحياة،فطأطأ المنصور رأسه ولم يقل شيئًا،وكان يدرك أنه لولا وجود طاووس،لترك هؤلاء الناس بسرعة، ثم سأله المنصور :لماذ جئت شيراز بعد خمسة عشر عامًا ؟

وأراد المنصور أن يفهم موسى ، بأنه أنفق الكثيرمن ماله على طاووس ، فقال يا موسى ... ثم مكث قليلاً

وقـــال : معذرة : الدكتور موسى .

فقال موسى : بل أحب أن تنادينى باسم موسى فقط

فـــقـــال: المنصـور يا موسى إننى وجـدت طاووس مـضطربة منذ أول يوم فى حياتنا ، ولعل جنًا دخل جسـمها ، لأنها كانت تصـاب كل خمسة عـشر يومًا بإرتعاشـة وصداع شديد ثم يغمى عليها ، وقد أنـفقت عليها الكثير ، إلا أنها لم تشـفى من مرضها ، ثم قيـل لى إن ساحرًا فى قرية "سروسـتان" قريتكم يستطيع أن يعالجـها ، ولهذا ضربنا أكيـاد الإبل ، وتحملنا مشقة السفـر حتى نعالج طاووس،ونزوركم أيضًا .

مـــــوسى : وهل عالجها الساحر ؟

المنـصـــور : لا شك أنها لم تشفى بعد من مرضها .

مـــــوسى : والحقيقة إنها لن تشفى أبدًا .

المنـصـــور : ولماذا؟

مـــــوسى : عـلاج الخـوف بالأمن وليس بالخـوف، نحن الأطبـاء نضع المرهم علـى الجـرح ، ولا نضع عليـه ملحًـا،إن السحـر والشعوذة كالملح على الجـرح لا يعالج بل يزيد الألم .

فـعرف المنصـور أن موسى رجل عـاقل صاحب تجـربة وقال : هذا كـلام صحـيح، إلا أن الإنسان ينبـغى أن

يجرب كل علاج ممكن لشفاء مريضة ، والسحر يفيد في علاج الأمراض .

موسى : قد يعرف الإنسان علاج مرضه ولكنه لا يستخدمه ، بل يذهب إلى مئات الأطباء دون فائدة ، مع إن العلاج في يده هو .

المنصور : تقصد أن طاووس تعرف العلاج ؟

موسى : نعم ، وأنت أيضًا تعرف علاجها .

المنصور : ماذا تريد يا موسى ؟ هل تعني أن زواجي منها كان سبب مرضها ؟!

موسى : أنا لم أقل هذا الكلام ، بل أنت الذي قلت بنفسك ، وإنك كما إنك تعرف المرض فإنك أيضًا تعرف الدواء ، فلماذا لا تعالجها ؟ وتذهب إلى الأطباء دون جدوى ؟!

المنصور: لا شك إن مثل هذا العلاج يضر بالإنسان نفسه أولاً .

موسى : تقصد أن العلاج يتطلب ترك زوجتك ؟

المنصور: نعم .

موسى : هل تعرف لماذا فكرت في هذه النتيجة بداية ؟

المنصور : لماذا ؟

موسى : لأنك اشتريت طاووس بالنقود ، ولم تكن عاشقًا ، بل كنت " مشتري العشق " واشتريت العشق المادي للتلذذ والتمتع ، وليس عشق الحياة السعيدة أليس كذلك ؟

المنصور : والمسألة واضحة ، فلم أكن شابًا حتى أكون عاشقًا ، ومع أنني أخذتها بنقودي إلا أننا لم يكن لدينا مشاكل .

مـــــوسى : وهنا تتضح المسـألة إذ إننا لم نعط المرأة حقـها فى إبداء الرأى فـى زواجـها وإنما جـعلناها كالآلة نفـعل بهـا ما نشاء ·

المنـصـــور : لو أعطيناها هذا الحق ، لتسلطت علينا·

مـــــوسى : أنظر ، أنت ترى أن الظلم الذى يقع على المرأة هو أمر قانونى شرعى؟·

المنـصـــور : ليس إلى هذا الحد ، ولكن إلى حد ما ·

مـــــوسى : فهل شراء المرأة إعطاء النقود لغيرها ممكن أن يرضيها ؟

المنـصـــور : يهز رأسه ويقول : يمكننا أن نقول لا·

مـــــوسى : إذا كان عدم الرضا عن الحياة هو الخوف ، وهل تعرف نتيجة هذا الخوف ؟

المنـصـــور : وماذا يكون ؟

مـــــوسى : أن تأتى بكل الصم والبكم حتى أعالجهم·

المنـصـــور : وهل للبكم علاج ودواء ؟

مـــــوسى : نعم أحيانًا ، فمثلاً لو غضبت على طفل فى الظلام أو فى الوحدة ، فسوف يسيطر عليه الخوف، وهذا الخوف لن يخرج من ذهنه أبدًا ، لأن الخوف مثل الإنسان تمامًا ، لابد له من رجلين حـتى يفر ويهـرب ، فإذا أدخلت الخوف فى جسد الإنسان وقطعت رجليه ، فلن يستطيع الخوف أن يخرج من ذلك البدن ·

المنـصـــور ضـاحكًا : أنت حـاذق جـدًا ،وتعـرف كـيف تعـالج مرضاك ·

مـــــوسى : هل تعرف أن سـجن الخوف فى قـفص ، وتقيـيده من رجليه ، ليس له عاقبة طيبة ، ومن ثم فليس هناك فرار أو اطمئنان ، فهل بعـد هذا تعالج هذا الخوف أو تذهب إلى الساحر حتى يخرجه من الجسم ؟

المنصـــور : حـسنًا يا مـوسى العلاج إذا يقـتـضى أن أترك طاووس وأرجع إلى بلدى.

مـــــوسى باسمًا : أنا لم أقل هذا ، ولكن إذا استطعت أن ترضى خاطرها ، فإن الخوف سوف يتركها ، ولكن إذا أنفقت كل مالك دون إرضائها فلن يفـيد ذلك شيئاً وبالمناسبة كم أنفقت فى علاجها حتى الآن؟

المنصـــور : لقد أنفقت أكثر من نصف مالى.

مـــــوسى : ولم تشفى بعد ؟

المنصـــور : نعم ولم تشفى بعد.

مـــــوسى : وأقول لك لو أنفقت بقية مالك ، لن يفيدها فى شىء ، ثم بعـد ذلك تضـــطر للاقـتراض ، وتـصبح فـقـيـراً ومسكينًا .

ولما كان المنصور يحب المال ويكره الفقر والمسكنة ، رأى الصواب فـى رأى موسى وهو أن إنفـاق بقية مـاله لن يفيد فى علاج طاووس.

مـــــوسى : هل تعرف أن اللذين يحبسون عصفورة فى قفص ، لماذا يحتفظون بها ؟

المنصـــور : لماذا ؟

مـــــوسى : كى ينظروا إلى جمــالها وحسنهــا ، ولكن هل ينظرون إلى قلبها ؟

المنصـــور : ضــاحكًا : يــا دكــتــور وهل هناك من ينــظر إلى قلب العصفورة؟

مـــــوسى : نعم هناك من ينظر إلى قلبها ، فهل تعرف من يكون ؟

المنصـــور : من يكون ؟

مـــــوسى : الشــخص الذى يسـجن مـثلهــا فى السـجن ينظر إلى حسنها وجمالها ولا شأن له باضطراب قلبها بالرغم من أنه يعرف سبب اضطرابه.

المنصوربعد أن أخذ شـهيقًا عميقًا : لقــد عشت سبعين عاماً ولم أفكر فى المسألة بمثل تفكيرك يا موسى.

مـــــوسى : يا منصور إن القفص الذى صنعــته لطاووس ، كان من أجل أن تشاهد جمالها وحــسنها والتمتع به ، فإذا أراد صاحب قـفص آخر أن يســجنك فيه ، فـإنه لن يكون معــياره القبح أو الحــسن ، وإنما سيحـبسك فيــه جزاء الظلم وسينتقم منك ، فماذا ســتفعل فى انتقام الله عز وجل منك عــمــا فـعلتــه بها؟ إننــا إذا هربنا من الناس جميعًا ، فلن نستطيع أن نهرب من الله عز وجل ، ثم بدا لموسى مدى تأثير المنصور بهذا الكلام.

وكانت عصمت وسيـمين وطاووس فى غرفة أخرى أما عبــد الله وإبراهيم فكانا مع مـوسى والمنصـور يتبــعان مناقشاتهما وكــان العم إبراهيم يفتخر بأنه هو الذى ربى

مـوسى ، وأدرك لماذا كان الأسـاتذة سعـداء بموسى ، ودائمًـا ما كـانوا يثنون عليـه ، كمـا عرف أن مـوسى صاحب منهج وفكر قويم ، واسـتطاع ان يتمسك بهذا المنهج بالرغم من صعوبة الأيام وكثرة المشاكل ·

لم يكن العم إبراهيم فـراشًـا فى مدرسـة للآن ، وإنما صـار عطارًا يبـيع الأعشـاب والأدوية للمـرضى الذين يذهبون لموسى ، بل صار خبيرًا فى معرفة الأعشاب فى شيراز كـلها ، وصار شغله ليس شـغله تنظيف المدرسة كمـا كان من قـبل وإنما صار شغله عـلاج القلوب من الهم والغم ، وكانت أدويته هى مرهم جروح من جرح المجتمع ·

إرتفع صوت شخير عبد الله إذ إنه نام فى مكانه ، فأتى إبراهيم له بوسادة وقال له نم على الوسادة ، لأن النوم علاج الجاهل الذى لا يريد أن يفهم شـيئًا ، أما اليقظة فعلاج الجاهل الذى يريد العلم والمعـرفة حتى يفيق من الجهل والضلال ·

فنام عـبد الله ، واسـتيـقظ المنصور من نومـه العمـيق والطويل الذى استمر طيلة عمـره لقد عاش حياته لجمع الأموال ، ولم يجعل لنفسه يومًـا يتأمل فيه حال الدنيا حتى جاء ذلك اليوم الذى كـتب عليه أن يسمع فقط ، فأصغى لموسى إصغاءً كاملاً ·

مـــــوسى : اعتذر جداً لأننى تكلمت كثيراً ·

المنصور وقد راجع كلام موسى كله وأخذ نفسًا عميقًا ونظر نظرة إلى موسى وقال : كنا نعرف النصيحة تأتى من المشايخ وكبار السن ، لكنك اليوم أثبت أنه مع صغر سنك لست أقل من هؤلاء فى النصيحة .

موسى : شكراً جزيلاً ، هذا من حسن ظنك

دخلت سيمين وطاووس إلى الغرفة ، وكان العم إبراهيم يجهز الشاى للضيوف ، ثم خاطبت طاووس موسى قائلة: إنك لم تذهب إلى الشغل اليوم أيضًا ،ولا العم إبراهيم ، وسوف تجد حشداً من المرضى فى العيادة .

فأجاب المنصور عن سؤال طاووس وقال : ولكن فى داخل نفسه قائلاً اتركيه حتى يعالج مرضاه أنا وهذا خير من معالجته لمائة مريض .

فنظر موسى نظرة حب إلى طاووس وقال :إن النظر إلى وجهك بعد سنوات الفراق الطويلة يذهلنا عن كل الأمور .

سيمين مداعبة موسى : هل كان شغلك أن تجد طاووس فقط ؟ قم إذن واذهب لشغلك فلعلك تصطاد طاووس أخرى .

فضحك الجميع ، ثم خاطب إبراهيم طاووس قائلاً : لقد كانت قلوبنا ميتة بفراقك منذ سنوات طويلة ، فأحياها قدومك الآن .

طـــاووس : أنا لست بهذه الدرجة ، أنت ترانى طاووسًا ، إلا أننى كعـصفورة سقط ريشـها فعرف مـوسى وإبراهيم أن ما تعنسه طاووس هو حـياتها مع المـنصور ، وبالرغم من سماع المنصور لهذه الـعبارة عدة مرات إلا أنه لم يدرك معناها إلا اليـوم ، ومن ثم فلم يرد أن يطيل الكلام ، وإنما أيقظ عـبـد الله من نومـــه حـتى يغـيـر جـوهر الموضوع ، فقال له : يا عبـد الله لقد نمت كثيراً ونحن نريد أن نذهب .

إبراهـــيـم : إلى أين ؟ لا عجلة فى السفر .

طـــاووس : أين تريد الذهاب ، أتركنا لزيارة عـمى وزوجتـه وأخى عدة أيام .

ولما كـان المنصـور قـد تأثـر كـثـيـراً بكلام مـوسى ، واضطرب قـلبـــه ، قـــال : أريد أن أذهــب لزيارة " شاهشراغ (٣)

تعـــجـــبت طاووس مـن ذهـــاب المنصـــور إلى زيارة شاهشراغ ، لأنه لم يكن مهتمًا بمثل هذه الأمور .

طـــاووس : أنت تذهب إلى شاهشراغ " .

قام المنصور وكان عبد الله أيضًا قد استيقظ من النوم، ولما رأى المنصور قد قام، نهض بسرعة وقال حاضر يا سيدى .

إبراهـــيـم : لقد صنعت لكم الشاى ، اشربوا قليلاً .

وقام موسى أيضًـا من مكانه بعد قيـام المنصور ، وكان

٣ - أصلها شاه جراغ ، وهوضريح أحد الصالحين فى شيراز .

يريد أن يذهب إلى عمله بالعيادة، ثم قال: أنتم مدعون على العشاء فى بيتى الليلة ·

إبـراهـــيـم : اترك الضيوف فى بيتنا ، فقد تعودنا عليهم·

المنصور مخاطبًا موسى : أريد أن أتحدث معك فى كلام يخصنى·

فنظر إبراهيم إلى طاووس فخرجت من الغرفة ، وشكر موسى إبراهيم ،وقال المنصور لإبراهيم: شكرًا جزيلاً يا إبراهيم ، اســتــودعك الله ، ولكن يبـــدو أن زيارتنا مستمرة·

إبـراهـــيـم : أهلاً وسهلاً ، إن الضيف حبـيب الرحمن ، قالها على غير رغبــته منه حيث كان يكره المنصور،ويحـترمه على غير إرادة منه ·

أتى عـبـد الله بالعـربة ، وركب مـوسى والمنصـور ، وعندما ساروا بعيدًا عن الشارع ،بدأ المنصور بالكلام ، وقال : يا موسى إن كلامك الذى قلته لى من قبل كلام صـحـيح ومنطقى والآن أريـد مـشـاورتك فى عـلاج طاووس ، إذا كان علاجى لها طيلة خمـسة عشرة عامًا بلا فائدة ، فماذا أفعل الآن حتى تعود إليها صحتها؟

مـــــوسى : يا ملك المنصور : ربما قال الأطباء كـيفية العلاج ، إلا أن عدم العمل بإرشاد الطبيب قد يفسد كل شىء ، لأن عدم إتمام العـلاج كما يقول الأطبـاء يعيد المرض إلى صاحبه مرة أخرى ومن هنا فلابد أن يكتمل العلاج إلى أجله حتى يكون مفيدًا ·

المنصـــور : خلاصة الكلام هل من الممكن أن تعـود صحة طاووس إليها

مـــوسى : نعم ولذلك عـلاج ، إلا أننـى لو قلت هذا العـلاج ، فسوف تظن أننى أقـول هذا لأننى أخوها ، ولهذا أرى أن تسعمه من طبيب آخر غيرى ·

المنصـــور : أريد أن أسمع بقطع النظر عن كونك أخاها ·

مـــوسى : لا بأس ، سأقول مع ظني بأنك لن تأخذ الأمر بجدية ·

المنصـــور : إذن ماذا أفعل لغلاج طاووس ؟

عبد الله مناديًا عليهما : من أين أسير ؟

المنصـــور : قف على جانب الطريق حتى ننتـهى من كلامنا كما أن العيادة هنا ·

المنصـــور : مخاطبًا موسى باحترام بالغ : تفضل ، قل العلاج ·

مـــوسى : يجب على طاووس أن تعيش بعـيد عن حياتهـا السابقة مدة ستة أشـهر على الأقل فى المكان الذى تريده هى ، فلا تفكر فى زوج ولا بيت ولا خدمة ، بحيث لا ترى بيـتهـا قط ، لأن كل قطعـة فى البـيت حـتى الأبواب والنوافـذ وبخاصـة الغرفـة التى دخلت فيـها أول مـرة تذكرها بالخوف ، وتزيد من تخوفها ·

كما يجب عليها أن تأكل طعامًا قليل الملح وبلا توابل ، وتتجنـب أكل كل ما يثيـر أعصـابها وبعد مـضى تلك الفترة ، إذا أرادت أن ترى زوجها فلابد أن تراه مبتسمًا يرتدى ثيابًا بلون الأزرق الفاتح ·

وإذا أرادت أن تذهب إلى بيت الزوجية ، فلابد أن تذهب إلى بيت جديد حتى يكون الجو جديدًا، وإذا كان لابد من وجود خادمات ،فينبغى أن يكن شابات وليس من العجائز٠

المنصور ضاحكًا : يبدو أنك تنصحنى بأن أتزوج من زوجة أخرى٠

موسى باسمًا : لا أقول هذا الكلام ، وإنما أصف لك العلاج الذى طلبته منى ، ألم أقل لك إنك لن تأخذ العلاج بالجدية اللازمة لأننى أخوها ؟

المنصور : لقد أخذته بجدية لأنك حاذق وليس لأنك أخوها٠

موسى : حسنًا ، تفضل معى الآن إلى العيادة حتى نرى المرضى٠

المنصور : شكرًا جزيلاً ، إننى أريد زيارة : شاهشراغ" وسوف أمر عليك عند العودة٠

موسى : مع السلامة ، ادع لنا هناك ، ثم ودعه ونزل٠

المنصور : أذهب إلى الحرم يا عبد الله٠

عبد الله : سمعًا وطاعة يا سيدى ، ثم ضرب الحصان بالسوط ، وساقه نحو الحرم ظهرت قبة شاهشراغ ، فنزل المنصور منحنيًا خاضعًا واتجه نحو الحرم يتحدث مع أمام زادة خادم الضريح ٠

سار عبد الله ليضع العربة على جانب الطريق وقال للمنصور : سألتحق بكم ٠

فلما رجع عبد الله وجد المنصور يبكى وكان يناجى ربه وهو فى طريقه إلى الحرم ، وفهم عبد الله ما يريده المنصور قبل أن يتكلم ، فقال له يا سيدى : أذهب وحدك إلى الحرم ، وسوف أتجول قليلاً هنا ثم أذهب إلى العربة منتظراً قدومك ·

فوجد المنصور اقتراح عبد الله مناسبًا لموقفه فقال : لا بأس أنا ذاهب ·

عبد الله : أرجو أن تدعو لى أيضًا ·

تقدم المنصور رويدًا رويدًا وعيونه دامعة ، ووجد مكانًا خاليًا ، فجلس فيه وأخذ يفكر فى كلام موسى ، وأخذ يدعو الله عز وجل ·

وكانت طاووس تتحدث مع سيمين ، وعصمت هانم عن الأمور التى حدثت طيلة خمسة عشر عامًا ، وعن هيبته وسذاجته ، وكيف أحضر القابلة بدلاً من الطبيب فضحك الجميع ودخل موسى عيادته ، وأخذ يتحدث مع مرضية ممرضة عيادته عن المنصور وطاووس وعن حياتها معه ، ومعاملته إياها ، ويضحكان ، وكان المرضى يظنون أن موسى يغازل ممرضته ·

ومضت ساعة من الليل ، وظن الملك المنصور أن موسى قد أنهى عمله فى العيادة ، فخرج من الحرم ووجد عبد الله منتظراً إياه ، فركب العربة واتجه نحو عيادة الطبيب ، فلما رأته الممرضة قامت من مكانها

وسلمت عليه ، ثم اعتذرت له عما فعلت ليلة أمس ، فعرف المنصور من ضحكتها أنها عرفت كل ما يتعلق به ، فقال لها : يبدو أن الطبيب قد حكى عن كل شيء ، حتى ضرب الدف على رأس زوجتى؟!

مرضية ضاحكة : نعم هو حكى لى كل شيء

فتح آخر مريض باب غرفة الكشف وخرج ، فنظر موسى إلى الملك المنصور ، وسلم عليه وقال: سوف آتى لك حالاً ، ثم خاطب مرضية قائلاً : أكرمى المنصور حتى استعد للذهاب ، انطلقوا إلى بيت إبراهيم فى تلك الليلة وقرروا الذهاب إلى مطعم ليلة أمس ، فلما رأى صاحب المطعم المنصور وطاووس وموسى ضحك ضحكة عالية ، ثم قال أيها المطرب.

فضرب المطرب على الدف حتى ينتبه الحاضرون إليهما وما يريديون قوله ، فقال صاحب المطعم للمطرب : خذ بالك من دفك حتى لا يضرب به مرة أخرى على رأس تلك السيدة .

فضحك الجميع ، وغنى المطرب أغنيات جميلة ، واستقبل صاحب المطعم الضيوف استقبالاً حاراً، ولما فرغوا من طعام العشاء قال المنصور لعبد الله : إن العربة لن تتسع لهذا العدد كله ، وعليك أن تذهب مرة ببعضهم ، ثم ترجع مرة أخرى .

موسى : لا تتعب نفسك يا عبد الله ، خذ معك العم إبراهيم وزوجته وسنذهب نحن سيرًا على الأقدام ، فالمسافة قريبة ، ثم ارجع إلى بيتنا بعد ذلك .

المنصور : لا ضرورة لرجوعك ، بل بت أنت هناك الليلة .

عبد الله : أمرك يا سيدى .

ودع الجميع إبراهيم وعصمت وشكروا لهم ما فعلوا ، وذهب الجميع بعضهم إلى العربة ، والبعض الآخر إلى البيت .

ونام موسى وزوجته وابنه فى غرفة ونام المنصور مع زوجته فى غرفة أخرى وفى الصباح الباكر وصل عبد الله مع عربته وطرق الباب ، فقال موسى لابنه على : يا على افتح الباب وقل لعمك عبد الله تفضل .

وكان على ذكيًا مثل أبيه ، فقفز قفزة وفتح الباب ثم قال لعبد الله بلغة الطفولة البريئة : يا سيد عبد الله أبى يقول لك : تفضل .

عبد الله : شكرًا ، ولكن ماذا قال سيدى .

المنصور الذى كان يسمع الحوار : ادخل يا عبد الله .

دخل عبد الله فرأى الفطور جاهزًا ، فقال : ما شاء الله ، الفطور جاهز فى بيت إبراهيم قبل الفجر ، أما هنا فالناس يفطرون قبيل الظهر .

موسى : تفضل يا أستاذ عبد الله .

أراد عبد الله أن يجلس فسأله المنصور : هل العربة جاهزة للسفر؟

انتبه الجميع لهذا لهذا السؤال ، لأن قرار السفر جاء بسرعة ، وبخاصة بالنسبة لطاووس التى كانت تريد أن تبقى عدة أيام مع أقاربها الذين فارقتهم مدة طويلة.

تعجبت طاووس من هذا السؤال ، وظنت أن زوجها سيحرمها من زيارة أقاربها مرة أخرى.

موسى متاسئلاً : يا ملك منصور : لم يكن قرار السفر بهذه السرعة ؟

المنصور : هل نسيت نصائحك بالأمس ؟

موسى : أولاً إننى لست ممن ينصحون مثلك، ثانيًا: أية نصائح ؟

المنصور : أما قلت أنه يجب أن تعيش طاووس ستة أشهر بعيدة عن البيت والزوج فى مكان يرضى خاطرها؟

موسى : نعم قلت هذا الكلام لعلاج طاووس ، ولكن ما علاقة هذا بسفركم بهذه السرعة؟

المنصور : أنا متشكر جداً يا موسى ، لقد قررت مع نفسى وعاهدت ربى فى خلوة الحرم بعد أن فكرت فى كلامك ... ثم نظر إلى طاووس وقال : والآن عالج طاووس لأنها سيغمى عليها الآن .

سيمين : ما هذا الكلام ؟ هذا نصيبها ، وهل يغمى عليها بإرادتها؟!

المنصـــور : ولكننى قررت أن أرجع إلى بلوشستان وحدى لمدة ستة أشهر وأجهز لها بيتًا وبعض الخادمات الشباب ·

فضحك الجميع وقالت سيمين: ما شاء الله يا منصور ، مـا زلت مرحـًا ، إلا أن طاووس عـرفت أن هذه المرة يختلف تمامًا عن المرات الأخـريات لأن المنصور قد قرر قراراً غـير متـوقع ، وقالت لزوجهـا : لماذا تتركنا على عاتـق الآخرين ، إن كـلام موسى مـجرد كـلام ، فلا تأخذه بالجدية ·

فقام المنصور من مكانه وكـذلك عبد الله ، وخرجا من البيت بـسرعة خـاطفة ، ولحـقه الآخرون حـتى مكان العربة ·

المنصـــور : أشكركم جميعًا على كل مـا فعلتم لنا فى هذه الفترة ، بلغوا تحياتى للعم إبراهيم وعصمت هانم،وقولوا لهم : المنصـور ليس شريراً كـما تظنون إننى لو بـقيت سـاعة أخـرى يمـكن أن أغـيـر قرارى وربما أخـذت طاووس معى ·

تعـجبت طاووس من هذا القـرار المفاجىء وتقـول فى نفسها : كيف تغير المنصور فى هذا الوقت ؟

وسألت المنصـور: أيها السـيد لم أرك تقرر قـرار بهذه السرعة، فما الذى دفعك لإتخاذ هذا القرار الحاسم ؟

المنصـــور : لقد أخذت قراراً بالسـفر إلى لاهور فى ليلة الزفاف ، وهل تظنين أن كل الناس يستطيعون إتخاذ

القرار مثلى ؟! لقد تعلمت ذلك من نادر شاه ·
فضحك الجميع وتساءل موسى : هل يعنى هذا أن نادر شاه كان يقوم بهذه السرعة مع قوته الكبير ؟

المنصور : نعم ، ثم أضاف قائلاً : سئل نادر شاه : كيف استطعت أن تصل إلى حدود الصين ، وأن تستولى على كل ذلك ؟ فقال نادر شاه : كنت أقوم من مكانى وأعقد كل قرار قررته ، وكنت لا أؤجل عمل اليوم إلى الغد ، لربما أعدل عن قرارى فى الغد، فأخسر الفوز بالنصر ، ولذلك فإننى قررت فى لحظة واحدة أن أسافر وحدى ، لأننى أريد علاج طاووس مهما كان الثمن ، أول كان عبد الله معنا الليلة لسافرت فى منتصف الليل ثم خاطب طاووس قائلاً : لقد تركت لك من المال ما يكفيك ستة أشهر وسوف أعود إليك فى أول صيف السنة القادمة ، ولكن ليس هنا ، بل بيت أبيك المكان الذى أخذتك منه أول مرة،أريدك أن تبنى ذلك البيت ، وسوف آتيك هناك ، وسوف آخذك بعد أن تكونى راضية بالذهاب معى حقًا ، وإلا سوف أعود للرجوع وحدى مرة أخرى ، فأنا لا أريد الزواج بامرأة غير راضية بالمعيشة معى ، وسوف أغير البيت فى خلال هذه الفترة ·

موسى : أعرف يا ملك منصور أنك ذو إرادة قوية مع تقدم عمرك، ولكن لا أريد منك أن تكف عن تمثيل نادر شاه ·

المنصور : أنا لا أمثل نادر شاه ، وإنما أخذت بنصيحته ، ونصحتك ليلة أمس ثم ركب العربة ملوحًا " لهم " إلى اللقاء ، ثم ركب عبد الله العربة بعدما شكر الجميع ، وانطلقت العربة وغابت عن العيون ·

نظر موسى وطاووس وسيمين إلى بعضهم متعجبين مما فعله المنصور ، إلا أنهم كانوا سعداء بهذا القرار ، ورجعوا إلى البيت ، ودخل على وأغلق الباب ووضع موسى إحدى يديه على سيمين والأخرى على طاووس فظهر الثلاثة متساويين فى الطول والتصقت وجوههم تقريبًا ، ثم قبل موسى سيمين وكذلك قبل طاووس ثم قال : ومن هنا قيل ينبغى على الإنسان أن يذبح الرأس بالقطع وليس بشيء آخر ·

فرح موسى وسيمين إلا أن طاووس ما زالت مترددة بين البعد عن البيت والزوج وبين الحياة مع أخيها وتقدم الجميع للإفطار بعدما استغرق إعداده وقتًا قصيراً · وكانت طاووس تفكر فى كل ما حدث ، وكادت لا تصدقه وكانت تراه حلمًا ونظرت إلى عيون موسى قليلاً وكذلك نظر موسى إليها دون أن يتكلما ·

طاووس : ماذا كان موضوع الأمس يا أخى ؟

موسى : لم يكن شيئًا مهما دعك منه ·

طاووس : كيف أتركه ، المسألة مسألة ستة أشهر وليست يومًا أو يومين ·

مـــــوسى : سألنى عن عــلاجك فقلت له كل مــا أعرف ، لم يكن موضــوع " ستــة أشهر " لإبعــادك عنه ، ولكننى أرى ذلك مفيدًا لعلاجك ·

طـــاووس : إذن أنا على عاتقكم فى خلال هذه الأشهر الستة؟

ســيـــمين : أنت عــزيزة علينا كــعــيوننا ، لمــاذا تفكرين فى هذا ؟ ليست ستة أشهر بشىء ، بل لو كانت ستين سنة لكنت سعــيدة ، لأننى وجــدت صاحــبة وكيف تقــولين على عاتقنا ؟ لو تحدثت كذلك مرة أخرى سوف أخبر الملك المنصور حتى يأخذك معه ·

فضــحكوا جمــيعًــا ، ثم قال مــوسى مازحًــا : سوف اشترى لك قلنسوة رقيقة ناعمة وألبسك إياها حتى ترى الستــة أشهر ســتة أيام ، لكن طاووس كــانت جادة فى هذا الحوار ، لأنها ترى أنهــا بعدت عن حياتها وبيــتها مهمــا كانت هذه الحياة ، أمــا هنا فسوف تعيش ضــيفة لفترة طويلة ·

فــذهبت إلى الجــدار وجلست بجــواره ، لتــرسم خطة ضيــافة الأشهــر الست ، فأخــذ موسى آخر لقــمة فى الفطور ، ثم ذهب إلى طاووس ملاطفًا إياها وقال : يا أختى لا تفكرى ، اتركى الحــياة والزواج الآن ، لأنك تعــيشين حــياة جــديدة ، وينبــغى أن تتعــودى عليهــا طاووس محاولة تغيير الموضوع : يا موسى ·

مـــــوسى : قولى يا روح موسى – ما تريدين·

طـــاووس : ضاحكة : لا تخدعني حتى لا أصبح حمارة.
مـــــوسى : اتركينى أنا لأصبح حمارًا ، ثم وضع موسى يديه ورجليه على الأرض ، وقال : أنا الآن حمار فاركبى على ، فضربت سيمين على إليته وقالت اعتدل يا رجل ، هى تفكر معك فى حياتها ، وأنت تسخر منها.
فـــجلس موسى وقال : إن الأمر لا يتعلق بستة أشهر فقط بل يحتاج إلى فترة طويلة .
فهمت طاووس بالسؤال ، إلا أن سيمين سبقتها قائلة : فماذا ترى أنت يا موسى ؟
مـــــوسى : أترك الجواب لما بعد.
طـــاووس : هل يمكن أن أقول رأيى؟
مـــــوسى وهو مصوب أذنه ناحيتها : هذه الأذن فى خدمتك طيلة الأشهر الستة الست ، فقولى ما تريدين.
طـــاووس : وهى جادة فى كلامها : يا موسى كنت أسألك عن أبى وعمتى فى تلك الأيام وكنت تخدعنى ، فلم أعرف شيئًا ، والآن أريد أن أعرف .
مـــــوسى : وقد ترك المزاح : إن العم إبراهيم وعصمت هانم لم يتركانى أفكر فى بابا منذ اليوم الأول لزفافك ، لأنهما كانا يدركان أن أبى لم يكن مهتمًا بدراستى ، بقدر ما كان مهتمًا بالشغل فى المحل ، فضلا عن أنه باعك بالأموال وكان هذا عارًا علينا .

أما العمة سودة فكانت تزورنــا حتى أصابها المرض بعد تلك الحادثة ، استــمر مرضها طيلة عــشر سنوات حتى مــاتت ، وأما بابا فـقد هــرب بعد أن عــدنا من جنازة حــميــد ، لقــد أخــذ حصــانًا وهرب مع الأمــوال إلى الصحــراء ، ولقد بحــثنا عنه فلم نجده ولا نعــرف عنه شيئًا .

وبعد مــوت العمة سودة جــاء الجيران عدة مــرات حتى نحدد مــساحة الـبيت إلا أننا لم نستطــع أن نفعل ذلك حتى اليوم، لأن هذه المسألة كــما قالوا - تخص عمران فهو الذى يستطيع أن يحدد، مساحة البيت الضبط .

طـــاووس : ولكن من المعلوم أن بابا مات فى يومه .

مـــــوسى : نعم مات ، ولكننا لم نتــأكد ، ولا نعرف أين ذهب ، وربما تــزوج وأنجب ولذلك لا يــريد أن يرانا ، ثــم من قال لك إنه مات ؟

طـــاووس : الساحر .

ضحك موسى وسيمين وقالا : إن السحرة كاذبون .

طـــاووس : يا أختــى ، السحر خــداع ومكر ، ولا صلة له بمعــرفة الماضى أو المستقبل .

طـــاووس : أنا لست جاهلة كــما ترانى يا موسى ، ولكن الســاحر تنبأ حقًا .

مـــــوسى : كيف تنبأ؟

طـــاووس : قال لى : إننى سوف التقى بك قبل أن أعرف مكانك .

موسى : وماذا قال عن بابا ؟

طاووس : قال إن بابا اتجه الصحراء خائفًا ، ثم ضل الطريق ، فهجم عليه الذئاب ، ولكنه دفن الأموال التى كانت معه تحت حجر أحمر قبل هجوم الذئاب .

سيمين : ما هذا ؟ لو وجدنا تلك الأموال لوجدنا كنزًا .

طاووس : وهى تضحك : لا تذكرى أماى الكنز ولا الكنوز ، لأن راحة البال أفضل من جميع الكنوز، وانظرى إلى حالى فقد عشت فى الكنوز مدة عشر عامًا وأنا كما ترين ثم أخذت نفسًا عميقًا وسكتت .

موسى : إن سبب عدم بحثنا عن بابا فى الفترة السابقة ، هو اعتقادنا بأنه تزوج ، وأن أولاده سوف يدعون ميراثه ، فإذا كان بابا مات فعلاً ، فستطيع أن نبيع البيت ، إذ لماذا نترك بيتًا فى الصحراء بلا فائدة ؟

طاووس : لم تعد صحراء بل صارت بلدًا وأكثر عمرانًا من هذه البلد .

موسى : أما قلت يا طاووس بأن الساحر أخبرك أن النقود مدفونة تحت حجر ؟

طاووس : وأكثر من هذا ، قال إننى سوف أعثر عليها بمساعدتك أنت يا موسى .

موسى : نحن الآن لا نهتم بالنقود ، لأننى والحمد لله عندى نقود ، وأنت عشت عمرك فى النقود ، ولكن بيان هذه الحقيقة يوصلنا إلى : هل مات بابا أو لا؟ .

طـــاووس : هذا أمر هين ، نذهب إلى الساحـر ، ونقول له أرشدنا إلى مكان النقود.

لم تكن سيمين تتدخل فى الحـوار بينهما ، لأنها كانت تعد هذا من الأمور الخاصة بهما لكنها تدخلت فى هذا الأمـر وقالت : لو كـان السـاحر يعـرف مكان النقـود فلماذا لم يأخذها وظل يعمل بالسحر والشعوذة ؟!

مـــوسى : هذا لا يضرنا شيئًا ، أنت تعرفين عنوان الساحر ؟!

طـــاووس : نعم أنا أعرف تلك الشوارع منذ زمن قديم.

مـــوسى : إذن نذهب صبح يوم الجمعة إليه ، ثم نتفقد بيتنا.

طـــاووس : لا أريد أن أدخل البيت ، لأننى رأيت شبح حميد هناك فأغمى على .

مـــوسى : انظرى يا أختاه ، لا تفكرى فى هذه الخيالات ما دمت معنا ، لأنك كنت تفكرين فى شىء ما، وأينما تذهبين ترين هذا الشىء أمـام عينيك ، نحن الآن نسـتطيع أن نرسم أمام أعيننا قطة أو دجاجة أو حصان ، ولا يحتاج هذا الأمر سوى تركيز أفكارنا فى هذا الخيال ، والحقيقة أنه لا وجود لهذه الأشياء.

طـــاووس : أنا رأيت شبـح حـمـيد بعـينى ، وكـأنه كان جـالسًا منذ خمـسة عشـر عـامًـا على السفرة ، وكـان أشعث أغبر !!

مـــوسى : إذن أنت التى تضعين هذا الشبح على السفرة ، وما لم تفعلى فلن تجـدى هذا الشبح وهـذا ليـس صعـبًا ،

فـإذا ذهبنا ونظفنا المكـان وطهرناه مـن كل ما فـيـه ، ووضعنا السرج لتضيء، يمكنك أن تفكرى كيفما تشاءين .

سـيـمين : والأفضل أن نأخذ معنا مرضية حتى يكون عددنا كبيراً .

مـوسى : لا بأس ، ثم تراجع عن رأيه وقال : إذا كانت طاووس مصابة بتلك الأوهام فلماذا تفكرين أنت فيها ؟

قمى وأرفعى السفرة ، إننى أريد أن أخرج مبكراً اليوم .

سفر الملك المنصور:

خرج المنصور من شـيراز ، ومر بشارع "سـرو ستان" حتـى يذهب من هذا الطريق إلى بلوشـسـتـان ، وكان الوقت عصراً ، فتجـول المنصور فى البلدة قليلاً ، ومر ببـيت أميـرشاه نوائى السـاحر ، فنادى على صـاحب العربة : يا عبد الله . فقلل عـبد الله من سرعة العربة قائلاً : نعم يا سيدى .

المنصـور : ارجع بالعربة للخلف .

عبد الله وقد فعل : إلى أين تذهب يا سيدى .

المنصور وقد أشار إلى ذلك الشارع .

عـبـد الله : هل نذهب إلى شارع السحرة .

المنصـور : نعم .

عـبـد الله : اتركهم يـا سيدى ، فلو ذهبـنا إلى هناك لاختـرعوا لنا آلاف الحيل .

ولما استطعنا أن نخلص أنفسنا منهم لفترة طويلة .

المنصـــور : إننى أريد أن أقول لهم إن سحركم لا فائدة منه ·
عبـــد الله : يا سيدى ، كل ما رأينا فى تلك الليلة لديهم أمور لا فائدة منها ، ولا خلاف فى ذلك ·
المنصـــور : يا عبد الله ، ما دام يدعى السحر والمعالجة فلابد أن يكون لديهم إجابات على الأسئلة ·
وصلا إلى بيت الساحر ، فوقف عبد الله وقال : يا سيدى بدلاً من أن نتشاجر معهم ، نعود إلى الطريق الذى جئنا منه بلا مصاعب أو متاعب ·
المنصـــور : انزل واطرق الباب ، وسوف تأتى الساحرة نقول لها ما نريد ·
نزل عبد الله وطرق باب الساحر ، فلم يرد أحد ، ثم عاود الطرق ، فلم يرد أحد فنظر عبد الله إلى المنصور ضاحكًا وقال : لقد عرفوا أننا جئنا للاعتراض عليهم فلم يفتحوا لنا ·
فـــقـــال له المنصـور : اطرق الباب بشدة ، فربما كانوا نائمين ، فضرب عبد الله الباب بشدة قائلاً : إذا سمحت لى كسرت الباب ·
المنصـــور : لا أريد ذلك ، هل تريد أن نفعل شرًا هنا ، هيا حتى نذهب ، يبدو أن ما قلته صحيحًا ·
عبد الله وقد ركب العربة : هيا ننطلق يا سيدى
المنصـــور : هيا يا عبد الله ، لقد تأخرنا عن رحلتنا ، ولتذهب عن طريق بيت عمران حتى نرى هل حدث جديد؟

مرت العربة أمام بيت عمران ، ووجد عبد الله أن الطريق الجبلى ، وقد بدأ الغروب فقال للمنصور:

يا سيدى إذا أردت بتنا الليلة هنا ثم انطلقنا صباحًا.

المنصور : لا أريد ذلك ، فالشوارع آمنة ، وليست هناك مشكلة ، كما أننى أفضل النوم فى هذه العربة على كثير من البيوت الفاخرة.

ضرب الحوذى الحصان سوطًا ، ومشى ، وعندما ابتعدا قليلاً عن سرو ستان سقط مسمار من العربة وهوت كلها على الأرض ، فخاف الحصان وأراد أن يهرب من تلك الكارثة ، وكان يرفع يديه إلى السماء وكأنه يخشى شيئًا.

نزل عبد الله من العربة بسرعة ونظر إلى المنصور فوجده جريحًا وقد سقط على الأرض فأسرع إليه ورفعه عن الأرض ، وأرقده على حجر ، فرقد على ساعده الأيسر ، وشوهدت ملابسه ممزقة ، وأذنه ورأسه ووجهه بها جروح والدماء تسيل منه.

عبد الله : يا سيدى أرى أن هنا أرواح أو جن يخوف الحصان كل مرة ، ألا تذكر أن العربة تعطلت هنا أيضًا ونحن قادمين ، وكان الحصان يصهل ، وكان يريد أن يهرب.

المنصور : اذهب واجعل الحصان يهدأ ، حتى نرى ماذا يحدث بنا؟!

ذهب عبد الله وأخذ يهدىء الفرس ، ووضع يده على رأسه ، وقال له : هل أنت خائف؟ عند قدومنا حدث نفس الشيء ، لو كان هناك أمر فأخبرنا . ولم يدر أحد منهما أن روح حميد فى هذه المنطقة منذ وصل المنصور مع طاووس ليلة العرس ، ومن ثم وقف الحصان خائفًا بلا سبب فى المرتين .

وبعد أن هدأ الفرس ، ربطه عبد الله فى حجر ، ثم ذهب للمنصور ، وكان الليل قد أظلم ، وأخذ عبد الله يضمد جراح المنصور على ضوء شمعتين ، ثم ذهب ويبحث عن العجلة المفقودة، فلما وجدها أتى بها ،لكنه لم يجد المسمار ، فأتى بمسمار من علبة المسامير الاحتياطى ، وركب العجلة ، ولما اطمأن على أنها أصبحت سليمة ركب وسار بالعربة .

المنصور وهو يعانى من شدة الألم: الله يخرب بيتك ، ولماذا لم تتأكد من سلاّمة العربة قبل السفر ؟

عبد الله : أقسم بالله أننى تفقدت العربة ظهر اليوم وكانت سليمة ، يا سيدى أنا ابن الصحراء أعرف كل هذه الأمور ، هنا شبح أو جن يخوف الحصان كل مرة .

المنصور : اسكت ، ولا تتكلم كثيرًا ، تريد أن ترضى خاطرك بهذه الخزعبلات ، وأخذ يفكر المنصور فى أن أحدًا من أهل طاووس لم يتحدث معه عن حميد وكيف مات به ومان موته .

سروستان أخرى:

قـضت طاووس الأسـبـوع الأول فـى بيت مـوسى ، وكـانت تذهب إليـه فى العـيـادة فى وقت العـصـر ، وصارت صديقة لمرضـية ، وتعرفت على بعض الأمور الطبية ، ورأت كيف يحب المرضى موسى ويعتقدون أن يده فيها بركة لأنه حاذق فى عمله الطبى ·

وفى نهاية الأسبـوع ، وفى صبيحة يوم الجمـعة جاءت العربة التى أجـرها موسى أمام البيت ، وركب الجـميع بعدما أخذ كل واحد الأغراض الضرورية لرحلة قصيرة وركب عـلى وفى يـده ريشة دجاج وقال: أين نذهب يا أماه ؟

سـيـمين : نذهب إلى مكان ، أنا أيضًا لا أعـرفه ، إلا أنه يقال له : سروستان مسقط رأس جدك ·

عـلـى : ما معنى " سرو" يا أماه؟

سـيـمين : " سرو " اسم شجرة دائمة الخضرة وطليقة القد ·

وكـان الموكب فى الطريق ، وعلـى يلعب بالريشـة مع موسى وسيـمين ، ثم نظر إلى عيون أبيه وقـال: طليقة وليست مقيدة بالحبال مثل هذا الحصان ؟!

مـوسى : أسكت يا ولد ولا تتكلم كثيراً ·

عـلـى : أنا أيضًـا حر ، ولابد أن أتحـدث لأننى إنسـان ولست كالحيوان ·

موسى : انظر إلى هذا الحصان هو حصان جيد لا يتحدث كثيراً.

علي : لو لم أتحدث لصرت مربوطًا مثله بالحبال ، ثم يقال لي : اذهب يا حيوان ، وأخذ يمثل الحصان ، فأخذه أبوه من الخلف وأجلسه على ركبتيه.

وانشغل الجميع بالتحدث والحكايات إلى أن وصلوا إلى حدود سروستان عند الظهر ، فوقف الموكب أمام بيت عمران ، وطلب موسى من صاحب العربة أن يدخل إلى البيت من فوق الجدار " فضحك " الحوذي " وقال : أخشى أن أتهم بالسرقة بعد هذا العمر !!

فضحك موسى وقال لا تخف : أنت لست وحدك ، بل نحن معك ، ثم نزل موسى وقال للباقين: ظلوا هنا حتى أنادي عليكم.

صعد الحوذي على الباب ، وجلس فوق الجدار ونظر داخل البيت وقال: أرى أنه لم يسكن منذ زمن طويل.

موسى : نعم لم يسكن أحد فيه منذ خمسة عشر عامًا.

وقفز الحوذي داخل البيت ، وفتح الباب ، فدخل موسى وأغلقه خلفه.

سيمين : لماذا أغلق الباب خلفه؟

طاووس : أغلقه لأجلي أنا ، حتى يبعد سفرة العقد من الحجرة.

مرضية لطاووس :كان المفروض أن تبعديها أنت ، عندما جئت مع زوجك.

طاووس : لقد تغير حالى فى ذلك اليوم فلم استطع أن أفعل شيئًا ، وأخذونى إلى الساحر ، ولم يبق وقت لإبعادها ·

مرضية : وهل قبضوا على الجن أم أنه هرب من جسمك؟

فضحكتا ، وقالت سيمين : بل فر من نفسه ·

ولاحظ على أن الجميع يضحك فضحك أيضًا وقال : من فر ؟ بابا هو الذى فر وهرب ؟

سيمين : كيف يفر أبوك ؟ لقد حاصرناه فلا يمكن أن يهرب ·

موسى للحوذى : أرجوك ساعدنى فى ترتيب البيت، اقطع الأعشاب، وانقل الأشياء البالية من فناء البيت ·

الحوذى : أيها الطبيب ، لا تفعل شيئًا، سأقوم بكل هذا وحدى ، ولكن لو كان هنا شخصان أو ثلاثة لكان الأمر أيسر ·

الطبيب : لا بأس ، سوف أنادى على الآخرين لمساعدتك ·

الحوذى : الأفضل أيها الطبيب أن آتى بالمساعد وسوف ينتهى الأمر بسرعة ·

لاحظ الجيران أن هناك موكبًا أمام بيت عمران بعد سنوات طويلة ، وفتح موسى الباب فوجد سيدتين ورجلاً يتحدثون مع طاووس ، ويه تقول لهم : إن الطبيب موسى هو الصغير سابقًا ، فتبادلوا البسمات والتحايا وصافح موسى الرجل وقال له : أنت السيد حسين؟

حسين ضاحكًا : ولم لا ، أنا حسين الذى كنت أضربك وأشد أذنيك ·

موسى : إذن بروز الأذنين عن الرأس دليل على أن كل الناس كانوا يفعلون أمورًا غير عادية فى طفولتهم، وأنهم كانوا يعاقبون ، وإلا لكان هناك ثقبان ناحية الرأس بدلاً من الأذنين فضحك الجميع ، وقالت سيمين : لماذا تركت " الحوذى " وحده؟

موسى : لقد أرسلنى لأبحث عن أرز أسود ·

طاووس : ماذا تعنى بالأرز الأسود؟

موسى : إن تنظيف البيت يحتاج إلى شغل كثير ولهذا أرسلنى حتى أجد له مساعدًا ·

حسين : هذا لا يصح ، كان من المفروض أن تخبرنا من قبل ، فنحن سود وكنا سنجعل من أنفسنا الأرز الأسود الذى تريد ·

فضحك الجميع ·

سيمين : شكرًا جزيلاً يا سيد حسين ، مع أننا نلاحظ أنك أسود وقالت السيدتان الجارتان : نذهب داخل البيت حتى نرى ماذا نستطيع أن نفعل ، وسوف نرتب البيت بالتعاون مع بعضنا ·

موسى : نشكركم جميعًا لحسن تعاونكم ·

مرضية : إذن لماذا نجلس نحن هنا ، هيا يا سيمين حتى نلحق بهم ·

وأرادت طاووس أن تنزل معهم ، فمنعتها سيمين وقالت لها: اكثى مكانك حتى ننتهى فننادى عليك ، فجلست وأخذت على الذى كان يريد النزول ، وقالت له سنمكث معًا ، ولن نذهب معهم.

ودخل موسى مع السيد حسين ، ثم دخلت السيدتان مع سيمين ومرضية .

الحوذى : أيها الطبيب،قلت لك نحن نحتاج شخصين أو ثلاثة ، ولم أقل لك أحضر لى جيشًا .

سيمين : احمد ربنا ، الآن أنت تأمر ونحن نطيعك.

الحوذى : ضاحكًا : عفوًا يا سيدتى ،أين نحن من أن نأمركم بشىء؟

واتحد الجميع فى تنظيف البيت ، فقطعوا الأعشاب من الفناء ، ورتبوا كل شىء فى البيت ، ذهب بعضهم إلى الدور الثانى ونظفوا الغرف وأخرجوا الماء من البئر ، ورشوا فناء البيت حتى صار البيت ملائمًا للسكن ، ثم قال موسى للحوذى : هات المراتب والوسائد حتى نفرشها هنا.

الجارة : هل تريد البقاء هنا هذه الليلة؟

الطبيب : نعم يا حاجة ، هل فى ذلك شىء؟

حسين : أنا لا أوافق ، لأن البيت غير صالح للسكن ، فكلكم ضيوفى الليلة .

سـيـمين لموسى : أقبل دعوة السـيد حسين من أجل طاووس ثم نرجع فى الصباح إلى البيت ·

حـسين : الضيف حـبيب الرحمن ، ولكنكم أعـز من الضيف ، ووضع يديه على عينيه وقال أنتم أعز علينا من عيوننا ·

حسين مخاطبًا السـيدة بتول: من فضلك يا بتول هانم، اذهبى إلى بيتنا وأخبرى عيالى إن لدينا الليلة ضيوف ·

بتـول هانم : وهل عنكم الليلة ضيوف؟

حـسين : نعم لقد صادفنا الحظ وكتب لنا الفخر ·

بتـول هانم : بيتنا مـثل بيتكم تمامًـا ، وإذا احتجـتم شيـئًا فنحن فى خدمتكم ·

مـوسى : نشكركم جمـيعًا ، جـزاكم الله خيـر الجزاء ، لنذهب عند السيد حسين هـذه الليلة ثم ننظر ماذا يقدر الله لنا فى الغد ·

نظفت مرضـية والجارة الغـرف التى فى الدور الثانى ، وأخرجا سفرة العقـد منها ونظرت مرضية إلى الأبواب والنوافذ وقالت: هناك نافذتان محطمتان والباقى جيد ، لكن الغرف باردة جداً ·

سـيـمين : بل نحن سوف نبيت هذه الليلة عند السيد حسين ·

ودخل على مع عمته طاووس إلى البيت ·

مـوسى لأخته : لماذا جئت ؟ اذهبى إلى العربة ·

طـــاووس : الجميـع اشتغلوا بالعمل ، وأنـا أيـضًا أريـد أن اشترك في تنظيف البيت ·

مــرضـيــة : قد قررنا أن نبيت الليلة عند السيد حسين ·

طـــاووس : ولماذا عند السيد حسين ؟ ولماذا لا نبيت فى هذا المكان؟

السيد حسين: يا طاووس هانم ، نريد أن نشرف بكم الليلة ·

طـــاووس : شكرًا جزيلاً يا سـيد حسين ، ولكـنني أرجح أن نبيت في بيتنا ·

مـــــوسى : إن البيت بارد ، وليس عندنا ما ندفع به البرد ·

طـــاووس : كيف لا يوجـد شيء ، لدينا دفاية ، وكـذلك وقود ، نشعل النار ، وسوف ندفيء البيت حتى الليل ، فلماذا إذن تتعبون السيد حسين ؟

حـــــسين : أرجوك يا طاووس هــانم، لا تخالفينـا فى هذا الأمر ، لأننا قررنا القرار ·

طـــاووس : يا سيد حسين ،لقد تعود على هذا البيت منذ صغرى ، وأريد أن أبقى هنا وأشكر لكم حسن خلقكم ·

ولما لاحظ موسى سيمين ومـرضية إصرار طاووس على البقـاء فى بيتهم،قالوا ونحن أيضًـا نوافقها على الـبقاء لأننا فى النهاية سنسكن هذا البيت ·

ســيـــمين : كم تريدين أن تبقى هنا ؟ ليلة أو ليلتين؟

طـــاووس : بل أريد أن أبقى هنا ستة أشهر ·

مـــــوسى : فى دهشة : نعم !! ماذا قلت ؟ تريدين البقاء مدة ستة أشهر هنا وحدك ؟!

طـــاووس : ولم لا يا أخى ؟ لا تعتـقد أنى تغيـرت ، فأنا طاووس التى كانت مثل أمك تدير هذا البيت ،
وإن الأعشاب التى قطعتموها هى من بذور القمح الذى كنت أطحنه.

مـــــوسى : أرى أننا لن نستطيع أن نقنع أخـتى بهذا الأمر ، شكرًا جزيلاً لكم ، وسوف نبقى فى بيتنا.

حـــــسين : لا بأس ، ولكن أريد أن أحضر بعض الأشـياء كالدفاية واللحاف والمراتب حتى تفرشوا الغرف.

بتـول هانم : ونحن لدينا لبن كثير وكذلك زبادى ، سأذهب وأحضره حالاً.

مـعصـومـة (إحـدى الجارات) : وأنا أيضًـا سـأذهب وأحضر ما تحتاجون إليه.

وبعد مضى سـاعتين من الزمن ، اشتعلـت الدفايتان ، وفـرشت الغرف ، وانتظمت كل شـئون البـيت، كمـا سمر الحـاج حسين زجاج النوافذ المكسـورة بالخشب ، وأحضر العشـاء ، واجتمع الجميع حول سـفرة العشاء وأكلوا ضاحكين متحابين.

وفى وقت الفجر صاح ديك الجيران ، فأعلن بزوغ فجر جديد ،فقام عبـاد الله وصلوا لله خالقهم الذى وهبهم نعمـة الحيـاة ليوم جديـد ، ثم فرشت مرضـية سـفرة الإفطار واجتمع الجميع حولها ، وتناولوا ما رزقهم الله به من عند جيرانهم.

سيمين مخاطبة موسى : يبدو أن المرضى قد وقفوا طابوراً بلا فائدة ، حيث إنك لم تذهب لهم ·

طاووس : إذا أردت علقت لك لافتة على باب البيت حتى يأتى لك المرضى هنا·

سيمين : هذا الأمر ليس صعبًا ، آخذ أنا وطاووس عصا ثم نقف بجوار الباب ،ونضرب كل من يمر أمام البيت بالعصا ، ثم يعالجه موسى ومرضية·

فضحكوا جميعًا وقال موسى: لا أريد أن أعمل طبيبًا ، بل أريد أن أفتح محل أبى وأعمل خبازاً·

فقامت طاووس من مكانها وقالت : بالله عليك هيا نذهب حتى نحدد مكان عيادتك·

ولكن موسى كان يفكر فيما مضى من أيام عندما كان يعمل مع أبيه ، وكان الناس يقولون له ، إن سبب احتراق خبزك أنك لست متزوجًا ، ولو كانت له زوجة لكان خبزك جيداً ·

طاووس : فيم تفكر يا موسى ؟ قلت لك قم نحدد مكان عيادتك هنا·

سيمين : اتركيه حتى يبنى عيادته فى شيراز أفضل من هنا·

طاووس : إن المحل كبير جداً ، ونستطيع أن نبنى عليه غرفتين للعيادة·

موسى : يا أختى يكفينى العيادة التى فى شيراز ·

طـــاووس : كيف تفكر يا موسى ، ألم نكن أهل هذا البيت ، وكنا نأكل من هذا المحل ، أليست هذه البلدة بلـدنا ومسقط رأسنا ؟! أليس من الأفـضل أن تخـدم بلدك وأهلك ؟ إن الناس هنا يحتـاجون إليك ، أم لأنهم فـقراء وليس لديهم مال مثل أهل شيراز ، فلو أعطاك الناس هنا ربع ما يعطيه أهل شيراز فهم أولى ، أو لعلك تفكر أن هذا البيت المتـواضع لا يناسبك الآن ، عمومًـا فعندك مال وتستطيع أن تبـنيه ، وإلا فالمنصـور ترك لى مالاً كثـيراً وسوف أشـترى لك بيتًا جـديدًا ، ثم ضربت طاووس بيـدها على الأرض وقالت : نحن تـربينا هنا ، وعلينا أن نخدم أهلنا هنا ٠

تعجب موسى من كلام طاووس وقال : ما شاء الله ، اختى فيلسوفة وأنا لا أعرف ؟!

طـــاووس : هـل كلامى غـير صحيح ؟ لو كـان غير صحـيح فقل أنت !!

طـــاووس : كنت منذ البداية صاحبة نظر ، وعندما عشت مع تاجر وعرفت كيفية إدارة الأمور تعودت أن أقول رأيى ٠

فـتمـثل موسى شـخصـيـة الهنود وهز رأسه قـائلاً : مبارك ٠ ٠ ٠ مبارك

وقـــالت : سيمين بصـوت عال : صفقوا لـتكريم السيدة طاووس بنت عمران ٠

فصفق موسى وسيمين ومرضية وعلى الصغير.

طـــاووس : كفى لا تسخروا منى أكثر من هذا.

مـــــوسى : يخطىء من يسخر منك ، إن كلامك صحيح وجيد ولكن بشرط.

طـــاووس : الشروط هى التى تعوق الإنسان عن عمله.

مـــــوسى : يا أختى هل تعرفين أنك حرة لفترة ستة أشهر فقط ، وقد مضى منها شهر ، وسيمضى الباقى كلمح البصر ، وتذهبين ونبقى نحن فى هذه المصائب.

طـــاووس : أولاً الواقع فى المصائب هو الشيطان ، ثانيًا : أنا أعرف المنصور وهو يفعل ما أريد وسوف أرسل له خطابًا فى أقرب وقت ، وأطلب منه ان يترك بلوشستان ولا يشترى فيها منزلاً ، ويأتى إلى هنا بحجة أن جو هذه البلدة طيب ويبنى لنا هنا بيتًا.

سـيـمين : طوبى لك ، زوجك يسمع كلامك ، أما زوجى فلا يبالى بكلامى.

مـــــوسى : نعم عندما تريدين أن تفرضى علىّ كلامك فلا استطيع الرفض ، هل نسيت أنك زوجتينى أختى فى المطعم ، وجئت بدف هدية ، وجعلتيه فى عنقها ، هل قلت آنئذ شيئًا ؟

فضّحك الجميع ، ثم قطع موسى الضحك بقوله : كان المفروض أن أكون اليوم فى العيادة لمعالجة المرضى ، لأنه كان من المقرر أن نذهب للساحر عصر أمس.

مـرضـيـة : عليك أن تأخذ معك السيد حسين يا دكتور حتى إذا بعث بك الساحر إلى الصحراء ، فلا تكون وحدك ·

مـوسى : يجب أن تكون طاووس معنا ، لأن مسألة الأموال تتعلق بها ، إن أبى لم يبعنى بثمن بخس ، وإنما باعها هى ، كما أن الذهاب إلى هؤلاء الناس لا يليق بى ·

سـيـمين : ولكن هذه المسألة مجانية ، ولو نجحتم لكسبتم أموالاً طائلة ويمكن أن تعثر على أبيك ·

طـاووس : لا أريد أن تقع فى مخالب الذئاب ، لا حاجة لنا إلى الأموال ·

سـيـمين : مخاطبة مرضية : اذهبى إلى بيت السيد حسين وقولى له ، إن الدكتور يريده ·

فقامت من مكانها وعادت مع السيد حسين ، وقال السيد حسين عند الدخول : يا رب يا ساتر ·

الطـبـيب : تفضل يا سيد حسين ·

حـسين : السلام عليكم أيها الطبيب ، والسلام عليكم يا زوجة الطبيب ، وطاووس هانم ، ثم نظر إلى مرضية وقال : ما اسمك ؟

ممرضـة : الطبيب : أنا مرضية ·

حـسين عفواً يا مرضية هانم ، أنا لا أعرف قرابتك بالطبيب ·

مـرضـيـة أنا ممرضة الطبيب ، وشرفت بصحبة الطبيب وزوجته سيمين هانم فى هذه الرحلة ·

مــــــوسى : نعم الرحلة التى كان السيد حسين مضيفها.

حــــــسين : عفـواً يا دكتور ، لا تخجلنى ، أنا لا أعـرف أن أقول شيئًا مثلكم.

ثم شكر موسى وطاووس وسيمـين حسين على السفرة التى أرسلها لهم.

حــــــسين : هذا بعض دينكم أيهـا الطبـيب أنت والسيـدة طاووس وأبوك عـمران والمـرحومـة والدتك وأنا لا اسـتطيع أن أوفى بعض هذا الدين.

ودخلت زوجة حسين ، فقام الجميع للسلام عليها.

مــــــوسى : يا سيـد حسين ، لـقد قـررنا اليـوم قـراراً ، نريد أن نشركك معنا فى تنفيذه.

حــــــسين : لا بأس ، مهما أمرتنى ، فأنا تحت أمرك.

مــــــوسى : إذن تعال معنا ولا تسأل أين نذهب.

حسين وقد وضع يده على عينه: على العين والرأس ، أنت تأمر فقط.

مــــــوسى لطاووس: هل أنت مستعدة ؟

طــــاووس : وقد قامت من مكانها : نعم أنا جاهزة

مــــــوسى لحسين : هل عندك شغل آخر حتى لا نعطلك عنه.

حــــــسين : فقط أريد أن أذهب للبيت لألبس الحذاء.

مــــــوسى : تفضل

وبعد ساعة من الزمن كان الجميع عند أمير شاه نوائى ، والساحرة تصنع الشاى لهم.

أمـيرة شـاه : اخرجوا من البلد وقت غروب الشمس ، وابدأوا السير في الصـحـــراء وقت طلوع الشـمس بمـعنى أن يكون ظهركم للشـمس ، وإما أن تذهبـوا ثلاثتكم ، وإما أن تعطى السيدة طاووس خاتمها حـتى تنجحوا فى البحث عن الحجر الأحمر الذى يظهـر وقت الظهر قرب الجبل الأسود ، فـإذا جلستم علـى قمة الجـبل ، ونظرتم مَن حلقـة الخاتم رأيتم شـجرة كبـيرة خلف هذا الجـبل ، وسوف ترون أيضًا حجرًا أحـمر على بعد مائة قدم من الشجرة ، فاقتربوا من الحجر ولكن لا تمسوه ·

مـــــوسى : لو كان الذهب تحت الحجر ، فكيف نحصل عليه ما لم نمسه ·

أمـيرة شـاه : لا تكن عجولاً ، اصبر حتى أشرح لك كل شىء ·

حـــسين : عفوًا يا أمير شاه ، عندى سؤال ·

أمـيرة شـاه : قل سـؤالك ، مع أننى أعرف السـؤال ، ولو صبـرت لأجبت عنه ·

فتعجب الجمـيع من ذلك ، وضحك حسين ساخرًا منه دون أن يدرك ذلك أميرشاه ·

حـــسين : تفضل يا سيد أمير شاه ·

أمـيـر شـاه : أنا أعـرف مكان الذهب ، وكان سـؤالك هو : لماذا لا أحصل على الذهب مـا دمت أعرف مكانه بدلاً من أن أعيش عيشة الفقراء ؟

فتعجب حسين لأن أمير شاه قد أجاب عن نفس السؤال الذى أراد أن يطرحه ·

ثم أضاف أمير شاه : لو أردت الحصول على ذلك ، لمحى علمى بأول خيانة ، فضلاً عن هذا المال لن يكون فى صالحى ·

موسى : لو كان علمك صوابًا فلماذا لم يؤثر فى علاج أختى ؟

أمير شاه : أنا قلت لمرافقتها : إذا خفت بطل العلاج حتى إن لم يظهر عليك الخوف ، ولا شك أن عدم فائدة علمى فى علاج أختك هو خوف مرافقها من ذلك المنظر ، كما أننى أذكر أن شخصًا آخر قد دخل فى أثناء العلاج ·

فأنا عملت كل ما على ، أما عدم فائدته فسببها هؤلاء

ثم أمر الساحرة أن تحضر طست ماء ، فقامت الساحرة وأحضرته ، ثم قال لطاووس تفضلى خلف الطست وانظرى داخل الماء ·

طاووس بعد أن نظرت إلى الماء : أرى أن السيد حسين وأخى يمشون فى الصحراء ، وأرى الآن الحجر الأحمر ، جلس السيد حسين وجلس موسى الحجر كبير ، رفعا الحجر ·

موسى : ماذا ترين تحت الحجر يا طاووس ؟

طاووس : لا شىء ·

أمـيـر شـاه : مخاطبًا موسى : ألم أقل إنك رجل عجول ؟! ثم نظر إلى طاووس وقال لا تنظرى فى الماء ·

طـــاووس : ولماذا ؟

أمـيـر شـاه : لو لم يتـحـدث مـوسى وسط كـلامى لأريتك الذهب والفضة ·

مـــــوسى : إذن مجيئنا من شيراز إلى هنا صار بلا فائدة ·

الســاحـرة : لا بل أنت عجول لهذا لا يفيد عملنا ·

مـــــوسى : إنكم تخدعون الناس ، مرة بأن العلاج لا ينفع والسبب المرافق ومـرة بأننـى عـجـول وبهـذا تخـدعـون الناس وتأخذون أموالهم ·

ثم قام موسى من مكانه ، وقام السيد حسين وطاووس وذهبوا إلى الباب ·

أمـيـر شـاه : لا بأس ، عدنا كما تريد ·

حـــــسين : لأميــر شاه : لا تصعب الأمـر علينا ، وإذا كان لديك حل فقل لنا عليه ·

أمـيـر شـاه : لقـد خرج الأمـر من يدى فإذا كـانت الساحـرة عندها فلتقل لكم عليه ·

الســاحـرة : لا بأس هناك حل ، ولكن ليس على الصورة الأولى ·

مـــــوسى : هيا يا سيد حسين نذهب ، فأنت تصر بلا فائدة ·

حـــــسين : انتظر قليـلاً حـتى نعـرف مـاذا يحـدث ، ثم نظر إلى الساحرة وقال : إذن كيف يكون الحل ؟

الســاحـرة : إن كل ما قاله أمير شـاه كان خلاصة أفكارى أنا ، لأنه يقرأ أفكارى أنا ، ثم يتـحدث لأنه ليس لديه صلاحـية التحدث فى هذه الأمور ، ولأن مـوسى قال إننا نسخر منه، فسوف أتحدث فجلـس السيد حسين ، وأشار إلى طاووس ومـوسى : أن اجلسـا ، فـجـلسـا ثم نظرت الساحرة إلى أمير شاه وقالت : قل٠

أمير شـاه : اتركيهم فهم لا يصـدقون كلامنا ، ونحن كذابون عندهم٠

فاعتذر السيد حسين وطلب حل المسألة٠

الســاحـرة : لأمير شـاه : نحن لا نتحدث مجـانًا ، بل إن ما أقوله ثمن غال ، ولكنه يعود إلى أمير شاه ، وسوف أعقد معكم صفقة٠

حـــسين : ما هى الصفقة ؟

الســاحـرة : هناك ثلاثة أكياس من الذهب واثنان من الفضة٠

حـــسين : حسنًا

الســاحـرة : إننى أقـول هذا الكلام فقـط لأن هذا الشاب يقـول إننا نسخر منه وإلا فهذا المكان ليس محل صرافة نتعامل فيه بالذهب والفضة٠

حـــسين : نعرف هذا ، فما هى الصفقة ؟

الســاحـرة : إن الأكياس قد بليت ، إلا أن الـذهب تحت الحجر وقد اختلط ، أما الفضة فـهناك كيس تحت الحجر ، وكيس آخر فى الناحية الأخرى٠

حـــــسين : إذن ماذا نفعل ؟

الســـاحــرة : بعد أن تـأخذوا الذهب من تحت الحـجر ، فـإن كيس الفضة هدية لأمير شاه ·

طـــاووس : لم أر فى طست الماء فـضـة ولا ذهب ، فكيف نهـدى الفضة لأمير شاه ؟

الســاحــرة : هذا هو موضع الجـدال وهو أن الحجر ليس تحـته ذهب ولا فضة إلا · · · حسين وموسى وطاووس: إلا ايه ·

أمـيـر شـاه : انظر يبحثون عن الذهب والفضة بعيونهم الستة ·

فغضب موسى مرة أخـرى وقام من مكانه إلا أن السيد حسين أصر على الجلوس ، فجلس موسى ، ثم نظرت الساحرة إلى أمير شاه وقالت له : قل ·

أمـيـر شـاه : لو رفعـتم الحجر لأول مرة ، فلن تجـدوا تحته شيـئًا ، فارجعوا الحـجر مكانه ببطىء وحرص ، ثم إلى الجانب الأيسـر ، وامـشـوا مـائتين خطوة فى ذلك الجـانب ، وهناك تجدوا عظام أبيكم فأحفروا وأدفنوها ، ثم عودوا إلى الحجر · · · وهنا أمر أمير شاه طاووس ·

وقـــــال : اجلسى خلف الطست مرة أخـرى ، فجلست طاووس وراء الطست ·

أمـيـر شـاه : ماذا ترين ؟

طـــاووس : رفع موسى الحجر بصعوبة ، لا يساعده حسين ·

أمـيـر شـاه : إن السيد حسين لن يساعده فى ذلك، فماذا تشاهدين ؟

طـــاووس : وهى فرحة : الذهب والفضة ·

أميـر شـاه : إن الذهب مختلط أما الفـضة فكل كيس وحده ومكانه صحيح ؟

طـــاووس : نعم نعم صحيح ·

أميـر شـاه : لو عددتم الـفضة ، لوجـدتم أن ما فى الجـانب الأيمن أكثـر مما فى الجانب الأيسـر ثم نظر إلى مـوسى وقال: الأقل لى ان جزاء عجلتك ومقاطعتك لى ، فإذا عدت فعليك أن تسلم هذه النقود وقبل وصولك إلى البيت ، فإذا ذهبت إلى البـيت فسوف تجـد النقود مزيفـة بفعل الساحرة ، وإن هذه النقود مبـاركة جدًا لهذه السيدة ، وإذا استـخدمها أحـد غيرها لضـاعت أو يصيبـه ضرر كبير ·

ظل مـوسى متـرددًا تجاه كـلام السـاحر إلا أن حـسين وطاووس قد صدقاه ·

ثم قام الجميع وقال حسين للساحرة : فكم يكون حقك أنت ؟

الســاحـرة : إذا رجعتم وأديتم حق أميـر شاه ، فأعطونى من حقكم قيمة وجبة غداء فقط ، لأننى لا يسمح لى بأكثر من هذا ·

فخرج الثلاثة ، واستغرق كل واحد منهم فى التفكير ، وهل يصح أن نقـوم بهذا العـمل أو لا ؟ ووصلوا إلى البـيت ، واستـأذن حسين ومـضى إلى بيتـه ، ودخل موسى وطاووس إلى بيتهما ،

فقال سيمين: أريد أخبار الذهب أولا حتى أسمح لكم بالدخول ، وإلا فارجعا من الباب.

مرضية : لا تقلقى ، فسوف يأتى الربيع والعشب.

موسى مازحًا : يحلم الجمل بأكل زهرة القطن.

لقد تسببت الضغوط التى حدثت فى بيت الساحر فى اضطراب طاووس فدارت رأسها وهوت على الأرض ، ولم يكن مع موسى أدوية للعلاج ، فجرى وأخذ قبضة من التراب ورش عليها الماء ووضعها على أنفها ، فلما شمت طاووس رائحة التراب استراحت ، وتحسنت حالتها .وجلست فى مكانها ، وأخذت نفسًا عميقًا ثم أخذت قطعة الطين من موسى ونظرت إليها ثم نظرت إلى موسى وقالت له : ما الذى وضعته على أنفى ؟

موسى : هذه قطعة طين.

طاووس : كانت حالتى هذه تستمر عدة ساعات والآن أشم التراب فتتحسن حالتى.

موسى : كل هذا بفضلى ، فلو لم استطع علاج أختى فما فائدة شهادة الطب التى حصلت عليها؟

سيمين : وهل فى التراب دواء ؟

موسى : إن كل شىء يريح الأعصاب يفيد فى العلاج ، وقد يكون ذلك فى الأدوية وقد يكون فى بعض النباتات مثل الزهور والورود وقد يكون فى التراب.

طـــــاووس وهى تضحك : لم أر مثل هذا العلاج من قبل.

فافتخر موسى بنفسه وقال : هذا ما يقال له كشف الدكتور موسى فضحك الجميع واستعدوا لتناول الغذاء.

العثور على عمران :

ترك المنصور طاووس فى رعاية أخيها وزوجته فى ذلك الصباح بعد الإفطار ولم يكن هذا غريبًا على المنصور ، فهو صاحب القرارات الصعبة ، لدرجة أنه لم يودع زوجته ، لأنه اعتقد أن إقترابه منها ربما أعاق تنفيذ القرار ، وعلاج طاووس أهم أمر بالنسبة له ، لقد تحمل الكثير طيلة خمسة عشر عامًا بجوار زوجة مريضة ، ومن هنا فقد أصدر القرار دون تردد.

وإن كان المنصور وعبد الله قد تركا بيت موسى دون توقف إلا أنهما توقفا فى السوق لشراء بعض الأشياء ثم سارا فى الطريق إلى سرو ستان .

وقد سار المنصور فى هذا الطريق عدة مرات من قبل ، إلا أنه كان يسير بالإبل وليس بالعربة مثل اليوم ، وفى أثناء زواجه من طاووس سار أيضًا من هذا الطريق ، ولم تكن معه بضاعة سوى طاووس ، لأنه لم يعشق طاووس أبدًا ، وإنما اشتراها بأمواله ، فقد كان مشترى العشق ولم يكن عاشقًا حقيقيًا .

طرق باب البيت فى الصباح الباكر طارق ، فعرف الجميع أنه السيد حسين جارهم ففتح موسى الباب

وسلم عليه وقال له حسين : ألم تستعد يا موسى ؟

الطبيب : لم أزل متردداً فى تنفيذ هذا القرار.

حسين : أيها الطبيب ، أنت مشغول فى شيراز بالعيادة ، ولا تعرف أن هناك صيادين يذهبون للصيد ، فإما يجدوا ما يصطادونه وإلا رجعوا بلا شيء.

موسى : حسنًا ، انتظر قليلاً حتى آخذ معى الإفطار والغداء.

حسين : لا تتعب نفسك ، لقد رتبت كل شيء ، ولكن خذ الخاتم من طاووس حتى ننطلق لقد تأخرنا.

موسى : إذن أين كل ما رتبته لسفرنا ؟

حسين : كل شيء جاهز خلف الباب.

وبعد لحظات استعد موسى للخروج ، وقد اعطت له طاووس حقيبة فيها بيض وجبن وخبز.

سيمين : حافظ على نفسك يا موسى.

طاووس : ولا تتعبوا أنفسكم، فكلام هؤلاء ليس صحيحًا مطلقًا ، وعليكم أن ترجعوا قبل الغروب.

حسين : لا تدللى موسى كثيراً ، وأنا رجل الصحراء والجبال وسوف أهتم به فى السفر.

طاووس : عليك يا حسين أن تحافظ على موسى ، فهو لم يفعل هذه الأمور مطلقًا فى حياته وخرج موسى وحسين وأوصلتهما طاووس وسيمين إلى الباب ، فوجد موسى عند خروجه حصانين مجهزين للسفر ففرح جداً لما فعله حسين.

الطبيب : عملك متقن جداً يا سيد حسين.

حسين : وهو يعطى لجام أحد الحصانين لموسى : وها نحن نذهب للصيد بلا سلاح.

الطبيب : إذا لو إصطدنا ثعلبًا بلا سلاح لكان خيراً.

وركبا الحصانين، واتجها إلى الجهة التى حددها الساحر ، فرأيا قمة الجبل قبل الظهر ، فتيقنوا أن هذه هى أول علامة، فربطا الحصانين تحت الجبل وصعدوا إلى قمته ، ثم نظرا نظرة حولهما ، وفجأة قال حسين : يا دكتور يا دكتور ، وكان موسى على بضعة خطوات منه فقال له: ماذا رأيت ؟

فأشار حسين إلى شجرة كبيرة وراء الجبل وقال : هناك شجرة كبيرة.

فذهب موسى عنده وأخرج خاتم طاووس من جيبه ، ونظر من داخل الخاتم إلى الشجرة ، ثم نظر حولها ، فرأى حجراً صغيراً قريبًا من الشجرة إلا أنه لم يلتفت إلى لون الحجر ثم أشار إلى الحجر وقال : يا سيد حسين : هناك حجر إلا أننى لا أرى لونه ، وهل هو أحمر أو لا ؟

حسين : ننزل إذن ونذهب وإن لم يكن هذا هو الحجر ، كان هناك حجر آخر قريبًا منه . فرجع موسى ونظر إلى الحصانين وقال : ماذا نفعل بالمركبين ؟

فنظر حسين إلى الحصانين ، ثم حدد طريق عودتهما من الجانب الآخر للجبل ثم قال : لا استطيع أن أحدد طريق العودة ، فرد عليه موسى وقال : وكذلك أنا ، ولو كان هناك طريق لكان بعيدًا جدًا وسوف يأخذ نصف النهار حتى نصل .

نترك الجوادين مكانهما وننزل تحت الجبل .

حسين : أليس الجوادين جوعانين ؟!

موسى : أرجع الآن وأحضر لهما شعيرًا، ثم اصعد فوق الجبل ،

حسين : ولكن عليك أن تنزل رويدًا رويدًا حتى وقت رجوعى .

لا يا حسين ، فأنا أخاف .

موسى : فضحك حسين وقال : حسنًا ، انزل أنا أولا وسأرجع بسرعة .

نزل السيد حسين من الجبل ، ووصل إلى الجوادين ، فجهز لهما الطعام، وكان موسى يراقبه من وفق الجبل ، وعندما انتهى حسين ذهب حتى يصعد إلى الجبل ، فأشار له موسى أنه يعرف طريقًا قصيرًا ، فأشار إليه حسين أن أنزل ، فهبط موسى ولحق به حسين وبحث موسى عن الحجر الأحمر إلا أنه لم يعثر عليه .

يوجد هنا كل شيء سوى الحجر الأحمر .

الطبيب : حسين ضاحكًا : لو كان أمير شاه معنا لغير لون الحجر بسحره .

هيا نرجع لقد خدعونا .

الطبـــيب : لقد وصلنا إلى هنا ، ورأت طاووس أنك ترفـع الحجر

حـــسين : دون مساعدتى ، فتقـدم وارفع الحجر ، فجلس موسى وحاول أن يرفع الحـجر الثقـيل ، فلم يجد تحتـه سوى بعض السوس تعيش فى رطوبة الحجر.

موسى ســاخراً : تعال يا حـسين خذ الذهب والفـضة فكلها لك ، لقد تأخرنا .

إن الحجر ثقيل ولو وضعته فى مكانه لقتلت السوس.

حـــسين : إذن ضع حفنة من الرمال حـول السوس حتى لا يموت

الطبـــيب : عند إرجاع الحجر مكانه فـوضع حسين عدة حفنات من الرمال حـول السوس ، ثم أرجع موسى الحجـر بهدوء إلى مكانه ، وقام ، ثم نفض يديه من التراب ثم قال : يجب علينا أن نـذهب لأن الوقت قـد تأخر والمسـافـة بعيدة.

حـــسين : لقد وصلنا إلى هنا ، فعلينا أن نمشى مقدار مائتى خطوة نحو الشمال حتى نعثر على العظام .

الطبـــيب : لا أوافـقك ، وعـلينا أن نذهب ، لأنه لو كـــان هناك حجر أحمر لكانت هناك عظام.

حـــسين : لقد تحققـت علامتان من العلامات ، فهـيا نذهب حتى تتحقق علامة أخرى.

نظر موسى نظرة يأس إلى ذلك الجانب ، ثم رجع وقال ساخراً لحسين :عندك صبر عظيم للوصول إلى الكنز ، لقـد كان الهـدف من المجىء إلـى هنـا أن أعثر على

أمـوال أبى " ولو اشتـغل الإنسـان بالجد لحـصل على عشرة أضعاف هذا الكنز "

حــــسين : لقد قطعنا شوطًا كبيرًا من الطريق ، وقطع مائتى خطوة ليس أمرًا عسيرًا .

مــــوسى : لو كلمنى أحد فى عيادتـى بهذا الكلام لسخرت منه . وقد دفعت دفعًا إلى هذه الخزعبلات ، فيجب أن يسخر الناس منى الآن.

حــــسين : لا بأس ، فإذا وصلنا إلى البـيت سوف نذهب مبـاشرة إلى أميـر شاه ، ونقول له كيف ترسلنا إلى شىء غـير موجود ؟ وإذا كان موجودًا ارشدنا إليه.

الطـبــيب : هل تظن أنه سوف يتـعب نفسه كمـا أتعبنا نحن ، إنه يستغل النساء الجاهلات حتى يأخذ كل
مــا عندهــن ، لأنه لا يريد أن يبــحث عـن المال فى الصحراء مثلنا.

مشيا حتى ظنا أنهما تجاوزا مائتى خطوة.

حــــسين : لقـد تجاوزنا المـائتى خطوة ، فـهل من الممكن أن نضع هذه الحـجارة فـوق بعـضهـا حتى تصـبح مـثل هيكل العظام.

مــــوسى : وهو ينظر حوله : يا أبى . . . يا أبى

عرف حـسين أن موسى لا يريد من هذه الـرحلة سوى العثور علـى عظام أبيه حتى يدفنها ، وإن كـان قد جاء هو من أجل الذهب والفضة وبينما يفكر حسين فى هذا

الكلام ، لاحظ على بعد سبعين خطوة كومة على شكل هيكل عظام ، فنادى يا دكتور يا دكتور.

وكان موسى على بعد عشرين خطوة فنظر إلى حسين وهو يجرى إلى تلك الناحية ، فجرى خلفه ، وهو يصيح بعد أن شاهد ما شاهد حسين : يا بابا ماذا كنت تفعل هنا ؟

تأثر حسين بهذا الموقف ، حيث نظر موسى إلى هيكل عظام أبيه واضطرب وبدأ يبكى ، وتقدم رويدًا رويدًا ، وجلس على ركبتيه أمام جمجمة أبيه ، وقبل أن يرفع عظام أبيه قبلها ، ثم رفعها وأخذها فى أحضانه وقبلها مرة أخرى ، وبكى بكاءً شديدًا ، وتحدث معها عن كل ما حل به وبطاووس .

جلس حسين وتأثر كثيرًا ببكاء موسى ، وبدأ يبكى هو الآخر،ثم اشتغل بعد ذلك هو بحفر قبر لدفن العظام.

وظل موسى يبكى وهو يقول ويردد ما قرأه فى علم النفس من أن أكثر الناس طمعًا وحرصًا ، هم الذين يهلكون بهاتين الصفتين ، فلو صبرنا وقنعنا بما عندنا لما حدث كل هذا ، يا أبى إن المال الذى حصلت عليه فى ليلة واحدة كان يمكن أن يكون من نصيبك لو اجتهدت طيلة هذه الفترة،ولكان عندك الآن المال والعزة الوقار ، ولو مت لكان عندك أحفاد تفتخر بهم .

ثم نظر موسى إلى القبر الذى حفره حسين وقال يا أبى : لقد تركت الدنيا منذ خمسة عشر عامًا وتدفن الآن ، وكان جسمك محيرًا وروحك مضطربة ، ولم تفد من المال الذى حصلت عليه .

حسين : اسمح لى يا دكتور أن أدفن عظام أبيك .

كان موسى يبكى ويتحدث مع أبيه ، ثم قبله ووضع عظام رأسه على التراب ثم خرج حسين من الحفرة وجمع العظام كلها ووضعها فى القبر ، ثم ألقى عليها التراب أمام عينى موسى الباكيتين ثم قرأ عليه الفاتحة ، وقاما من مكانهما وأراد موسى أن يصعد الجبل حتى يذهب إلى مركبه إلا أن حسين قد أخذ يده وقال : يجب أن نعثر على الحجر الأحمر ، لكن موسى لم يكن مهتمًا بالحجر الأحمر ولا بما تحته من الذهب والفضة لأنه تذكر ذكريات خمسة عشر عامًا ، غربة طاووس ، وموت حميد ، واضطراب عمته سودة وكيف أصبح يتيمًا عند عمه إبراهيم ؟ وفى تلك الأثناء ضحك حسين ضحكة عالية ، فانتبه موسى من تفكيره .

حسين : يا موسى إن الحجر الأبيض الذى رفعته قبل قليل قد تغير لونه إلى الحمرة فنظر موسى إلى الحجر واندهش إذ رأى لونه قد تغير بالفعل ، فأسرعا إلى الحجر ، وحاول حسين أن يرفعه ، فصاح موسى : لا . . . لا . . لا ترفع الحجر ، لقد قال أمير شاه : لابد أن أرفع أنا الحجر وحدى .

فتذكر حسين كلام أميـر شاه ، فابتعد عن الحجر ، ثم جاء مـوسى ورفع الحجـر وظهرت الفـضة والذهب ، فسعد كـلاهما ، وفهما أن الذهب والفضـة كانا عبارة عن الرمل الذى ألقاه حسين قبـل قليل ، وكانت الفضة فى أكيـاس ، أما الذهب فكان مـخـتلـطًا ومبـعـثرًا على الجانبين ·

حـــــسين مشيرًا بيده: هذه الفضة من نصيب أمير شاه ·

وأخذ موسى الحجر بيده اليسرى ، وبدأ يتلمس الذهب والفضة بيده اليمنى ، ثم حاول أن يرفع الحجر كاملاً ، وبدت ملامح البشر عليهما ·

مــــــوسى : ارفع السكة الفضية التى فى الجـانب الأيسر وضعها فى حقـيبـتك ، لأنها نصيـب أمير شـاه كما أنـك السبب الرئيـسى فى الحـصول على هـذه الأموال يا حـسين ، ولست أنا أو طاووس أو أمـير شاه لأننى انـصرفت عن البحث عـن الذهب عدة مرات إلا أنك أصـررت على العثور عليها ·

حـــــسين ضـاحكًا : إذن لم تكن مـحاولاتنـا فاشلة ، وسـوف نذهب إلى طاووس مـــعـززين مكرمين وهـذه أفـضل نتيجة ·

مــــــوسى : والآن خذ من هذه الأموال ما تريد ·

حـــــسين : يبدو أنك نسيت كلام أمير شاه ·

مــــــوسى : كيف ؟

حسين : قال أمير شاه ، إن هذه الأموال نافعة لطاووس فقط ، ولو استخدمها غيرها لأصابه ضرر كبير .

الطبيب : كلامك صحيح، ولكن أين نصيبك من هذه الأموال ؟

حسين : لم أفكر أبدًا فى نصيبى من هذه الأموال ، ومرافقتى لك والعثور على هذه الأموال إرضاء لطاووس، والعثور على أثر أبيك كان كل مطلبى .

الطبيب : لا بأس ، نصيبك معى .

حسين : إن هذه اللحظة من أجلى اللحظات فى حياتى .

موسى : وأنا كذلك لا استطيع أن أنساها .

وانشغل كلاهما فى وضع الذهب والفضة فى قطعة من القماش وحسين يغنى ويرقص فى تلك الصحراء من شدة الفرح ، أما موسى فيضحك على حالة حسين ، واقترب حسين من موسى وأخذه من يده وأجبره على الرقص .

فقال الطبيب: كنا نبكى منذ لحظات ، والآن نضحك وهذا يدل على أن روح أبى معنا .

حسين : يا موسى إن الفاتحة التى قرأتها على روح أبيك لم تكن من قلبى ، فهيا حتى نقرأها مرة أخرى .

وأدرك موسى أنه يجب عليه أن يشكر أبيه ، فوافق على اقتراح حسين ، وقال من شدة إخلاصه: هيا نذهب .

رجع كلاهما إلى قبر عمـران ، وقرأ حسين الفاتحة من صميم قلـبه ، ثم وضع عدة علامات علـى قبره ، ثم قام كلاهما وصعد الجبل ثم هبطا ، وأسرعا فى ركوب الجوادين ، وانطلقا نحو القرية ·

انطلقا وهما يفكران كيف يحكيا هذه الأمور للآخرين ، وكان كل واحـد منهما يريد أن يكون أسـبق من الآخر فى الأخبـار بهذه الوقائع : العـثور على الذهب ودفن عمران و · · فأسرعا إلى القرية ، وأراد حسين أن يوجه حصانه إلى البيت ، فأبى الحصان ذلك ، وكرر المحاولة وكذلك موسى ، فأبى الحصانان ذلك ·

فأوقف الطبيب حـصانه وقال للسيد حسين · أوقـفهما حتى يـستريحـا ، ثم سـأل الطبـيب حسـينًا : لمـاذا يعاند الجواد ؟

فقال حسين: الآن عرفت ·

الطبـيب : ولماذا ؟

حسـين : لأننا وعدنا أمير شاه أن نسلم حقه من الفضة أولاً ·

الطبـيب ضاحكًا : إذن فهم لا يتركونا فى هذه اللحظة ؟!

وحـول السيـد حسين الفـرس نحو بيت أمـير شـاه ، فصارت على الطريق دون أى عناد ·

حسـين مستغـربًا : هذا دليـل كلامى ، فـعلينا أن نسلم حق أمير شاه أولاً حتى ننصرف بعد ذلك بحريتنا ·

وصلا إلى بيت أمير شاه ، فوجدا الباب مفتوحًا ، ونظرت الساحرة إليهما وضحكت ، فتعجب الطبيب وحسين من فتح الباب قبل وصولهما وانتظار الساحرة لهما خلف الباب ·

حسين : هل كنت تراقبيننا ؟

الساحرة : ولم لا ؟ هل نسيتما حق أمير شاه ؟

الطبيب : معذرة يا هانم ، لقد نسينا وعدنا لكم من شدة الفرح

الساحرة : بصوت مرتعش: لا بأس ، فهذا حال الناس ، ينسون الفقراء ، عندما يحصلون على المال أو يركبون دابة ، تفضلوا ·

حسين : حاضر يا هانم ، نربط الجوادين أولاً ·

الساحرة : لا داعى لربطهما ، فأنا أراقبهما من الداخل·

ودخل الجميع إلى البيت وكان أمير شاه جالسًا خلف الطست .

حسين : كفى مراقبة يا أمير شاه ، لقد وصلنا بأنفسنا ·

أمير شاه : لم تأتيا ، وإنما أتينا بكم ·

الطبيب : لقد نسينا الوعد من شدة الفرح·

الساحرة : وقد أشارت إلى الحصير : تفضلوا ·

أمير شاه : لا بأس ، فقد كنا نراقبكم·

جلس الطبيب وحسين ، ثم ذهبت الساحرة لتحضر لهم الشاى من الإبريق الذى كان على الفحم فى وسط الغرفة ،ثم قدمت لهما الشاى وبعض الزبيب فى طبق.

الســاحـرة : حسنًا ، احكوا لنا ماذا فعلتم ؟
مـــوسى : لا حاجة للحكاية ، فقد رأيتمونا عن طريق الطست ، وأنتم تعلمون كل ما حدث .
أمـيـر شـاه : نعم كنا نراقبكم فى كل مكان .
الســاحـرة : إذن لم يكن سفركم بلا فائدة ؟
حـــسين : هذا ليس بصعب ، ولو كان لديكم كنز آخر فأنا مستعد للإتيان به ، ثم نظر إلى موسى وقال: ويترك الطبيب مرضاه فى العيادة ، ونذهب سويًا إلى الصحراء .
الساحرة ضاحكة : بل المرضى يطلبون الطبيب ، وإذا كـان هناك كنز فنحن أولى به لكننا لا نطمع فى أموال الناس ، وما فعلناه بكم من إبرام صفقـة ، فهو عقاب لكم لأنكم شككتم فى كلامنا .
الطـبـيب : ولكن كان هناك أمر مخالف لما وصفتم .
الســاحـرة : ماذا تقصد ؟
الطـبـيب : قلتم إن الحجر أحمر ولكنه . . .
الســاحـرة : فى البداية لم يكن أحمر ثم أصبح بعد ذلك .
حـــسين : وما سبب ذلك .
الســاحـرة : لم يكن ذلك الحـجـر فى وقت من الأوقـات أحـمـر اللون، بل هو أبيض ، ولكن جعلناه فى أعينكم أحمر لحظات معدودة ، وهذا سر من أسرارنا .
فأخرج الطبيب كيس الفضة القليل ووضعه أمامها ، ثم وضع بقـيـة المال أيضًا وقـال : لقـد كنتم السـبب فى عثورنا على هذا المال فخذوا منه ما شئتم .

الســاحـرة : وهى تضحك : يبدو أنكم نسيتم كلامنا ·
الطبـــيب : لماذا ؟
الســاحـرة : هذه الأموال ليست من حق لكم تتصرفون فيه ·
حـــسين : لقـد صــدقت يا هانم وقـد أشـرت مـن قـبل أن هذه الأموال مـلك لطاووس ، وهى الوحيـدة التى يمكن أن تنتفع بها ·
الســاحــر : نعم السيـدة التى كانت مـعكم فى المرة السابقـة ،لقد قرأت فى جبينها أنها صاحبة الذهب والفضة ·
حـــسين : نريد أن نعطيكم حقكم حتى نذهب إلى البيت ·
وكان أمير شاه ينظر إلى النقـود ، فقالت له الساحرة ، أغمض عينيك فطأطأ أمير شاه رأسه ، ولم يقل شيئًا ·
الســاحـرة : تفضلوا اشربوا الشاى لقد برد ·
فشربا الشاى سريعًا ، والطبـيب يفكر فى كيفية حكاية هذه الأمور لطاووس ، ثم قسمت الساحرة الفضة التى كانت من نصيب أمير شاه إلى ثلاثة أقسام ، ثم دفعت قسمًا منهـا أمام أمير شاه ، فاعتـرض قائلاً : لقد كان القرار أن تكون هذه الفضة كلها لى ·
الساحرة له : اسكت ولا تتكلم ·
فسكت ولـم يتحدث ، ثم وضـعت قسـمًا منهـا أمام حسين وقالت ، وهذا الثلث نصيب حسين ، قد أديناها من حقنا وليس من حق النساء ، والثلث الباقى من حق طاووس ·

الطبيب : هذا يغضب أمير شاه، والأفضل أن نعطى له كل حقه.

الساحرة : قلت لك مرات عديدة ، إنك عجول ، كيف تنفق أموالاً ليست لك ،عليك السمع والطاعة دون الكلام.

حسين : أرجوك يا دكتور ، لا تعترض على تصرفات الهانم حتى لا تغضب منك.

الساحرة : حتى أنت بدأت تنحرف أيضًا.

حسين : لم أنحرف ولم أتكلم.

الساحرة : كيف لا ، وكنت تتصور فى خيالك أن أمير شاه صار صاحب مال ، وكذلك أنت وطاووس أيضًا، أما الطبيب الذى كان العامل الأساسى ، فلا نصيب له من هذه الأموال ، أليس كذلك ؟

حسين متبسمًا ومندهشًا : نعم كنت أفكر فى هذا كله.

الساحرة : ألم أقل لك.

حسين : لقد عرفت سؤالى فما جوابه ؟

الساحرة : الطبيب لا يحتاج أموالاً ، فهو يعالج المرضى بأموال.

أمير شاه : الذى لم يكن راضيًا عن نصيبه : قوموا وانصرفوا.

الساحرة : صحيح هناك من ينتظركم ، لكن لا تنسوا نصيبنا ، ثم أخذت مقدار وجبة واحدة.

وخرج الطبيب وحسين من البيت بعد الشكر والتحية ، وما إن فتحا الباب حتى وجدا الجوادين يقفان وكأن شخصًا أوقفهما.

فنظر الطبيب إلى حسين ، وأشار إلى الجوادين ، ثم ركبا وانطلقا إلى البيت ، فوجدا الباب مفتوحًا وسيمين وطاووس وزوجة حسين وعلى الصغير منتظرين أمام البيت .

وكان الجميع يفكرون فى حسين والطبيب أكثر من تفكيرهم فى الذهب والفضة ، وسعدوا جميعًا عندما ظهر حسين وموسى حتى على الصغير كان يرقص من شدة الفرح ويقول : جاء بابا وحسين .

سيمين صائحة : لقد قلقنا عليكم كثيرًا .

طاووس : لماذا تأخرتما ؟

وظهر الطبيب وحسين بشكل واضح ويبدو السرور والنشاط عليهما .

زوجة حسين : هل نجحتما ؟

حسين : هل يمكن أن يرجع حسين فاشلاً ؟

زوجة حسين : لم نر حسينًا ناجحًا فى حياته ، ولكنه يبدو أنه لم يرسب هذه المرة .

طاووس : ماذا فعلتم ؟ يبدو الفرح عليكم .

الطبيب : الأفضل أن نأكل أولاً حتى نستطيع الحديث .

حسين : مبروك يا هانم .

طاووس : على ماذا يا سيد حسين ؟

حسين : أقصد الكنز .

سيمين : هل كان هناك كنز ؟

الطبـــيب : نعم كان هناك كنز ·

أدخل موسى الحصانين إلى فناء البيت ، وتقدم على الصغير وهرب لأنه كان يخاف من الحصان، وصعد السلم وهو يقول : يا ربى سوف يأكلوننى ·

الطبـــيب : لا أريد أن أتكلم معكم إلا بعد أن نأكل شيئًا ·

دخل الجميع الغرفة ، وذهبت زوجة حسين كى تعمل الشاى وذهبت طاووس لكى تحضر الطعام الذى كان فى المطبخ ·

حســـين : يا طاووس هانم لماذا تتعبين نفسك ، هناك من يخدمنا ·

ســيمين : لا تسخر منا أكثر من هذا ، لماذا لا تتكلم حتى تريح قلوبنا ؟

طـــاووس : التى لم تتوقع العثور على الذهب والفضة : لماذا لا تتحدثان حتى نفهم اللغز ؟

ففتح الطبيب عقدة القماش ، وألقى بالذهب والفضة وسط الغرفة فتعجب الجميع ، وزاد صوت السكة من رغبتهم فى الطعام وتركت طاووس الطعام ، وجاء الجميع معها لمشاهدة الذهب والفضة ·

طـــاووس : وهل كان موضوع دفن العظام صحيحًا ؟

الطبـــيب : نعم ، وكل ما قاله الساحر كان صحيحًا ، والآن أحكى لكم كل شىء ، فسعد الجميع إلا طاووس التى تأكدت من موت أبيها ·

حســـين : نحن جوعى يا جماعة لماذا تظلموننا ؟

سيمين : اترك الذهب والفضة حتى نشبع من رؤيته ·

وبدت ملامح الفرح والنشاط على وجوه الجميع ، حتى على الصغير الذى أخذ بعض الذهب وحاول أن يهرب من الجهة الأخرى ، فأخذه والده وقال له : أين تذهب ؟ إن هذا الكنز لا يفيد أحدًا سوى عمتك ·

أما طاووس التى عاشت خمسة عشر عامًا فى الذهب والفضة ، فلم تفرح كالآخرين ، وإنما نظرت إلى أخيها عندما قال " وطاووس الليلة هى التى تشبه الطاووس " وأخذت نفسًا عميقًا وسكتت ·

موسى : ماذا حدث يا طاووس ، ولم لا تفرحين بهذا الكنز ، كما أننا ضيعنا يومًا كاملاً فى سبيل هذا الكنز ، وعليك الآن أن تعطينا أجرنا منه ·

طاووس : إن هذا الكنز يا أخى لا يداوى آلامى ، بل إن الكنز الذى أنا فيه أفضل من هذا الكنز ألف مرة ·

حسين : أين هذا الكنز يا طاووس ، أرشدينا إليه وسوف نحضره لك ·

طاووس : هذا الكنز هو قلب الإنسان وذهبه وفضته هى الفرح والنشاط ولا يحتاج إلى شىء سوى العقل والفكر للعثور عليه ·

حسين : وأنا محروم منهما ·

طاووس : إن القلب السعيد قد يوجد فى بيت أفقر الناس ، وقد لا يوجد فى بيت أغناهم ، فالأغنياء يعيشون فى

رفاهية ، ولكنهم يفتقرون إلى القلب السعيد المطمئن ، وهم فى الحقيقة أفقر الناس ٠

حسين إلى زوجته الحزينة : لماذا حزنت من كلام طاووس ؟

زوجة حسين وقد تغير لونها : لا شىء كنت أفكر ٠

فتح حسين رباط الفضة التى أخذها من الساحرة ، ووضعها أمام زوجته ، فنظرت إليها وعرفت أنها لها ففرحت وقالت : هل هذا لنا ؟

الطبيب : نعم لقد أعطتها الساحرة للسيد حسين ٠

وقدمت طاووس الذهب والفضة أمام زوجة حسين وقالت لها : خذى ما شئت ، فأرجع حسين الذهب والفضة إلى مكانهما وهو يقول : نحن أخذنا حقنا ، وهو يكفينا ٠

زوجة حسين : شكراً جزيلاً ، إن ما حصل عليه السيد حسين يكفينا ٠

سيمين : يبدو أننا يا موسى قد خدعنا فى هذه الصفقة ؟

الطبيب : لم نخدع ، وقد وضحت الساحرة كل شىء ٠

طاووس لموسى : هل يمكن أن نزور قبر بابا ؟

حسين : نعم ، ولكنك لا تستطيعين أن تذهبى إلا بمصاحبتى أنا

ثم قام الطبيب ، وأحضر قدر الطعام إلى وسط الغرفة بين الذهب والفضة وقال للسيد حسين : تفضل يا حسين لأن هؤلاء لا يهتمون بنا، فأخذت سيمين القدر بسرعة وذهبت حتى تجهز الطعام فى أطباق ٠

الفصل التاسع

المنصور فى وحدته فى بلوشستان

قضـــى المنصـور مدة ستـــة أشهـــر بعدما رجع من " سرو ستـان " وذات يوم كان الوقت صيـفًا ، والجو حارًا ، وكـانت النجوم تتـلألأ فى السمـاء ، والمنصور راقد على سـرير بجانب غرفـة بإحدى حدائقـه، وكان ينظر إلى السمــاء ، وكان يفكر كيف يبيع هذه الحـديقة فـى مـدة عـشـرة أيــام ، كـمـا بـاع كــل ممـتلكـاتــه فـى بلوشستان .

لقـد وصل إليـه خطاب من طاووس منذ ثلاثة أشـهـر تبدى فـيه رغـبتهـا فى البقاء فـى "سروسـتـان " وكان المنصـور يريد أن يقضى بقـية حيـاته بجانب زوجـتـه الشابة ، والأمر عنده سواء ، فالمكان غـير مهم بالنسبة له ، لأن ثروته تجعل كل مكان مألوفًا بالنسبة له .

كما أن الحياة فى "سروستان" جميلة جدًا بالنسبة لرجل عاش فى الصحراء والجبال ولذلك عندما وصل الخطاب قبله وتحدث معه .

لقد كتبت له طاووس بأن المرض عاودها مرة واحدة بعد رحيله ، وقد عالجها موسى بالطين ٠

سعد المنصور بأنه باع كل ما يملك فى عشرة أيام ، وسوف ينسى كل المتاعب التى لاقاها فى الأشهر الماضية بسبب فراق طاووس ، وظل المنصور فى تلك الليلة يراجع شريط ذكرياته ، وكل ما مر به من وقائع طيلة حياته فى عهد الصبا والشباب ، كما راجع ذكرياته عن الزملاء والأقران والزوجات اللائى لم يكن لهن فائدة سوى طاووس ٠

وكيف كانت حصيلة عمره ابنًا لا يدرى أين مكانه ، لأنه منذ فارقه مع أمه لم يهتم سوى بالمال، لكنه عرف قيمة الأولاد فى نهاية عمره ، وتذكر كيف زهد فى ابنه عندما أعطى لأمه أربعة أكياس من الذهب لأنها أخذته معها بدلاً من اثنين إذا كانت تركته ، وكيف رفضت زوجته كل ذلك وقالت له : خذ أموالك حتى لا تنقص أما أنا فسوف آخذ فلذة كبدى دون أى مقابل مالى ٠

والآن يقول : إننى مستعد أن أنفق كل مالى مقابل العثور على ابنى حتى يكون وارثًا لى بعد موتى، إن طاووس طيبة وشابة جميلة إلا أنها عاقر لا تنجب ٠ إن ما يحدث لى ربما كان بسبب دعوة المظلوم ، وهذا المظلوم هو أمى ٠

لقد مــات أبوه وهو فى سن الثانية عشــرة ، وكان أبوه ثريًا ، ولم ينجب ســواه ، وقــد دعت أمــه عليه عــدة مرات لأنه أخذ ثروة أبيه كلهــا ولم يراع حقها فى تلك الثروة عندمــا كان عمره خــمسة عــشر عامًا ، وتركــها بدون نقود ·

ثم عــرف بعد مــضى عام واحــد أن أمه مــاتت فقــيرة مــسكينة ، فى حين إنه كان مــشغــولاً بجمع الأمــوال لدرجة أنه لم يزر قــبر أبيه الــذى مات منذ سنوات ولم يزر قبر أمه التى كان سببًا مباشرًا فى موتها ·

وقال المنصــور فى نفســه وهو يراجع أحداث حــياته : يجب على أن أتذكــر أبى وأمى أمــا أنت يا أمى فــقــد عذبت بسبب ابنك مثلى ، فأنا الآن أعذب بسبب فراق ابنى ، لأننى الآن علــى يقين مـن أن الإنســان يجنى ما يزرع من قبل ، إن خيراً فخير وإن شراً فشر ·

لقــد أخذت منك المال فــأخذت منى ســعادتى ، لقــد حبستك ، والآن أدرك أننى حبــست نفسى بعدما ذقت الخوف فى الصــحراء من قطاع الطرق ، بعدمــا أذقتك إياه ، ولقد أذاقنى الله لباس الجــوع مثلما فعلت بك ، لقد صرت عقيمًا برغم الولد .

أما زوجــتى الأخيــرة فلم أسعد بهــا حيث إنهــا كانت تصاب بالمرض كل يومين أو ثلاثة وتسبب الجزع والفزع للناس لأنهم كانوا يظنون أنها حــفيدتى أو ابنتى ، فإذا

عرفوا أنها زوجتى سخروا منى ، لقد جمعت الأموال إلا أننى لم أحصل على السعادة وكل ما معى حفنة من المعدن ، كم أنفقت على الفقراء ؟ وكم أنفقت على اليتامى ؟ وكم أنجبت من الأبناء والبنات ؟ لا شىء ، وكل ما يميزنى عن الآخرين بيت فاخر ولباس مزركش ، لقد أكلت مثل الحيوان ، وانقلبت العربة بى فى الطريق ولو مت ما سأل أحد عنى حتى طاووس ،

لقد كان الملك المنصور مستغرقًا فى التفكير عندما طرق باب الحديقة منادى هيبت الذى كان يخيط حذاءه تحت نور الفانوس فى حجرته القديمة وسط الحديقة ، فأجاب

هيبت : نعم يا سيدى ٠

المنصور : خسئت ، ألا تسمع طرق الباب ؟

هيبت : نعم يا سيدى سمعته ، ولكننى قلت أنتهى من خياطة الحذاء حتى أستطيع أن ألبسه ٠

المنصور : اذهب وافتح الباب ٠

هيبت : حاضر يا سيدى ٠

فذهب هيبت إلى باب الحديق ، فوجد الطارق مازال يطرق الباب ، فقال : اصبر لقد جئت ، وعندما فتح الباب وجد أحد تجار بلوشستان خلف الباب ٠

هيبت : آصف خان ، أهلاً وسهلاً .

آصف : السلام عليكم يا هيبت ، كيف حالك ؟ هل المنصور موجود ؟

هيبت : الحمد لله ، تفضل هو فى الداخل .

دخل هيبت سريعًا ، وقال للمنصور الذى لم يزل على السرير : يا سيدى لقد حضر آصف خان .

المنصور : حسنًا ، قل له : تفضل .

هيبت : تفضل يا سيد آصف خان .

آصف : أنت وحدك يا ملك منصور .

المنصور وقد بدأ يجلس على السرير : نعم وحدى تفضل .

وكان هناك سرير خشبى بجوار الجدار الطوبى ، وحوله ثلاث أشجار وبالقرب منه حوض شفاف أزرق ، يزينه نور الفوانيس الخمس خلف الأشجار .

المنصور : لم يكن من العادة أن يزور الكبار الصغار .

آصف خان : سلام على الملك الوحيد .

المنصور : نعم لقد أصبحت وحيداً

آصف : لم تكن وحيداً يا ملك ، ولكنك ظننت أنك سوف تنجح فى الوحدة أيضًا ولكن انظر كيف تركتك الوحدة ؟

المنصور : تفضل ، هلا جلست ؟

جلس آصف خان بجوار المنصور على السرير وصافحه .

المنصور : أهلاً وسهلاً ، كيف خرجت فى هذا الوقت المتأخر ؟ يبدو أنهم طردوك من البيت ؟

آصــــف : أتمنى ذلك اليـوم الذى يخـرجـونى فيـه من البـيت ، ولكنهم أذكياء جدًا ، ولكنهـم تمنوا لو جعلوا حبلاً فى عنقى حتى لا أستطيع الهروب .

فـضحك المنصـور ، وكذلك هيـبت الذى وقف قريبًـا منهـمـا ، لكــن المنصـور غضـب من ضحكة هيـبت وقال له : اذهب وغب عن عـينى ، لماذا وقفت هنا ، اذهب وأحضر الفواكه وأحضر شمامًا وسكينًا وصينية .

هيـــبت : وقد طأطأ رأسه : حاضر يا سيدى .

المنـصــور : لآصف خــان : إن لكـل واحــد خدامًــا وخـادمى هو هيبت ، ولو تركته ما قبله أحد .

آصــــف : لقد سمعت أنك تركت كل خدمك ؟

المنـصــور : نعـم ، لقــد أنهـيت كــــل أعمــال هنا حتى أذهب إلى شيراز .

آصف خان : بعت كل شىء ؟

المنـصــور : إلا هذه الحديقة وهيبتها .

آصف خــان وهو يضحك : إن هيبتها ذو هيبة .

فـضحك كـلاهمـا ، وكذلك هـيبت عندمـا سـمــع صوتهما ، ثم ضحك المـنصور وآصف خان مرة أخرى من ضحكة هيبت .

آصف خان : منذ كم سنة وهيبت معك ؟

المنـصــور : منذ خمــسة وعشــرين عامًا ، ولو أيقظتـه فى منتصف الليل وقلت له عندنا سفر يطول لستــة أشهر لا يعترض

ولا يسأل عن الأجر ، ويستطيع أن يخدمك في السفر ، وكذلك هو قادر على المحافظة على الدواب ، فهو يعرف كيف يتصرف معها .

آصف : ما برنامجك يا منصور بعد كل هذه القرارات الحاسمة ؟

المنصور : ليس شيء سوى أن أبيع هذه الحديقة وأسافر .

آصف خان : لا شك أن شيراز بلدة طيبة وجميلة ، إلا أنها ليست بلدتك .

المنصور : لم يكن لي وطن حتى تكون شيراز وطني الآخر .

آصف خان : بكم تبيع هذه الحديقة ؟

المنصور : بمَ تشتريها أنت ؟

آصف : من قال أنني مشترى هذه الحديقة ؟

المنصور : لا تتجاهل إنني أعرف كل حركاتك وسكناتك ، فلن تخدعني .

أصف خان : صدقني لست مشتريًا لهذه الحديقة .

المنصور : لو لم تفكر في هذا لما زرتني في هذا الوقت من الليل ؟

آصف ضاحكًا : أنت خطير جدًا لقد ربطت أيدى الشياطين خلف ظهورها .

المنصور : وأنت لست أقل من هذا وحياتك عندى .

آصف خان ضاحكًا : لن أعطيك نقودًا .

المنصور : سأزرعها إن لم أبعها ، وسوف أسافر وأعود بعد سنة حتى أحصد الزرع .

آصف خان : من يسقى الزرع ؟

المنصور : أنت ·

فضحك كلاهما ، وجاء هيبت بالبطيخ بدلاً من الشمام ، فضحكا مرة ثانية .

آصف خان بعدما نظر إلى هيبت : يبدو أن الشمام يزرع عندكم على هذا النحو (أى على شكل بطيخ) ·

المنصور ضاحكًا : بل إن هيبت هو الذى يخلط بين الشمام والبطيخ ، فلو قلنا له هات البطيخ يأتى بالشمام ، ولو قلنا له هات الشمام يأتى بالبطيخ ، لم يفهم هيبت كثيراً من كلامهم ، وجاء ووضع الصينية وجعل البطيخة مع السكين فى وسطها ·

المنصور : سوف أبيع لك هذه الحديقة رخيصة ولكن بشرط ·

آصف : وما هذا الشرط ؟

المنصور : ألم أقل لك إنك جئت لشراء الحديقة ، ولو لم يكن كذلك لما سألت عن الشرط ·

آصف وقد ضحك وضرب بيده على ظهر المنصور : نعم والله ·

شق المنصور البطيخ ، فظهر لونه الأحمر ·

آصف خان : وحياتك لو لم يكن البطيخ أحمر لما اشتريت هذه الحديقة ·

المنصور : عشت ، أطال الله عمرك ·

آصف : ما شرط شراء هذه الحديقة؟

المنصـــور مشيراً بالسكين إلى هيبت : هذا هو الشرط .
آصف خان : معنى هذا أنت تبيع الحديقة مع هيبت ؟
ضحك هيبت فى بادىء الأمـر ، وعندما علم أن الأمر يتعلق به والبيع والشراء بكى وقال : لا تبعنى يا سيدى .
آصـــف : اذهب إلى غرفتك ، ولا تخف فلن نبيعك .
فذهب هيبت إلى غرفته .
المنصـــور : مسـاحة هذه الحديقة أربعـة أفدنة ، فيـها ثلاثة أو أربع أبقار وعدة شياه ، سوف أذبح إحداها والباقى لك .
آصـــف كم قيمتها ؟
المنصـــور : أنا لا أعـرف ، وأنت خبيـر فى هذه الأمور وتعـرف الأسعار ، ضع ما تراه مناسبًا لقـيمتها فى كيس وأعدك أننى لن أفـتح الكيس إلا بعد مـغـادرتى بلوشسـتـان بثلاثة أيام .
آصف خان : قـبلت يا ملك مـنصـور ، وأنـت تعـرف أنـنى لن أبخسك ، حتى لا تأتى وتعترض على بعد أن تكون قد سرت مسيرة ثلاثة أيام .
المنصـــور : بارك الله فيك .
وأكل آصف البطيخ ، وكـان الماء ينزل من البطيخ على لحيته القصيرة ثم ينزل على الصينية .
آصـــف : وبارك فيك وفيمن سيستفيد من هذه النقود .
المنصـــور : وهـو ينظر بأسـفل عينيـه إلى آصف وكأنه يعـترض : ماذا تعنى ؟ هل أصبحت لا أتصرف فى مالى ؟

آصــــف : لا يا حبيبى ، بارك الله فى عمرك ، أنت الذى تستفيد من مالك ، وباع المنصور آخـر قطعة من أرضه ، وترك هيـبت فى الحديقـة لرعاية المواشى وجـاء آصف بكيس النقود فى الغد ، فـأخذه المنصور دون أن يفتـحه وألقاه فى زاوية الغرفة ، وذهب لينادى على هيبت .

هيـــبت : نعم يا سيدى.

المنصـــور : اذهـــب إلـى بيت عبـد الله ، وقل له استعـد للسـفر إلى شيراز بعد أسبوع.

هيـــبت : هل أنا معكم فى هذا السفر.

المنصـــر : لا ، ستبـقى مع آصف خـان بعـد هذا الحين ، وهو أحسن منى معاملة.

هيـــبت : وقد رجـــع بالذاكـــرة خـمسـة وعشرين عـامًـا قضاها مع المنصـــور : مـعنى هذا أنك لن ترجـع يا سـيـدى بلوشستان ؟

المنصـــور : لا ، بل ، اذهب إلى شـيراز وسـوف أبحث هناك عن هيبت آخر.

والآن اذهب إلى بيت عـبـد الله حـتى يجـهـز المركب للسفر.

هيـــبت : حاضر يا سيدى.

وابتـعد هيـبت عن انظار الملك المـنصور ، وخـرج من الحديقة ، فذهب المنصـور بمعوله إلى زاوية فى الحديقة

حتى يطمئن على أكياس النقود التى هى حصيلة عمره ، كما أخذ كيس النقود الذى أعطاه له آصف ليحصى ما بها ، فوجده قليلاً فقال فى نفسه : يا ظالم يا غدار هل يمكن أن تكون هذه الحديقة الجميلة بهذه النقود القليلة ؟!

ثم ألقى بالكيس بجوار إخوانه ، ولم يهتم بقلة النقود إلا أنه غضب من آصف .

بعد أسبوع

فى صباح يوم الجمعة جهز عبد الله جميع متطلبات السفر إلى شيراز ، وقد أخفى المنصور أكياس الذهب فى طيات الملابس ، وساعده عبد الله وهيبت فى نقلها إلى العربة ، وكان آصف يقف على بعد عدة أقدام وسمع قول هيبت : ما بال هذه الملابس ثقيلة إلى هذا الحد ؟ فقال له (وهو يعلم السبب وهو أنه ... ع فيها ما جمعه طيلة عمره من الذهب):

مالك وثقل الملابس أو عدم ثقلها ؟! ضعها فى العربة ، فوضعها هيبت ثم عانق المنصور وودعه .

المنصور : مخاطبًا آصف : لو كان هناك زيادة أو نقص فى حقك .

آصف : وكذلك أنت سامحينى فيما صدر منى فى حقك .

المنصـــور : وقد تذكر ظلمه له فى ثمن الحديقة : أنا لا أسامح ·
آصـــف : ولماذا ؟
المنصـــور : إنك ظلمتنى كثيراً .
آصـــف : ألـم تقـل أنك لـن تحصى النقـــود إلا بعد مـسيـرة ثلاثة أيام ؟!
المنصـــور : لم أعد النقود ، وسأحـتفظ بحق الكلام بعد ثلاثة أيام أخرى ·
آصـــف : لابد أنك غير راضٍ عنى ·
المنصـــور : لا بأس ، ولو لم تدفع شيـئًا لأعطيتك الحـديقة · ثم نظر إلى عبد الله وقال : هل أنت مستعد ؟
عـبـد الله : نعم يا سيدى ·
فـفـتح المنصـور باب الموكب (العـربة) وجلس وودع آصف وهيبت قائلاً : أستودعكم الله ·
آصـــف : فى أمان الله ، ربنا معك ·
وعندمـا هم آصف بدخول الحديـقة وجد هيـبت يبكى بغزارة وهو ينظر إلى موكب الملك المنصور ·

الليالى الأخر:

مـضت الأيام الباقـيـة فى الأشهـر الست التى وعـدها المنصـور ، وقد بنت طاووس بيـتًـا جديدًا فى قـريتهـا بالنقـود التى تركهـا المنصور وكذلـك النقود التى عـثر عليها موسى بمساعدة حسين وإرشاد الساحر ·

وكان حسين صاحب الدور الأكبر فى بناء هذا البيت ، واستقرت طاووس فى بيتها واتخذت بعض الخادمات ، وعالجها موسى من مرضها بالأدوية وبتنمية فكرها وإرادتها ، وبالتنبيه على الخادمات والطباخة بألا يستعملن الأطعمة التى فيها ما يثير الأعصاب من التوابل وغير ذلك .

وقد دعت طاووس العم إبراهيم وعصمت هانم وسيمين وأخاها موسى وعلىّ الصغير ذات مرة إلى بيتها الفاخر ، وتحدثت معهم حديثًا مطولاً .

طاووس لموسى : أنا أعرف أن زوجتك عاقلة وتدرك الأمور جيدًا .

وإلا ما تحدثت معك فى هذا الموضوع أمامها ، إننا أبناء هذه القرية وقد مات فيها أهلنا ، ولو كان أحد مكانى ووجد هذه الثروة لترك القرية فى الحال ، أما أنا فلا .

إن أهل هذه القرية أسرة واحدة ، وأنا من هذه الأسرة ، فاقترح عليك أن تستخدم ما لديك من علوم الطب فى خدمة هؤلاء ، وسوف يأتى إليك المرضى من شيراز إلى هنا ، كما أننا لا ينبغى أن ننسى فى ظل الرفاهية حياتنا الأصلية ، كما ينبغى أن نطبق ما أمرنا به الله ، ونعمر هذه القرية، ولو وافق العم إبراهيم على كلام هذه الصغيرة الحقيرة ، لجاء إلى هنا وعمل بالعطارة وسوف أساعده فى ذلك ما استطعت .

عصمت هانم : نحن نفخر بك يا طاووس ، وبأفكارك القيمة ، ونحن نعيش مع موسى أينما كان ، هو أخوك لكن أقرب إلينا من أولادنا ·

إبراهيم : لو ذهب موسى الجبال لذهبنا خلفه ، أما المساعدة التى تحدثت عنها ،فما عندنا يكفى والحمد لله ·

طاووس : نحن نعرف قدرك يا عم إبراهيم ، حيث إنكم استطعتم الإنفاق على موسى مع دخلكم المحدود، حتى أصبح طبيبًا ، لقد تركنا والدى وهرب بنقوده ، ولولا مساعدتكم لموسى ، ما ساعده أحد ·

موسى : إن رئيستى فى البيت سيمين هانم ، ثم وضع رأسه على ركبتيها وقال : لو قالت لى : مت لمت بشرط أن يكون رأسى على ركبتيها ، فضربته سيمين وقالت : لا حرمنا الله منك ، وتعيش لنا مئات السنين ، ثم أضافت : عشت مع موسى منذ أن تزوجنا وإذا أردنا أن نأخذ قراراً ظللنا نفكر شهوراً ، أما أنت فقد أخذت قرارك بسرعة مثل المنصور الذى يشبه نادر شاه فى قراراته ·

طاووس : وقد طأطأت رأسها : الأمر يتعلق بكم ، وأنتم أصحاب القرار ·

إبراهيم : أنا أوافق طاووس على كلامها ·

زوجة العم : وأنا كذلك موافق ·

سيمين : وقد رفعت يديها : ونحن كذلك موافقون ·

فقام موسى ورقص وغنى وقال : مبروك مبروك إن شاء الله مبروك.

طــــاووس : مبروك على ماذا يا موسى ، ليس هذه حفلة زفاف.

مـــــوسى : ضاحكًا : هذه حفلة زفافى أنا.

ســيــمين : ماذا ؟ يوم زفافك.

مـــــوسى : نعم عندما أكون وحدى فى شيراز ، سأتزوج.

ضحك الجميع ، وقالت سيمين ، حينها سأقطع أذن العروس الجديدة وأضعها فى يدها .

وظل موسى ينتقل بين "سروستان" وشيراز حتى استطاع أن ينقل عيادته فى بيت أبيه ، وعاش مع طاووس فى بيتها الواسع حتى لا تظل وحدها.

باع العم إبراهيم وموسى البيت والعيادة والصيدلية وجاءوا إلى سروستان وبنوا بيتًا جديدًا .

وذاع صيت موسى ، وكان الناس يأتون إلى العيادة ، وكانت تظل مفتوحة حتى الليل.

وكانت طاووس تذهب يوميًا إلى عيادة أخيها لتتعرف على بعض الدوية ، حتى يصل زوجها هناك وهى تفكر أن المنصور سيعيش بقية عمره إذا جاء ورأى ما صنعت .

وذات يوم ساعة الغروب كان موسى فى عيادته يعالج إحدى مرضاه ، إذ طرق الباب بشدة ، فذهبت " آفرين " ممرضته الجديدة لترى من الطارق ، فإذا

بصاحب العربة " عبد الله " يسأل: هل هذا منزل السيدة طاووس ؟ فردت عليه : هذه عيادة الدكتور موسى ، والسيدة طاووس هنا ، فدخل عبد الله وصعد إلى الطابق العلوى ، فوجد موسى وسلم عليه ، ولما يحاول أن يقول له ما حدث حتى انتهى من علاج جرح المريضة ، ودخلت طاووس لتسأل : ماذا حدث فوجدت عبد الله فسألته : هل وصلتم ؟

طأطأ عبد الله رأسه ولم يرد ٠

ربط الطبيب الجرح ، وربت على كتف الفتاة وهو يقول : اذهبى إلى البيت واستريحى ، ثم تعالى بعد أسبوع ، وإن شاء الله سوف يشفى الجرح خلال أربعين يومًا ٠ فخرجت الفتاة مع أخيها بعد أن دفعت الحساب للممرضة " آفرين " ٠

ذهب الطبيب إلى عبد الله حتى يستقبله ، إلا أن عبد الله لم يتملك نفسه ، واندفع فى البكاء ٠

طاووس : ماذا حدث يا عبد الله ؟ لماذا تبكى ، هل حدث شىء للمنصور ؟

موسى : لا تبك ، وتعال هنا ، إجلس وقص لنا ما حدث ٠

بدأ عبد الله الحديث وهو خائف ويقول : "أقسم بالله أننى برىء من هذه الحادثة " فعرفت طاووس أن هناك حادثة أصابت المنصور ، فقلق موسى على طاووس فأخرجها من الحجرة حتى لا تسمع شيئًا يعيد مرضها .

طـــاووس : لا أخرج ، بل أريد أن أسمع ما حدث.
مـــــوسى : إن صـحتك غـير جـيـدة ، والأفضل أن تخـرجى من الغرفة.
طـــاووس : لا بأس ، سأحاول أن اتمالك نفسى.
عـبــد الله : أريد عدة أشخاص لنذهب هناك.
الطـبــيب : هل حدث شيء للمنصور ؟
عـبــد الله : نعم ، وإزداد بكـاؤه ، وارتعـد جسـمـه ثم قال : كل ما أعرفه يتعلق بذلك الجبل (النحس).
مـــــوسى : وقد بدأ يفـهم الموضوع : ماذا تقصـد بالجبل النحس ؟ ولماذا تريد مساعدة عدة رجال ؟
عـبــد الله : اعـتقـد أن الأمـر قد خـرج من أيدينا ، ولا ضـرورة للمساعـدة أيضًا ، وعندما مررنا بذلك الجبل قـبل ستة أشهر مع طاووس ، تعطلت العربة هناك وعندما رجعنا من شيراز إلى بلوشسـتان انقلبت العربة فى ذات المكان وجرح المنصـور ، وكلما مررنا من هناك صـهل الفرس وخاف وامتنع عن السير .
مـــــوسى : إذن ماذا حدث ؟
عـبــد الله : وهو يضـرب رأسـه ووجهـه ، ويتنـفس بصعوبة : أنا آسـف يا دكـتـور ، وآسف يـا طاووس هانم أن أخبركم بهذه الكارثة ، لقد سقط المنصور فى الوادى ، ولا أدرى هل نجا من الموت أم لا ؟
فعـرف موسى أن الوادى الذى سـقط فيه المـنصور هو

الذى سقط فيه حميد منذ خمسة عشر عامًا ، كما عرفت أيضًا طاووس فدارت رأسها وعاودها المرض من جديد .

صاح موسى على طاووس : تمالكى نفسك .

وكانت طاووس فى بداية الغيبوبة ، وعندما سمعت كلام موسى رجعت إلى حالتها الطبيعية ، فنظرت إلى موسى ، وتعجبت كيف ذهب المرض عنها دفعة واحدة بالعنف لا باللطف ؟

موسى : لا بأس ، إن زوجك كبير فى السن ، وما لم يمت هكذا لمات بطريقة أخرى .

فأثر هذا الكلام فى طاووس ، وأذهب عنها القلق والحزن ، لأنه لم يكن راضيًا عن المنصور فى يوم من الأيام ، كما أنه يعلم أن طاووس لا تحبه لكن موسى كان يقدر رابطة الزوجية والحياة المشتركة بينهما ومن ثم قال لها هذا الكلام .

وطلب من ممرضته (آفرين) أن تحضر كوبًا من الماء وقطعة قماش ، وأخذهما ونثر الماء على وجه طاووس ، وأجلسها على الكرسى وأعطاها الماء لتشرب إلا انها بدأت فى البكاء ليس على فقد المنصور وإنما على المصائب التى نزلت بها .

موسى لعبد الله: انت مهتم بموضوع الموت والحياة ، لكننا نحن الأطباء نعرف حال المريض قبل أن نخرج من

بيوتنا ، وهل هو ميت أو سوف يموت بعد ساعات قليلة ، لكننا نرجو أن يكون مريضك صحيحًا ثم قطع كلامه وقال : هل جئت بالعربة أم لا ؟

عبد الله : نعم لأننى خفت أن أترك العربة فى الصحراء .

الطبيب لـ (آفرين) : أغلقى باب العيادة واذهبى لـ (سيمين) وأخبريها بما حدث ، لأننا ربما لا نرجع إلا فى الصباح ، سأذهب وآخذ عمى إبراهيم ونذهب لعلنا ندرك المنصور .

غير الطبيب ملابسه ، وركب العربة مع طاووس وعبد الله ، وذهبوا إلى بيت العم إبراهيم ، وأخبروه بما حدث ، فأخذهم إبراهيم إلى بيته حتى يأخذوا معهم بعض الأشياء ، فوجدوا عصمت هانم جالسة فى زاوية من زوايا البيت مستغرقة فى التفكير .

إبراهيم مخاطبًا زوجته : فيم تفكرين ؟

عصمت هانم وهى تهز رأسها : صدق من قال : لا يصل الجبل إلى الجبل ولكن الإنسان يصل إلى الإنسان ، ثم قال الجميع فى لحظة واحدة : حتى لو كان أحدهما ميتًا !!

تعجب عبد الله من إتفاق هؤلاء على كلمة واحدة ، وإن كان لم يفهم شيئًا ، وذهب إبراهيم ليحضر حبلاً ، وجهزت عصمت هانم عدة بيضات على السفرة ، فأخذ كل واحد منهم لقمة ، وخرجوا للبحث عن الملك المنصور ، وعندما وصل الجميع إلى

الفناء ، قالت عصمت رحم الله سودة ، ففهم موسى أن عصمت تقصد من هذا الدعاء أنه منذ خمسة عشر عامًا كانت سودة معهم حين خرجوا لتشييع جنازة حميد لكنها ليست معهم اليوم ولكن عبد الله لم يفهم شيئًا .

وعندما ركب الجميع العربة قالت عصمت : عليّ أن أحضر بعض البطاطين لأننا ربما بتنا هناك هذه الليلة .

عبد الله : ولماذا ؟ هل لا نستطيع أن ننهى مهمتنا هذه الليلة ؟

الطبيب : لا ، لأن الوادى خطير ولا يمكن النزول فيه هذه الليلة

عبد الله : أنتم لا تعرفون المكان الذى سقط فيه الملك المنصور فكيف تعرفون أنه مخيف وخطير .

إبراهيم : يا عبد الله ، المكان الذى وقع فيه المنصور لا نعرفه ، لكنك تعرفه أليس كذلك ؟

عبد الله : بلى .

إبراهيم : حسنًا ، لن نسألك على العنوان ، بل إننا سوف نعطيك إياه ، وسوف تذهب إلى المكان الذى وقع فيه المنصور ، وهناك نجيب على أسئلتك .

وجاءت عصمت ومعها البطاطين ، وانطلقوا نحو الوادى ، وكان إبراهيم يصف المكان لعبد الله ، إلى أن وصلوا إلى المكان الذى يريد أن يصل إليه عبد الله ، ثم أشار إبراهيم بيده وقال : هنا سقط المنصور .

عبد الله : كلامك صحيح ، ألم أقل لكم هذا الجبل نحس وأنتم أيضًا تعرفونه .

إبـراهــيـم : الجبل ليس بنحس وإنما الأمر يتعلق بالانتقام.
هنا عرفت طاووس المكان الذى مات فيه حميد.
مـــــوسى : وهو يشير إلى مكــان يعرفـه : نذهـــب من هناك ، ثم نزل.
عــبــد الله : أمسكوا أنفسكم جيداً لأن الحصان تتغير حاله فى هذا المكان.
طـــاووس : لن تتغير حال حصانك مرة أخرى ، لقد انتهى الأمر.
عــبــد الله : ما الحكاية ؟ ومـا الحقيقـة ؟ أنتم تعرفون الأمور أكـثر منى.
طـــاووس : وقد أخذت نفساً عميقاً : كانت هنا روح وفيه تريد أن تنتـقم من المنـصور ، ولا شـأن لـهـا بدابتك أو بداية غيرك.
إبـراهــيـم : اتبعنى يا عبد الله.

كانت السماء صافية ، وكان القمر منيراً فى كل مكان ، وكان لدى إبراهيم فانوسان ، أعطى واحداً لعبد الله ، وقال له تعالَ حتى نتأكد مما قلته أصحيح هو أم لا ؟ فتقدم إبراهيم متابعة عبد الله ، وكان موسى قد أخذ يد طـاووس وبدأ يواسـيهـا حتـى لا يـعاودها المرض فى هذا المكان ، فخلصت يدهـا من يده ، وتبعت إبراهيم وعبـد الله إلى أن وصلا خلف الوادى ، فـقال إبراهيم وهو ينظر إلى موسى : لابد أنه سقط فى هذا المكان. تعجب عبد الله تعجباً شديداً ، ثم اقترب إبراهيم وقال لموسى : إنه سقط هنا.

فقال موسى : نعم هو سقط هنا ·

إبـــراهـــيـــم لعبد الله : قل أنت هل كلامنا صحيح أم لا ؟

عـبـــد الله : فعلاً ، لقد سقط هنا ، ولكن كيف عرفتم ؟

مـــــوسى : وهـــو ينظر أسفل الوادى : لقـد خدعت الناس لكنك لا تعرف كيف تخدع من ينتقم منك ؟

عـصــمت : بعد أن قرأت الفاتحة لطاووس : عليك أن تقرئى الفاتحة مرتين هذه الليلة ·

طـــاووس : وقد أفاقت من تفكير عميق : إن يد الانتقام تنتقم بكل دقة ·

عـصــمت : الله أكبر الـله أكبر الله أكبر ، إن كل عـمل سوء يرتد إلى صاحبه فى النهاية ·

عـبـــد الله : إذن كيف ننزل إلى الوادى الآن ؟

إبـراهـــيـم : لن ننزل لأنه مات ، وسوف ننتظر حتى الصباح ·

جاءت عصمت بالفرش وفـرشته للجلوس وقالت : إن الفرق بين هذه الليلة وذات الليلة منذ خمســة عشر عامًا ، إنها كانت باردة وكان المطر شديداً

مـــــوسى : كانت تلك الليلة لـيلة حزن حميـد لكن هذه الليلة ليلة فرحة ·

عـبـــد الله : ما موضوع حميد ؟

جلس الجـميـع ، الرجال على فـرشـهم فى مكان ، وطاووس وعصمت فى مكان آخر ·

مـــــوسى : قص علينا يا عـبـد الله كـيف سـقط المنصـور فى هذا الوادى مع أنه بعيد عن الطريق ؟

و كان سـؤال موسى سـؤالاً مهـمًا ، وقـفت طاووس وعصمت حتى يعرفان كيف سقط المنصور ·

عـبـد الله : عندمـا جئـنا إلى هذا المكان ، وقف الحـصان وصـهل ورفع يديه ، نزلنا حتى نهدىء الجـواد ، فهدأ ، وقلت للمنصور : اجلس ، فالطريق قد انتهى ، فقال : لا ، هناك شاب يطلب العون والمساعدة ، فحاولت أن أسمع صوت الشاب فلم أجد شيـئًا ، فقلت له : أنت تتخيل الصوت يا سيدى ، إلا أنه لم يـسمع كلامى ، ومشى فى الطريـق وصـعـد الجبل ، ومـد يده نحو الوادى فى الماكن الذى أشـرتم إليـه ، فناديـت عليـه لكنه لم يسمع كلامى وقال : إن الشاب يسقط فى الوادى كيف لا تراه و · · ·

فصاح إبراهيم وموسى : كفى · · · كفى · · لا نريد المزيد أغـمض مـوسى عـينيـه ويكـى ، وبكى إبراهيم كذلك ، ولما كانت عصمت هانم وطاووس قـد سمعتا الحكاية من عبد الله انهمرتا أيضًا فى البكاء ·

تعجب عبد الله كيف يبكى إبراهيم وعصمت مع أنهما لا عـلاقة لهـما بالمنـصور · · · ثم أشـار إبراهيم إلى عـصمت أن تأخـذ طاووس وتجلس فى مكان بعيـد ، فأخذتها عصمت وقالت : تعالى نجلس هناك ·

طـــاووس : ولكن هناك مكان بعيد ، وسوف نبقى وحدنا .
عـصـــمت : لا تخافى فأنا بنت الصحراء ، ولا بأس بالبعد .
طـــاووس : الأمر كما يراه الكبار .

ثم فـرشت القـمـاس الأبيض ، وجلسـتـا ، وراحت طاووس فى تفكيـر عميق ، واسـترجـعت حيـاتها مع الملك المنصور ، ولم تـكن تبالى بفقـد المنصور ، وإنما كانت تبالى وتحزن على حظها الأسود . . .

ودار بخـيالهـا : العمـة ، حميـد ، الأب ، الزوج ، الغربة . . . ثم موت المنصـور ثم إرتفع صوتها بالبكاء فحاولت عـصمت أن تهدىء من روعهـا وقالت لها إن ما حـدث كله قدر ، وظلت عـصمت تواسـيهـا حتى غلب عليـها النوم وهى جالسـة فرأت فى منامـها : أن حمـيد يعقد عـقد زواجهـا معه وكلاهمـا يضحكان ، وعـصمت وسـودة تغنيان ، ودخل عـمران والمنصـور فتـشاجرا مع حمـيد ، فجـرت طاووس بملابس الفرح خلفهما ، ونزل حبل من السماء فتعلق به حميد ، ودفع عمـران بقدمـه فأسـقطه ، ثم حاول مع المنصـور لكنه فشل أربع عشرة مرة ، ونجح فى المرة الخامسة عشرة ، ثم صـعد إلـى السمـاء وهو يصـيح : طاووس . . . طاووس لا تبكى عليـه ، ثم صـعـد حـتى وصل إلى النجـوم . . . فصاحت طاووس : حـميـد . . حمـيد واستيقظت فإذا بها نائمة على ركبة عصمت هانم .

خافت عصمت على طاووس وقالت لها : أما زلت تحلمين بحميد ؟!
فقامت طاووس وأخذت نفسًا عميقًا . . . ثم حكت حلمها لعصمت وظلت ساهرة طوال الليل .
وطلع الفجر وكان الجو بين الظلمة والنور فقال إبراهيم لموسى : هل الوقت مناسب للنزول ؟

موسى : لا ، بل ننتظر حتى يصبح الجو مضيئًا حتى نعرف طريقنا.

وأضاء الصبح ، ونزل إبراهيم وموسى ، ليعيدا التجربة ، وبكت طاووس فأخذتها عصمت هانم وأبعدتها عن المشهد .
واقترب وقت الظهر ولم تسمح عصمت هانم لطاووس أن تتبع الجنازة ، وإنما أخذتها مباشرة إلى المقابر ، وقد وصلت فى ذات الوقت سيمين وبعض الأشخاص فجلست امرأة بجانب طاووس وقدمت لها خيارًا بعد أن قشرته ووضعت عليه الملح إلا أن طاووس شكرتها ولم تأخذه .
فقالت السيدة لها : هل هناك أحد أقربائك مدفون فى هذه المدافن.

طاووس : مات زوجى وسوف يدفن بعد قليل.

فسألتها المرأة بعد أن قدمت لها العزاء : ما علة موت زوجك ؟

طـــاووس : كان آتيًا من بلوشستان إلى سروستـــان لكنـــه سقط فى الوادى ومات ثم اتجـهت بالسؤال للسيـدة : يبدو أنكم لستم من أهل هذه البلدة ؟

الســـيـــدة : لسنا من أهل هذا المكان ، ولكن جئنا بعدما رأى زوجى أباه فى الـرؤيا ودعـــاه أن يأتى إلى هـنا٠٠وأضـــافت : فـحاولنا أن نـصل مبكرًا إلـى شيـراز إلا أن زوجى لم يوافق وقال إن اليوم جمعة ولابد أن يسمع كلام أبيه ثم وصل زوج هذه السيـدة وتصادف وصـول الجنازة أيضًا فـدفنت بعـد أداء المراسم وسـمع الرجل الغـريب أنهم يرددون اسم الملك المنصور٠٠٠ فنظر إلى طاووس ولم يدر بخلده أن الملـك المنصـور هو أبوه وأن هذه الشـابة الجمـيلة زوجة الرجل العجـوز وذهبت السيدة الغـريبة لتقـدم إلى طاووس واجب العزاء٠٠٠ فنادت طاووس على موسى وقالت له : يا أخى إن هذه السـيدة وابنتها وزوجـها على سـفـر وقد سـاعـدونا فى دفن الميت ، فاطلب منهم أن يأتوا إلى البيت ٠

مـــــوسى : حـاضـر يا أخـتى ، ثم ذهب إلـى الرجل الغـريب ، وإقتـرح عليـه أن يـأتى معـه إلى البـيت فقـبل وذهب معـهم ، وأخذت طاووس الـسيدة وإبنـتها ، وعنـدما وصلوا إلى البيت ، نادى عبد الله على موسى وقال له : إن المنصور قـد باع كل ما يملـك ، وكل أغـراضــه فى العربة ، ومتاعه ليس بالقليل .

فنادى موسى على إبراهيم ، وأنزلوا أغراض المنصور من العربة ، ووضعوها فى غرفة طاووس ، وطلبوا منها أن تحافظ عليها لأن فيها الأشياء الثمينة .

تناولت الضيوف الغداء والعشاء فى منزل طاووس ، وبعد العشاء قال الرجل الغريب إنه يبحث عن أبيه فى كل مكان فلم يجده حتى اليوم .

إبراهيم : ما اسم أبيك ؟

الغريب : الملك المنصور .

فنظر موسى إلى إبراهيم ، ونظر إبراهيم إلى عبد الله .

الغريب : هل تعرفون أبى ؟

إبراهيم : لا ، لا نعرفه وكذلك أنكر موسى وعبد الله .

الغريب : ولماذا تعجبتم ؟

ضحك موسى وقال : عندنا عرف وعادة وهى إذا سأل واحد عن شىء ننظر إلى بعضنا لعل واحدًا منا يعرفه .

وبدأوا ينصرفون من الغرفة واحدًا واحدًا حتى لا يشعر الغريب بخروجهم وذهبوا إلى طاووس وقال موسى لطاووس : إن الغريب يقول إنه يبحث عن أبيه واسمه الملك المنصور .

طاووس : هل هناك قلة فى اسم الملك المنصور ، وهل أنتم تفكرون أن زوجى فقط هو الذى اسمه الملك المنصور .

وجاء إبراهيم ليشاور طاووس فقالت : نسأله عن بعض العلامات التى تدل على أنه أبوه ·

إبراهيم : ولو قال كل علامات الرجل فماذا نفعل ؟

طاووس : لا شيء نقول إنه شاهد دفن أبيه اليوم ·

عبد الله : بل وإنه ساعدنى فى دفنه أيضًا .

موسى : معنى هذا أنه سوف يأخذ كل ما ملكت من أمواله .

طاووس : لم أكن مهتمة أبدًا بمتاع الدنيا يا أخى ، فالدنيا هى التى قتلت حميدًا فى عمر الشباب والمنصور فى الشيخوخة ، ولو كان له حق فليس لنا أن نمنعه حقه ، إذ كيف نلاقى الله يوم القيامة وبم نجيبه ، وربما لم ير هذا الرجل أباه ولكن الله أرسله ليأخذ حقه ، فهل نمنعه ؟ وقامت طاووس وذهبت إلى غرفة الرجل الغريب ، بعدما لبست خمارها ·· فقام الرجل احترامًا لها ·

طاووس : مرحبًا بكم ··· أهلاً وسهلاً···!

الغريب : شكرًا يا هانم··· ربنا يجعل هذه المصيبة آخر المصائب فطلبت منه الجلوس،ثم دخل موسى وإبراهيم وعبد الله إلى الغرفة ليستمعوا حديث الغريب مع طاووس ·

طاووس : سمعت أنك تبحث عن شخص اسمه الملك المنصور ؟

الغريب : نعم ، هل تعرفينه ؟

طـــاووس : كيف كانت صورته ؟

الغـــريب : ضاحكًا : لم أره ، لأننى بعدت عنه وأنا صغير .

طـــاووس : ماذا كان يعمل أبوك ؟

الغـــريب : كان تاجرًا ، وكان دائم الترحال ، وهذا منعنى أن أراه.

طـــاووس : ما اسم أمك ؟

الغـــريب : لا تتعبى نفسك يا سيدتى ، لقد بحثت عنه سنوات طويلة ، فلا يمكن أن نجده فى هذه الليلة ، ولا ضرورة لكثرة الأسئلة .

طـــاووس : بل أنت ضيفنا والضيف حبيب الرحمن ، ونريد أن نساعدك .

الـرجـل : اسمها فاطمة .

طـــاووس : من أين كانت أمك .

فأجاب الرجل على أسئلة طاووس كما سمعتها من المنصور .

طـــاووس : ماذا كان عن انفصال أمك عن أبيك ؟

الـرجـل : كثرة الترحال ، وكانت أمى لا تستطيع تحمل مشقة السفر .

طـــاووس : وهل أخذت أمك حقها منه عند الطلاق ؟

الـرجـل : قد أعطاها مالاً زيادة حتى تأخذنى معها ، لكن أمى لم تأخذنى رغبة فى المال وإنما أخذتنى لتعلقها بى .

طـــاووس : كم دفع أبوك من المال ؟

الـــرجـــل : كان أبى ثريًا جدًا ، فأعطاها أربعة أكياس من الذهب ، النصف حقها والباقى لأجلى .

طـــاووس : لو قلت لك أننى أعرف أباك هل تصدقنى ؟

الـــرجـــل : ليتنى أراه بعد هذه المدة الطويلة .

طـــاووس : قد رأيته لحظة ، ولكن لن تراه بعدها أبدًا .

الـــرجـــل : ماذا تقصدين بهذا الكلام ؟

طـــاووس : إن الرجل الذى اشتـركت فى دفنه كان أباك ، فـضرب الرجل على رأسـه وقال إن الـرجل الذى اشتـركت فى دفنه هو أبى ؟!

طـــاووس : هل اسمك محمد ملك ؟

الـــرجـــل : ولماذا ؟

طـــاووس : لأننا لدينا بعض الأمور الأخرى سنبحثها معًا غدًا .

بدأ الرجل بالبكاء ، فسمعتـه زوجته وأولاده ، فجاءوا حتى يعـرفوا سبـب البكـاء ، فقـال مـوسى : تفضلى يا سيدتى وسـوف أشرح لك كل شىء واستمر مـحمد ملك فى البكاء ... ثـم قالت طـاووس: إن محـمـد ملك بحـث عن أبيـه فـترة طـويلة ، ولكنه لم يره إلا ساعة دفنه ، ولذلك فهو ضيفنا لمدة أسبوع حتى يحضر أسبوعية والده .

ثم خـرجت طاووس وخـرج مـوسى وإبـراهيـم من خلفـها ، فتـقدم عـبد الله وقـال لطاووس : إلى هذا

الرجل المجهول ، وأعطيها لى لأننى أنا الذى سلمت لكم أمواله ، أما هذا الرجل فلم ير أباه قط .

طــاووس وهى تبتسم : شكرًا لك على أنك سلمت لنا أموال المنصور ، ولكن ماذا تقول فى حق ابنه، وكيف تلاقى الله يوم القيامة ؟

عـبـد الله وهو يضحك : لا أريد ذلك ، نحن قانعون بما قسم الله لنا فى الدنيا ، ولكن لماذا يعطى الله بعض الناس أموالاً بلا كدح ولا تعب ، فى حين أن البعض يحتاج إلى لقمة العيش .

طــاووس : يا عبد الله ، لقد جئنا إلى هذه الدنيا بلا أى مال ، وسوف نتركها بلا أى مال وكل ما نأخذه من الدنيا هو الكفن فقط ، ولكن اسمح لى أن نتركها والكفن صاف نقى ، ولا نلوثه بالذنوب والآثام، لأننا لو بعثنا بكفنٍ أبيض لكان أفضل من الكفن الملوث بالآثام ، وهل تعلم يا عبد الله أن من كان كفنه ملوثًا بالآثام لا يتقربون من الله وجزاؤهم جهنم .

عـبـد الله قد طأطأ الرأس : ما يقوله الكبار صحيح .

طــاووس : عفوًا يا سيد عبد الله ، لا شك أنك أكبر منى سنًا ، إلا أننى لم أسلك فى حياتى طريق الأنانية، وإنما كنت أجعل رضا الله تبارك وتعالى هو غايتى .

عـبـد الله : لا تغضبى منى يا طاووس هانم ، لقد نصحتنى أكبر نصيحة ، وخرج إلى غرفة محمد ملك .

مضت الأيام السبعة ، وانتهت مراسم الأسبوعية ، وفى صباح يوم الغد طرق الباب رجل نحيف ، فـفتح أحد الخدم ، فقال له : من فضلك أخبر محمد ملك بأن العربة جاهزة ، فطرق الخادم باب غرفة محمد ملك وأسرته وقال : العربة جاهزة فى الخارج ، فسمعت طاووس ذلك ، فنادت على سيمين أن تخبر موسى وإبراهيم ... ثم قالت طاووس لموسى : خذ محمد ملك إلى الغرفة التى يوجد بها متاع أبيه ، فاندهش موسى من قول طاووس مع أنه كان لديه عقيدة طاووس لكنه لم يكن يملك قوة التنفيذ ، وأن يسلم ثروة المنصور لهذا الغريب.

كان محمد ملك مشغولاً بنقل أغراضه إلى العربة ، فنادى موسى عليه : محمد ملك .. فأجاب بلهجته : نعم يا طبيب

موسى : لا نريد أن نتحدث فى بعض الأمور.

محمد ملك لأسرته: رتبوا الأغراض فى العربة ، وسوف أعود بعد قليل .

اجتمع الجميع إلا عبد الله فى الغرفة التى فيها متاع المنصور ، وأغلق إبراهيم الباب ، فقالت طاووس أخرج الذهب ... ولما كان موسى لا يستطيع أن يراقب هذا ... خرج وانتظر فى الخارج...

رأى محـمد ملــك ذهبـًا كثيـرًا ولا يفهم مـا أصل المسألة . . . فنظر إليه إبراهيم ونظر إلى إبراهيم ثم نظر إلى طاووس فـوجـدها تتمـتع بصـلابة وقـوة روحيـة عالية . . . فنظرت إليه طاووس قائلة : هذا ما تبقى من ثروة أبيك . وكنت أن زوجته . . . ولأن الحق لابد أن يعـود إلى صاحـبه فـالمال مالك . . . ثم خـرجت من الغرفة وطلبت من إبراهيم أن يخرج ثم ذهب إلى الباب حتى لا يشاهدا حمل محمد ملك للذهب .

فنادى مـحـمـد ملك : إلى أين يـا طاووس وأنت يا إبراهيم ؟ إن عملية تقسيم الثروة تحتاج إلى وجودكما ، وطلب منهما الجلوس .

طــاووس : نحن نريد الخروج من الغرفة .

محمد ملك : لا شك أننى ابن المنـصور ووارث هـذه الثـروة ولكننى والحـمد لله لدى مـال كـثيـر ولا احتـاج إلى زيادة ، ولذلك فهذا المال لكم .

طــاووس : ولكم حق فى هذا المال وأنا أريد أن تأخذه .

محمد ملك : إن ثروتى تكفينى وتكـفى عدة أجيال من بعـدى ، أما أنت فقـد ضيـعت شبابك عند والـدى ، فقط أريد ألا تقاطعوننى وأزوركم عدة مرات .

عجب إبـراهيـم من كرم محـمد ملك وقال له : احذر يا محمد أن تندم فى المستقبل .

محمد ملك وهو يضحك ويقبل جبهة إبراهيم : مبارك للسيدة طاووس ولكن أريد لأن آخذ شيئًا للذكرى.

طاووس : إن ما قدمت لك هو مالك وحقك ، وما قدمته لنا نشكرك عليه ونستأذنك أن ننفق بعضه على الفقراء.

محمد ملك : افعلى ما يحلو لك ، لأننى أراك سيدة عاقلة وفاضلة ، وهذه الأموال لا تساوى شيئًا مما فعله أبى بك وبسببك ثم طأطأ رأسه وخرج من الغرفة.

رجع إبراهيم ونظر إلى طاووس ، وابتسما ابتسامة الرضا والفرح ، وخرج محمد ملك ، فوجد موسى وقبله وشكر له كرم الضيافة ، فنظر موسى إلى يديه ليرى ما يحمله من ذهب ، إلا انه لم ير شيئًا فنظر إلى إبراهيم وسكت وودع الجميع محمد ملك.

ووجدوا عبد الله واقفًا فى فناء البيت بعد ان طرد صاحب العربة التى أجرها محمد ملك ، وأركبهم فى عربته هو.

محمد ملك : وأين العربة التى أجرتها بالأمس ؟

عبد الله ضاحكًا : لقد طارت وغابت.

محمد ملك : ماذا تقصد ؟

عبد الله : هذه العربة ملك أبيك ، وكنت سائقه لسنوات طويلة ، وأريد أن أعمل عندك بعد ذلك ، وأطلب منك ومن طاووس أن أملك هذه العربة.

وكانت طاووس واقفة بجانب سيمين وعصمت ، فضحكت ونظرت إلى محمد ملك ·

فقال محمد ملك وهبت لك العربة ، واستأذن من طاووس هانم أن تهبها لك أيضًا·

طاووس وهى تضحك وأنا أيضًا وهبتها لك·

وبعد لحظات استعد محمد ملك للوداع ، وصافح أفراد الأسرة ، ولوحوا بأيديهم ، وبعد لحظات ابتعدوا عن الأعين ·

ثم نظرت طاووس نظرة فرح ورضا وافتخار إلى موسى ، وكذلك نظر موسى نظرة إلى طاووس وسيمين وإبراهيم ، وضحك الجميع ضحكة الفرح ولارضا

ثم أخذ إبراهيم موسى بيده اليمنى وباليسرى طاووس · · · وهكذا بدأت طاووس بالخطوة الأولى فى حياتها الجديدة .

الفصل العاشر

الرؤيا الجميلة

كانت طاووس راقدة على السرير تنظر إلى سقف الغرفة تراجع حياتها الماضية ، وكانت قد بلغت سن الرابعة والثلاثين ، وتنظر حياتها المستقبلية ، وتقول في نفسها ، هل يمكن أن تزيل هذه الأموال حزنك وقلقك ؟ إن هذه الأموال هى زينة الحياة ، وتستطيع أن تجلب بعض الناس إليك، لكنها لا تستطيع أن تشترى علاج الروح ، وللأسف كانت حياتى ضحية رغبات أبى وزوجى وأين هى الآن ، وأين الحبيب الذى كان يمكن أن يكون علاجًا للروح ومؤنسًا للوحدة ؟! وأين ذهبت أمنياتى ؟ لم أعرف الزفاف ولا لباس الفرح ، ولم أنجب الولد الذى يؤنس وحدتى أو البنت التى أمشط لها شعرها أو تمشط هى شعرى.

ثم تخيلت بنتًا صغيرة وأخذت تحاورها : ما أجملك !! وما أجمل ملابسك وشعرك ! عيونك جميلة ، أنت عفرية ، اتركينى لأرى يديك ... ! ماهذه اليد الجميلة ؟!

لماذا أنت بعيدة عنى ، ولا تتكلمين معى ، هل أنت غاضبة منى ؟ تكلمى مع ماما قولى لى شيئًا ، أنا مشتاقة لكلامك ... وفجأة تخيلت طاووس أن البنت تكلمها وتتحدث معها فقالت : يا صغيرتى ، لم أفهم ، لماذا تتحدثين بصوت هادىء لا تخجلى يا حبيبتى ، فأنا أمك ، قولى : ما اسمك ؟

تحدثت الفتاة الصغيرة ، وحاولت أن تقول اسمها .

طاووس : قولى مرة أخرى .

البنت : واليه .

طاووس : قلت واليه .

البنت : وهى تهز رأسها: نعم .

طاووس : اسم جميل ، متى تأتين لنعيش معًا .

البنت ترفع اصبعها .

طاووس : قولى بلسانك ، وارفعى صوتك .

البنت : التى فى خيال طاووس : بعد سنة .

طــــاووس : باسمة : يا عفريته ، أين أنت ؟ فى قلبى ؟

الــبــنـــت : لا

طــــاووس : أين أنت يا عزيزتى ؟

الــبــنـــت : خلف الباب

طــــاووس : لماذا وراء الباب ؟

إلا أن هذا الخيال الجميل قد انتهى بدخول سارة ومعها صينية العشاء

ســـــارة : ممكن أدخل يا هانم

طــــاووس : وقد جلست : تفضلى

دخلت سارة بالصينية الكبيرة وقالت : معذرة يا هانم ، الزبادى انتهت

طــــاووس : ماذا طبخت ؟

ســـــارة : كوفتة جميلة ، هل أضعها على المائدة؟

طــــاووس : لا ، بل ضعيها عند النافذة ، أريد أن انظر إلى القمر

أخذت سارة الطعام عند النافذة ، وقالت هل أحضر المائدة والكرسى ؟

طــــاووس : لو فعلت لكان أفضل

فذهبت سارة حتى تحضر المائدة والكرسى وهى تقول : إن شغلى جيد ولكن لا تؤاخذينى على بعض الهفوات.

طـــاووس : إذا أردت ذلك ، فاذهبى إلى فناء البيت ، وانظرى إلى الشارع وما حوله.

ســـــارة : أين الطبيب ؟ لقد تأخر ، وهو متعود أن يأتى ليطمئن عليك .

طـــاووس : تعال وأحضرى كرسيًا حتى نتناول العشاء معًا .

ســـــارة : شكرًا ، وأنت قلتى لى : اذهبى إلى الفناء والشارع .

طـــاووس : لا داعى لذلك .

وأدركت طاووس أن ما رأته كان مجرد خيال ، وجلست على الكرسى وجلست سارة طاعة لأمر طاووس ، ثم قامت.

طـــاووس : لماذا قمت ؟

ســـــارة : سأحضر طبقًا ، وأنظر نظرة إلى الخارج ، لا تخافى يا هانم ، نحن ثلاثة أو أربعة فى البيت .

طـــاووس : أنا لست خائفة يا سارة ، ولكن على الإنسان أن يحذر

ســـــارة : حاضر يا هانم ، كلى أنت ، وسوف أعود بعد لحظات

ذهبت سارة إلى المطبخ وقالت لطاهرة : طلبت الهانم منى أن أتعشى معها ، فجهزى عشائى بسرعة قبل رجوعى ، وخرجت سارة إلى فناء البيت ونظرت حولها ثم فتحت الباب ، فرأت جوادين ورأت موسى جالسًا مع رجلين .. لكنها لم تستطع سماع ما يقولون

فرجعت بسرعة وأخذت طعامها وذهبت إلى غرفة طاووس.

طاووس : لماذا تأخرت ؟

سارة : عندما فتحت الباب ، رأيت جوادين ، ورأيت الطبيب جالسًا يتحدث مع اثنين على الأرض ، ولهذا تركت الباب شبه مفتوح .

طاووس : ولم ترى شيئًا آخر ؟

سارة : مثل ماذا ؟

طاووس : مثل بنت صغيرة عمرها ثلاث أو أربع سنوات .

سارة : ضاحكة : وهل ترك الناس أولادهم ليأتوا إلى بابنا ؟

طاووس : وهى تضحك: هل تعرفين لماذا قلت هذا الكلام ؟

سارة : لا أعرف ماذا تقصدين

طاووس : عندما كنت راقدة على السرير ، جاء إلى خيالى طيف فتاة صغيرة فتحدثت معها ، وسألت عن اسمها ، وكانت تلبس لباسًا أبيض .

سارة : هل كان حلمًا يا هانم ؟

طاووس : ليس حلمًا ، وإنما طيف خيال .

سارة : إذن كان ينبغى أن تكونى فنانة

فضحك كلاهما ، ثم جاء صوت داخل الدهليز ، وإذا بموسى ينادى أين أنت يا أختى ؟

خرجت سارة من الغرفة وسلمت على الطبيب وقالت تفضل إن طاووس فى الداخل تتناول العشاء .

طاهرة : العشاء جاهز يا دكتور أحضره لك .

الطبيب : شكرًا جزيلاً .

طاووس : منادية على أخيها : تفضل يا موسى

دخل موسى إلى الغرفة .

طاووس : السلام عليكم يا أخى ، العشاء جاهز ، لدينا (كوفتة) .

موسى : يبدو أنها (كوفتة) لذيذة لا نستطيع تركها ، ثم أخذ لقمة من طبق سارة وقال : هل هذا طبق سارة ؟

طاووس : نعم ، لو أردت أتينا لك بطبق .

موسى : لا داعى كنت أريد أن أطمئن عليك ، ثم أرجع إلى البيت .

طاووس : كنت تتحدث مع من بالخارج ؟

وقبل أن يجيب سأل : لماذا كان الباب مفتوحًا ؟

طاووس : كانت سارة أمام الباب وشاهدتك تتحدث مع شخص ، ولهذا تركت الباب مفتوحًا .

موسى : جئت بضيف فى هذه الليلة .

طاووس : من ضيفك ؟ لابد أنه سيبيت فى الشارع .

موسى : ضاحكًا : هل هناك أحسن ممن يبيت فى الشارع ؟!

طاووس : قل لى من هو ؟

موسى : هما صيادان ضلا الطريق فى الصحراء ، وخلاصة الكلام لو عندك طعام فائض يكون أفضل ، حتى لا تتعب سيمين فى طهى الطعام ·

طاووس : لا يصح أن تأخذ الطعام فى يدك وتخرج من البيت ، يأكل ضيوفك هنا ثم تأخذهم للمبيت·

موسى : كلامك صحيح يا بنت ، أنت ذكية جدًا ، لقد هزمت ابن سينا فى الفلسفة فنادت طاووس على سارة وقالت لها : رحبى بالضيوف فى غرفة الضيوف " ثم ذهب الطبيب لإحضار هما .

جهزت سارة غرفة الاستقبال والسفرة ووضعت فانوسين فيهما ، وبعد لحظات دخل الصيادان إلى فناء البيت ، وربطا جواديهما ، ثم دخلا مع موسى الغرفة وهما يتأملان جمال البيت مندهشين لوجود مثل هذا البيت الأنيق فى مثل تلك القرية ·

ورجعت سارة إلى طاووس قائلة إن الضيوف من أصحاب الشأن ، ويبدو هذا من حذائهما ، ولما رأت طاووس صدق مقالة سارة هزت رأسها وتعجبت .

سارة : إن الفصوص التى استعملت فى الحذاء جميلة جداً وثمينة جدًا .

طاووس : هذه الفصوص تسمى " فيروزة " واستخدمت بكل دقة

واقتربت طاووس من الغرفـة حتى سمعت كلام هؤلاء الضيوف مع موسى ، ثم رجعت إلى غرفتها وهى تريد أن تعرف من هؤلاء.

ســــارة : ترى من يكون هؤلاء فى رأيك؟

طـــاووس : حتى ولو كانوا من أبناء الملوك ، ما لنا ولهم ، اجلسى واكملى عشاءك .

ســــارة : لم يبق لنا عشاء حتى نأكله .

طـــاووس : إذن اغسلى يديك وتعالى فكلينى أنا .

فضحك كـلاهما ، وبعد لحظات قام الطبيب وضـيوفه إلى بـيــتـه لكنـه طلب من طـاووس أن تسلم عـلى الضيوف ، فأبت بحجة أنهم أناس لا يعرفونها ، فرجع موسى إلى طاووس ، فـوجدها تبحث عن خـمارها ، ومضت إلى الدهليز ، فلمحا مـسعود الصياد ، فألقت طاووس السلام عليـهما واعتـذرت أنها لم تقم بواجب الضيافة كمـا ينبغى ، فتقدم مسعود الـصياد وابن أخته إلى طاووس لتقديم واجب الشكر.

وانطلــق مـوسى بالضــيــوف إلى بيـتــه ، وجـلـسـوا يتحدثون ، وعرف أنه ذهب مرتين إلى بيت مسعود فى العام المـاضى مرتين لعـلاج أمه ، وفى الصـباح ذهب موسى ليحضر الإفطار مع سيمين وترك "على الصغير "

معهم ، فانتهز مسعود الفرصة وأخذ يسأل الطفل عدة أسئلة .

مسعود : كم عمرك يا على ؟

على : وهو يشير بإصابعه : خمس سنوات .

مسعود : كم عندك من العمات ؟

على : واحدة لله .

مسعود : ما اسمها ؟

على : طاووس .

مسعود : ماذا يعمل زوجها .

على : لقد مات زوجها .

مسعود : كم من الأولاد عندها ؟

على : ليس لديها أولاد .

وعرف مسعود كل ما يريد معرفته عن طاووس ، فضحك أحمد ابن أخته وقال لقد عرفت كل شيء بسهولة جدًا ، وكان مسعود قد استغرق فى التفكير ولم ينتبه لتعليق أحمد .

أحمد : أظن أنك وقعت فى حبها .

موسى : وهو يدخل من الباب : معذرة على التأخير ، لقد انتظرت حتى يجهز الشاى

مسعود : وهو مستغرق فى التفكير فى طاووس : نعم الشاى الجاهز جميل

الطبيب : دون أن يعرف شيئًا : إن شاء الله أرجو أن تزورنا مرة أخرى مع الأسرة .

مسعود : بشرط أن تبحث أنت يا دكتور لى عن أسرة .

الطبيب : ألم تتزوج بعد ؟

مسعود : لا ، ومازلت عزبًا حتى الآن ثم غير الموضوع وقال : هل لديكم مرضى فى القرية ؟

الطبيب : عندما بدأت الشغل هنا كنت أظن أن القرية ليس بها مرضى ، ولكن الآن يأتى المرضى كل يوم من القرى المجاورة .

مسعود : شكركم على حسن ضيافتكم ، كما نشكر طاووس على تعبها معنا .

فاندهش الطبيب لمعرفة مسعود إسم طاووس ، ونظر إلى على الصغير الذى انشغل بالطعام ولم يهتم بكلامهم ، وبدأ يفكر فيما قيل وبخاصة قول مسعود : الشاى الجاهز شىء جميل .

مسعود والضيوف فى طريقهم للإنصراف : لقد كسبت اليوم صديقًا جديدًا يا دكتور ولن أتركه بسهولة .

مــــــوسى : أرجو أن تزورنا مع الأسرة .

مســعـود : وانتم أرجو أن تزورنا مع الأسرة فى شيراز .

الطبـــيب : إن شـاء الله سـبـحـانه وتـعـالى ، سـوف نزوركم فى وقت ما .

مســعـود : لن أترك الأمر بلا تحديد ، سوف ننـتظركم يوم الجمعة القادمة .

مــــــوسى : وقد فكر سريعًا : هذا الأسبوع لا ، الأسبوع المقبل .

أحــــمــــد : سوف نتشرف بكم يا دكتور .

الطبـــــيب ضاحكًـا : حاضر ، إن شـاء الله ، تحت خدمـتكم ؛

ثم تصـافحـوا ، واستقبلتـهم سيمـين حـتى الـباب ثم ركبا الجوادين ولوحوا لهم مودعين وانصرفوا .

افترق أحمد عن مسعود ، وذهب مسعود إلى بيته غارقًا فى آماله القادمة ، وكان يعيش مع أمه ، فقد مات أبوه وهو أحد أشـراف شيراز وأعـيانها مـنذ سبع سنوات ، وله مـن الأبناء بنتان وثلاثـة أبناء يعيشون بمبـدأ الإتحاد قوة ، فلم يقسموا الأموال ، وعاشوا فى بيت كبير مع جدتهم .

وكانت الجدة فى غاية القلق على غياب مسعود فى تلك الليلة وعندما سـمعت طرق الباب ، قـامت من مكانها وذهبت إلـى الشـرفـة ، ورأت الخادم يفـتح البـاب ،

ورأت مسعود يدخل البيت مع فرسه، ففرحت وحمدت الله تعالى.

دخل مسعود، وترك الفرس للخادم، ثم ذهب فسلم على أمه من بعيد، ثم جلس أمام الحوض فغسل يده ووجهه ثم ذهب إلى أمه.

مسعود : السلام عليكم .

الجدة : وعليكم السلام، لماذا تأخرت، لقد قلقنا عليك .

مسعود : إن قلبك رحيم جدًا يا أماه .

الجدة : أين الصيد ؟

مسعود : لم يصطد أحمد شيئًا، أما أنا فقد اصطدت صيدًا كبيرًا تركت حمله على أمى، ثم قبل رأس أمه، ودخل البيت ليغير ملابسه فذهبت أمه خلفه.

أمة : لا تسخر منى، فالعاقل لا يسخر من أمه، وأنت عاقل .

مسعود : لا تغضبى منى يا أمى، ولكن صدقينى هذه المرة، الصيد الذى اصطدته لن يحضره إلا أنت.

الجدة وقد فهمت شيئًا : يا عفريت لقد اصطدت شيئًا لنفسك

مسعود : لقد ضللت الطريق انا وأحمد، ثم اصطدت طاووسًا جميلاً فى سقف بيت .

الجدة : ولماذا لم تأت به ؟ إنه ليس ثقيلاً .

مسعود ضاحكًا: هنا تبدأ الحكاية ، فالطاووس ليس كما تعرفين ، ولكنه أثقل مما تعرفينه .

الجدة : مبروك ، ولماذا لا تتحدث بصراحة ؟

مسعود : كل من إقترحت على فى ناحية ، وهذه فى ناحية أخرى ، فى الحقيقة العزوس مثل القمر .

الجدة : ما اسمها ؟

مسعود : طاووس ، وهى طاووس فعلاً .

الجدة : لعلها سقطت من السماء فقط .

مسعود : ربما يكون كلامك صحيحًا ، أرجو أن تسرعى لى بالخطوبة يا أماه ، وقد دعوت أخاها لزيارتنا وسوف يأتى بعد أسبوعين .

الجدة : أين بيتها ؟ كم عمرها ؟ هل كانت متزوجة أو لا ؟ هل ستوافق عليك ؟ ألم تسأل عن هذه الأمور؟

مسعود : أنت لا تعرفين إذن يا أماه ، اجلسى وسوف أحكى لك ما حدث

الجدة : اجلس أنت أيضًا ، لقد تعبت من السفر .

مسعود : لقد نسيت تعبى من الفرح .

اسمعى ، لقد ضللنا الطريق أنا وأحمد ، وعندما رأينا قرية سروستان فرحنا جدًا ، ومكثنا فى شوارع سروستان حتى مر علينا أخوها ونزلنا عليه ضيوفًا ،

وذهبنا إلى بيتها ، وبعد العشاء رأيناها وكان زوجها قد مات عنها .

الجـــــــدة : ما هذا الاختيار ؟ أنا أبحث لك فى بنات الوزراء وأنت تختار بنتًا فى " سروستان " .

مســعود : لا تفكرى فى شىء يا أمـى ، الحظ ، كمـا أن أخـاها طبيب ، وعـمها تاجر أمـا زوجها فلا أعـرف ماذا كان يعمل .

الجـــــــدة ضـاحكة : أنت دائمًا هكـذا تأخذ قـراراتك بسرعـة ، البنات كثيرات ويردن الزواج منك ولكن " العلف حلو فى فم الخروف " .

الخطوبة :

أخبر مسعود - بعد مضى الأسبوعين - أحد خدمه بأن عربة سـوف تأتى إلى البيت من بعـيد وسـأله فهل كل شىء جاهز ؟

الخـــــادم : نعـم يـا سيدى ، لقـد نظـفت البـيت وجهـزت خروفًا "سمينًا" .

وبعد لحظات وصل مـوسى مع سيمين وعلى ، فـعانق موسى مـسعود وأخـذه ليعرفه بأهلـه : أخيه محـمود وزوجته إيران هانم وعمته سيما وزوجها شاهرخ . . .

وبعد الاستقبال الحار ذهب الرجال إلى مكانهم والنساء إلى مكانهن ، وأخذ كل فريق يتحدث فى موضوعات شتى ، الرجال عن وضع الحكومة و ٠٠ حتى وصلوا إلى صيد الغزال فى صحراء شيراز ، والنساء عن الجو وحرارته وبرودته حتى وصلن عند قيمة الذهب والمجوهرات التى ارتفع سعرها ٠

وكان مسعود مشغولاً بحكاية أخرى هى حكايته مع طاووس وهل تحدثت أمه فى الموضوع أولاً ، ثم جاءت رائحة الطعام فقال : أفضل حكاية حكاية الغداء ، ثم ذهب إلى أمه وقال : أخبرى الضيوف أن الغداء جاهز ، ثم قال بصوت خفيض : هل تحدثت عن طاووس ؟

الجدة وقد عضت شفتيها له : اصبر قليلا ، أنت لست صغيراً ، وعندما تأتى الفرصة سوف أطرح الموضوع ، اذهب ورحب بالضيوف على السفرة ودعت الجدة سيمين وسيما وإيران للسفرة ، وكذلك دعا مسعود الضيوف إلى الطعام ٠

فلما ذهب موسى إلى السفرة ووجد الخروف المشوى ، تذكر الكوفتة فى بيت طاووس ٠

وقد حضرت النساء إلى السفرة أيضًا ٠

سـيـمين : لماذا تكلفتم كثيراً ، نحن لسنا بأغنياء ٠

الطـبـيب " إن مـسعـود بهذه الطريـقة يريد أن يقـول إنه لا يحب (الكوفتة)

مـسعـود : بل إن هـذه الكوفـتـة أفضل طعـام أكلته فى حـياتى ، وما زلت أشعر بمذاقه حتى اليوم ٠

ثم وصل أحمـد وانضم إلى الجالسين على السفـرة بعد أن سلم على الضيوف ٠

مـوسى : كيف تعـرف يا أحمد بمجىء الضيـوف ولا تأتى لتسلم عليهم ؟

أحـمـد : مـعـذرة يا دكـتـور كان عنـدى شغل ، ولـكننى كنت حريصًا على اللحـاق بكم على الغداء ويبدو أن خطتى قد نجحت

أدركت سيمـين إن الأمور التى تحدث عنها مـسعود مع على الصغـير لم تكن لمجرد التعـارف وإنما كانت لأمر يتـعلق بطاووس ، وكـذلك الجدة تحـدثت كـثيـراً عن مسعود وإن زوجته السـابقة لم تكن مناسبة لإنها كانت سيئة الأخلاق٠

واستمـر الحديث بعد الغداء ، واغتنمت الجـدة الفرصة وتحـدثت عـن طاووس ، وأراد مـوسى أن يسـتـأذن للانصراف إلا أن مسعود أصـر على بقاء الضيوف لليوم

التالى واستعد الضيوف للبقاء والرحيل فى اليوم التالى وانتهى الاجتماع على البقاء فى بيت طاووس فى الأسبوع التالى على أن يكون الطعام (كوفتة) فقط .

وجاء الأسبوع التالى وقد مر على موت المنصور ثلاثة أشهر ، وأخذت طاووس تستعد لاستقبال الضيوف : الجدة وسيما ومسعود وإيران ومحمود ، فاستأجرت خدمًا لاستقبال الضيوف ، وجهزت الأطعمة الفاخرة وبدت طاووس فى سن الخامسة والعشرين بالرغم من أن عمرها قد وصل إلى الرابعة والثلاثين عامًا لأسباب كثيرة منها ثراء زوجها ووجود خادمات مثل ماهيتاب التى كانت تقضى أوقاتها مع طاووس فى الضحك .

قدمت طاووس الفاكهة للضيوف بعد الغداء . . . وكان العم إبراهيم وعصمت هانم هم حكماء الجلسة، لم لا وكان العم إبراهيم تاجر الدوية ، يبعث بها إلى معظم أرجاء البلد . . . وكان فخوراً بذلك وأنه ربى موسى وطاووس .

مضت ساعة بعد الغداء وبدأت الجدة الحديث فى الموضوع الأصلى

الجـــــدة : لطاووس: هل تريدين أن تصبحى عروسة ؟

طاووس التى خجلت كثيراً من هذا السؤال لم ترد بكلمة وإنما تبسمت ونظر إليها مسعود وتبسم ، وكانت سيما تراقب الموقف وكانت إيران موافقة على موضوع الزواج ، بل كان الجميع راضين عن هذه الزيجة وكذلك طاووس التى لم تتكلم لكنها كانت راضية من قلبها .

سيما : إن أخانا مسعود هو عيوننا ، ونحن نقدم لكم عيوننا فهل هذا يحتاج إلى تفكير ؟ ثم مدت يداها وأخذت الخمار من على رأس طاووس وانتشر شعر طاووس ، وبدت جميلة جدًا بل فى غاية الجمال ومدت طاووس لتأخذ الخمار فألقته سيما فى الهواء فالتقطه مسعود وربطه حول عنقه ، فضحك الجميع وخجلت طاووس التى إزداد جمالها بعد ظهور شعرها .

وسألت الجدة طاووس لم تجيبى على سؤالى يا سيدة الكل ؟

وأرادت طاووس أن تنظر إلى مسعود كى تقبله زوجًا ، فلما رفعت رأسها غمز لها مسعود بعينيه ، فلم تستطع طاووس أن تمسك نفسها عن الضحك فضحك الجميع وعرفوا أنها موافقة .

وكانت الجدة قد اعطت سارة مقداراً من الحلوى من قبل ، وأشارت الآن إليها فعرفت سارة الحكمة فقامت ونثرت الحلوى على العروسين .

وأخذت طاووس نفسًا عميقًا أراح روحها بعد أن كان سبب مرضها وعقد عقد الزواج في يوم ميلاد النبى صلى الله عليه وسلم في شيراز فى جو ربيعى جميل .

وبعد عام :

زادت سعادة طاووس بعد أن حملت وجاء لها أفضل القابلات في شيراز وكانت الجدة قد طلبت من طاووس أن تعيش مع ابنها في بيتها ، فقد أخذت غرفة واحدة من البيت وسارت طاووس مديرة لهذا البيت .

وضعت طاووس بنتًا جميلة فرح بها مسعود ،بل جاء بجوار طاووس والدموع تفيض من عينيه وكذلك الجدة ، وتذكرت طاووس أمها التى لم تكن معها فى تلك اللحظة .

قدم كل واحد اسمًا للمولودة ، لكن طاووس ومسعود لم يقبلا تلك الأسماء ، ومضت ثلاثة أيام ومسعود يعمل نائبًا لرئيس البلد ، ثم جاء بعد الظهر فوجد الطفلة ترضع من ثدى أمها ، وسمعت طاووس صوت

دخول أحد فى البيت ، وكان هذا مسعود الذى قال:
السلام على حبيبتى طاووس وعلى ابنتى الحبيبة التى لا اسم لها .

فردت عليه طاووس : وعليكم السلام يا صاحب الجلالة ، وأقدم سلام ابنته على صاحب الجلالة أبيها .

مسعود : لم يكن لموكلتك لسان تتحدث به، فاستأجرت وكيلاً .

طاووس : ضاحكة : معنى هذا أنك ترفض وكيلها؟

انحنى مسعود وقبل وجه طاووس ووجه البنت وقال : بل أنا فداء لابنتى ووكيلها ، ثم قال : انا أريد أن أقول لابنتى الأخبار الجديدة وأريد أن أسمع التعليق من وكيلها .

ثم نظر إلى عينى ابنته وقال بإبتسامة أريد منك أن ترفعينى إلى درجة والى شيراز

فانبهرت طاووس وصاحت : واليه .. واليه .. واليه وكانت الجدة تتحدث مع بعض الخدم ، فلما سمعت صوت طاووس جاءت إلى الغرفة .

فتذكرت طاووس الليلة التى كان مسعود فيها فى الشارع بجوار بيتها وإن ابنتها فى الخيال قالت إن اسمها واليه .

فقال مسعود : ماذا حدث يا طاووس ، لماذا صرخت وقلت : واليه .. واليه إننى قلت ليتنى أصير والى شيراز .

فـتركت طاووس السـرير وقالت مـبروك ، ثم أخـذت الطفلة فى أحضانها وقـالت : واليه٠٠ واليه ٠٠واليه ثم قبلت الطفلة وخاطبـت مسعود لقد أصبـحت ببركة قدوم ابنـتك واليًا على شـيراز ولهـذا أريد إذن الجدة٠ أريد تسميـة ابنتى واليه ففرحت الجدة فرحـتين ، فرحة تسمية حـفيدتها ، وفرحة ترقـية ابنها إلى منصب والى شيراز ، وعانقت مسعود وزوجـته ثم قالوا جميعًا ٠٠ واليه ، واليه ، واليه

ثم جاء الخدم وصفقوا٠٠٠

تمت بحمد الله

المحتويات

المشروع القومى للترجمة

المشروع القومى للترجمة مشروع تنمية ثقافية بالدرجة الأولى ، ينطلق من الإيجابيات التى حققتها مشروعات الترجمة التى سبقته فى مصر والعالم العربى ويسعى إلى الإضافة بما يفتح الأفق على وعود المستقبل، معتمداً المبادئ التالية :

١- الخروج من أسر المركزية الأوروبية وهيمنة اللغتين الإنجليزية والفرنسية .

٢- التوازن بين المعارف الإنسانية فى المجالات العلمية والفنية والفكرية والإبداعية .

٣- الانحياز إلى كل ما يؤسس لأفكار التقدم وحضور العلم وإشاعة العقلانية والتشجيع على التجريب .

٤- ترجمة الأصول المعرفية التى أصبحت أقرب إلى الإطار المرجعى فى الثقافة الإنسانية المعاصرة، جنبًا إلى جنب المنجزات الجديدة التى تضع القارئ فى القلب من حركة الإبداع والفكر العالميين .

٥- العمل على إعداد جيل جديد من المترجمين المتخصصين عن طريق ورش العمل بالتنسيق مع لجنة الترجمة بالمجلس الأعلى للثقافة .

٦- الاستعانة بكل الخبرات العربية وتنسيق الجهود مع المؤسسات المعنية بالترجمة .

المشروع القومى للترجمة

١ – اللغة العليا (طبعة ثانية)	جون كوين	ت : أحمد درويش
٢ – الوثنية والإسلام	ك. مادهو بانيكار	ت : أحمد فؤاد بلبع
٣ – التراث المسروق	جورج جيمس	ت : شوقى جلال
٤ – كيف تتم كتابة السيناريو	انجا كاريتنكوفا	ت : أحمد الحضرى
٥ – ثريا فى غيبوبة	إسماعيل فصيح	ت : محمد علاء الدين منصور
٦ – اتجاهات البحث اللسانى	ميلكا إفيتش	ت : سعد مصلوح / وفاء كامل فايد
٧ – العلوم الإنسانية والفلسفة	لوسيان غولدمان	ت : يوسف الأنطكى
٨ – مشعلو الحرائق	ماكس فريش	ت : مصطفى ماهر
٩ – التغيرات البيئية	أندرو س. جودى	ت : محمود محمد عاشور
١٠ – خطاب الحكاية	جيرار جينيت	ت : محمد معتصم وعبد الجليل الأزدى وعمر حلى
١١ – مختارات	فيسوافا شيمبوريسكا	ت : هناء عبد الفتاح
١٢ – طريق الحرير	ديفيد براونيستون وايرين فرانك	ت : أحمد محمود
١٣ – ديانة الساميين	روبرتسن سميث	ت : عبد الوهاب علوب
١٤ – التحليل النفسى والأدب	جان بيلمان نويل	ت : حسن المودن
١٥ – الحركات الفنية	إدوارد لويس سميث	ت : أشرف رفيق عفيفى
١٦ – أثينة السوداء	مارتن برنال	ت : بإشراف / أحمد عتمان
١٧ – مختارات	فيليب لاركين	ت : محمد مصطفى بدوى
١٨ – الشعر النسائى فى أمريكا اللاتينية	مختارات	ت : طلعت شاهين
١٩ – الأعمال الشعرية الكاملة	جورج سفيريس	ت : نعيم عطية
٢٠ – قصة العلم	ج. ج. كراوثر	ت : يمنى طريف الخولى / بدوى عبد الفتاح
٢١ – خوخة وألف خوخة	صمد بهرنجى	ت : ماجدة العنانى
٢٢ – مذكرات رحالة عن المصريين	جون أنتيس	ت : سيد أحمد على الناصرى
٢٣ – تجلى الجميل	هانز جيورج جادامر	ت : سعيد توفيق
٢٤ – ظلال المستقبل	باتريك بارندر	ت : بكر عباس
٢٥ – مثنوى	مولانا جلال الدين الرومى	ت : إبراهيم الدسوقى شتا
٢٦ – دين مصر العام	محمد حسين هيكل	ت : أحمد محمد حسين هيكل
٢٧ – التنوع البشرى الخلاق	مقالات	ت : نخبة
٢٨ – رسالة فى التسامح	جون لوك	ت : منى أبو سنه
٢٩ – الموت والوجود	جيمس ب. كارس	ت : بدر الديب
٣٠ – الوثنية والإسلام (ط٢)	ك. مادهو بانيكار	ت : أحمد فؤاد بلبع
٣١ – مصادر دراسة التاريخ الإسلامى	جان سوفاجيه – كلود كاين	ت : عبد الستار الحلوجى / عبد الوهاب علوب
٣٢ – الانقراض	ديفيد روس	ت : مصطفى إبراهيم فهمى
٣٣ – التاريخ الاقتصادى لإفريقيا الغربية	أ. ج. هوبكنز	ت : أحمد فؤاد بلبع
٣٤ – الرواية العربية	روجر ألن	ت : حصة إبراهيم المنيف
٣٥ – الأسطورة والحداثة	بول . ب . ديكسون	ت : خليل كلفت

٣٦ – نظريات السرد الحديثة	والاس مارتن	ت : حياة جاسم محمد
٣٧ – واحة سيوة وموسيقاها	بريجيت شيفر	ت : جمال عبد الرحيم
٣٨ – نقد الحداثة	آلن تورين	ت : أنور مغيث
٣٩ – الإغريق والحسد	بيتر والكوت	ت : منيرة كروان
٤٠ – قصائد حب	آن سكستون	ت : محمد عيد إبراهيم
٤١ – ما بعد المركزية الأوربية	بيتر جران	ت : عاطف أحمد / إبراهيم فتحى / محمود ماجد
٤٢ – عالم ماك	بنجامين باربر	ت : أحمد محمود
٤٣ – اللهب المزدوج	أوكتافيو باث	ت : المهدى أخريف
٤٤ – بعد عدة أصياف	ألدوس هكسلى	ت : مارلين تادرس
٤٥ – التراث المغدور	روبرت ج دنيا – جون ف أ فاين	ت : أحمد محمود
٤٦ – عشرون قصيدة حب	بابلو نيرودا	ت : محمود السيد على
٤٧ – تاريخ النقد الأدبى الحديث (١)	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٤٨ – حضارة مصر الفرعونية	فرانسوا دوما	ت : ماهر جويجاتى
٤٩ – الإسلام فى البلقان	هـ . ت . نوريس	ت : عبد الوهاب علوب
٥٠ – ألف ليلة وليلة أو القول الأسير	جمال الدين بن الشيخ	ت : محمد برادة وعثمانى الميلود ويوسف الأنطكى
٥١ – مسار الرواية الإسبانو أمريكية	داريو بيانويبا وخ. م بينياليستى	ت : محمد أبو العطا
٥٢ – العلاج النفسى التدعيمى	بيتر . ن . نوفاليس وستيفن . ج . روجسيفيتز وروجر بيل	ت : لطفى فطيم وعادل دمرداش
٥٣ – الدراما والتعليم	أ . ف . ألنجتون	ت : مرسى سعد الدين
٥٤ – المفهوم الإغريقى للمسرح	ج . مايكل والتون	ت : محسن مصيلحى
٥٥ – ما وراء العلم	چون بولكنجهوم	ت : على يوسف على
٥٦ – الأعمال الشعرية الكاملة (١)	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمود على مكى
٥٧ – الأعمال الشعرية الكاملة (٢)	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمود السيد ، ماهر البطوطى
٥٨ – مسرحيتان	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمد أبو العطا
٥٩ – المحبرة	كارلوس مونييث	ت : السيد السيد سهيم
٦٠ – التصميم والشكل	جوهانز ايتين	ت : صبرى محمد عبد الغنى
٦١ – موسوعة علم الإنسان	شارلوت سيمور – سميث	مراجعة وإشراف : محمد الجوهرى
٦٢ – لذّة النّص	رولان بارت	ت : محمد خير البقاعى .
٦٣ – تاريخ النقد الأدبى الحديث (٢)	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٦٤ – برتراند راسل (سيرة حياة)	آلان وود	ت : رمسيس عوض .
٦٥ – فى مدح الكسل ومقالات أخرى	برتراند راسل	ت : رمسيس عوض .
٦٦ – خمس مسرحيات أندلسية	أنطونيو جالا	ت : عبد اللطيف عبد الحليم
٦٧ – مختارات	فرناندو بيسوا	ت : المهدى أخريف
٦٨ – نتاشا العجوز وقصص أخرى	فالنتين راسبوتين	ت : أشرف الصباغ
٦٩ – العالم الإسلامى فى أوائل القرن العشرين	عبد الرشيد إبراهيم	ت : أحمد فؤاد متولى وهويدا محمد فهمى
٧٠ – ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية	أوخينيو تشانج رودريجث	ت : عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد
٧١ – السيدة لا تصلح إلا للرمى	داريو فو	ت : حسين محمود

٧٢ – السياسى العجوز	ت . س . إليوت	ت : فؤاد مجلى
٧٣ – نقد استجابة القارئ	جين . ب . توميكنز	ت : حسن ناظم وعلى حاكم
٧٤ – صلاح الدين والمماليك فى مصر	ل . ا . سيمينوفا	ت : حسن بيومى
٧٥ – فن التراجم والسير الذاتية	أندريه موروا	ت : أحمد درويش
٧٦ – جاك لاكان وإغواء التحليل النفسى	مجموعة من الكتاب	ت : عبد المقصود عبد الكريم
٧٧ – تاريخ النقد الأدبى الحديث ج ٢	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٧٨ – العولمة : النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية	رونالد روبرتسون	ت : أحمد محمود ونورا أمين
٧٩ – شعرية التأليف	بوريس أوسبنسكى	ت : سعيد الغانمى وناصر حلاوى
٨٠ – بوشكين عند «نافورة الدموع»	ألكسندر بوشكين	ت : مكارم الغمرى
٨١ – الجماعات المتخيلة	بندكت أندرسن	ت : محمد طارق الشرقاوى
٨٢ – مسرح ميجيل	ميجيل دى أونامونو	ت : محمود السيد على
٨٣ – مختارات	غوتفريد بن	ت : خالد المعالى
٨٤ – موسوعة الأدب والنقد	مجموعة من الكتاب	ت : عبد الحميد شيحة
٨٥ – منصور الحلاج (مسرحية)	صلاح زكى أقطاى	ت : عبد الرازق بركات
٨٦ – طول الليل	جمال مير صادقى	ت : أحمد فتحى يوسف شتا
٨٧ – نون والقلم	جلال آل أحمد	ت : ماجدة العنانى
٨٨ – الابتلاء بالتغرب	جلال آل أحمد	ت : إبراهيم الدسوقى شتا
٨٩ – الطريق الثالث	أنتونى جيدنز	ت : أحمد زايد ومحمد محيى الدين
٩٠ – وسم السيف (قصص)	نخبة من كُتاب أمريكا اللاتينية	ت : محمد إبراهيم مبروك
٩١ – المسرح والتجريب بين النظرية والتطبيق	باربر الاسوستكا	ت : محمد هناء عبد الفتاح
٩٢ – أساليب ومضامين المسرح الإسبانوأمريكي المعاصر	كارلوس ميجل	ت : نادية جمال الدين
٩٣ – محدثات العولمة	مايك فيذرستون وسكوت لاش	ت : عبد الوهاب علوب
٩٤ – الحب الأول والصحبة	صمويل بيكيت	ت : فوزية العشماوى
٩٥ – مختارات من المسرح الإسبانى	أنطونيو بويرو باييخو	ت : سرى محمد محمد عبد اللطيف
٩٦ – ثلاث زنبقات ووردة	قصص مختارة	ت : إدوار الخراط
٩٧ – هوية فرنسا (مج ١)	فرنان برودل	ت : بشير السباعى
٩٨ – الهم الإنسانى والابتزاز الصهيونى	نماذج ومقالات	ت : أشرف الصباغ
٩٩ – تاريخ السينما العالمية	ديفيد روبنسون	ت : إبراهيم قنديل
١٠٠ – مساءلة العولمة	بول هيرست وجراهام تومبسون	ت : إبراهيم فتحى
١٠١ – النص الروائى (تقنيات ومناهج)	بيرنار فاليط	ت : رشيد بنحدو
١٠٢ – السياسة والتسامح	عبد الكريم الخطيبى	ت : عز الدين الكتانى الإدريسى
١٠٣ – قبر ابن عربى يليه آياء	عبد الوهاب المؤدب	ت : محمد بنيس
١٠٤ – أوبرا ماهوجنى	برتولت بريشت	ت : عبد الغفار مكاوى
١٠٥ – مدخل إلى النص الجامع	جيرارجينيت	ت : عبد العزيز شبيل
١٠٦ – الأدب الأندلسى	د. ماريا خيسوس روبييرامتى	ت : أشرف على دعدور
١٠٧ – صورة الفدائى فى الشعر الأمريكى المعاصر	نخبة	ت : محمد عبد الله الجعيدى

١٠٨ - ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسي	مجموعة من النقاد	ت : محمود علي مكي
١٠٩ - حروب المياه	جون بولوك وعادل درويش	ت : هاشم أحمد محمد
١١٠ - النساء في العالم النامي	حسنة بيجوم	ت : منى قطان
١١١ - المرأة والجريمة	فرانسيس هيندسون	ت : ريهام حسين إبراهيم
١١٢ - الاحتجاج الهادئ	أرلين علوي ماكليود	ت : إكرام يوسف
١١٣ - راية التمرد	سادي پلانت	ت : أحمد حسان
١١٤ - مسرحيتا حصاد كونجي وسكان المستنقع	وول شوينكا	ت : نسيم مجلي
١١٥ - غرفة تخص المرء وحده	فرچينيا وولف	ت : سمية رمضان
١١٦ - امرأة مختلفة (درية شفيق)	سينثيا نلسون	ت : نهاد أحمد سالم
١١٧ - المرأة والجنوسة في الإسلام	ليلى أحمد	ت : منى إبراهيم ، وهالة كمال
١١٨ - النهضة النسائية في مصر	بث بارون	ت : ليس النقاش
١١٩ - النساء والأسرة وقوانين الطلاق	أميرة الأزهري سنبل	ت : بإشراف/ رؤوف عباس
١٢٠ - الحركة النسائية والتطور في الشرق الأوسط	ليلى أبو لغد	ت : نخبة من المترجمين
١٢١ - الدليل الصغير في كتابة المرأة العربية	فاطمة موسى	ت : محمد الجندي ، وإيزابيل كمال
١٢٢ - نظام العبودية القديم ونموذج الإنسان	جوزيف فوجت	ت : منيرة كروان
١٢٣ - الإمبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية	نيقل الكسندر وفنادولينا	ت: أنور محمد إبراهيم
١٢٤ - الفجر الكاذب	چون جراي	ت : أحمد فؤاد بلبع
١٢٥ - التحليل الموسيقي	سيدريك ثورپ ديڤي	ت : سمحه الخولي
١٢٦ - فعل القراءة	ڤولفانج إيسر	ت : عبد الوهاب علوب
١٢٧ - إرهاب	صفاء فتحي	ت : بشير السباعي
١٢٨ - الأدب المقارن	سوزان باسنيت	ت : أميرة حسن نويرة
١٢٩ - الرواية الاسبانية المعاصرة	ماريا دولورس أسيس جاروته	ت : محمد أبو العطا وآخرون
١٣٠ - الشرق يصعد ثانية	أندريه جوندر فرانك	ت : شوقي جلال
١٣١ - مصر القديمة (التاريخ الاجتماعي)	مجموعة من المؤلفين	ت : لويس بقطر
١٣٢ - ثقافة العولمة	مايك فيذرستون	ت : عبد الوهاب علوب
١٣٣ - الخوف من المرايا	طارق علي	ت : طلعت الشايب
١٣٤ - تشريح حضارة	باري ج. كيمب	ت : أحمد محمود
١٣٥ - المختار من نقد ت. س. إليوت (ثلاثة أجزاء)	ت. س. إليوت	ت : ماهر شفيق فريد
١٣٦ - فلاحو الباشا	كينيث كونو	ت : سحر توفيق
١٣٧ - مذكرات ضابط في الحملة الفرنسية	جوزيف ماري مواريه	ت : كاميليا صبحي
١٣٨ - عالم التليفزيون بين الجمال والعنف	إيڤلينا تاروني	ت : وجيه سمعان عبد المسيح
١٣٩ - پارسيفال	ريشارد ڤاچنر	ت : مصطفى ماهر
١٤٠ - حيث تلتقي الأنهار	هربرت ميسن	ت : أمل الجبوري
١٤١ - اثنتا عشرة مسرحية يونانية	مجموعة من المؤلفين	ت : نعيم عطية
١٤٢ - الإسكندرية : تاريخ ودليل	أ. م. فورستر	ت : حسن بيومي
١٤٣ - قضايا التنظير في البحث الاجتماعي	ديريك لايدار	ت : عدلي السمري
١٤٤ - صاحبة اللوكاندة	كارلو جولدوني	ت : سلامة محمد سليمان

١٤٥ – موت أرتيميو كروث	كارلوس فوينتس	ت : أحمد حسان
١٤٦ – الورقة الحمراء	ميجيل دي ليبس	ت : علي عبد الرؤوف البمبي
١٤٧ – خطبة الإدانة الطويلة	تانكريد دورست	ت : عبد الغفار مكاوي
١٤٨ – القصة القصيرة (النظرية والتقنية)	إنريكي أندرسون إمبرت	ت : علي إبراهيم علي منوفي
١٤٩ – النظرية الشعرية عند إليوت وأدونيس	عاطف فضول	ت : أسامة إسبر
١٥٠ – التجربة الإغريقية	روبرت ج. ليتمان	ت: منيرة كروان
١٥١ – هوية فرنسا (مج ٢ ، ج ١)	فرنان بروديل	ت : بشير السباعي
١٥٢ – عدالة الهنود وقصص أخرى	نخبة من الكُتاب	ت : محمد محمد الخطابي
١٥٣ – غرام الفراعنة	فيولين فانويك	ت : فاطمة عبد الله محمود
١٥٤ – مدرسة فرانكفورت	فيل سليتر	ت : خليل كلفت
١٥٥ – الشعر الأمريكي المعاصر	نخبة من الشعراء	ت : أحمد مرسي
١٥٦ – المدارس الجمالية الكبرى	جي أنبال وآلان وأوديت فيرمو	ت : مي التلمساني
١٥٧ – خسرو وشيرين	النظامي الكنوجي	ت : عبد العزيز بقوش
١٥٨ – هوية فرنسا (مج ٢ ، ج٢)	فرنان بروديل	ت : بشير السباعي
١٥٩ – الإيديولوجية	ديفيد هوكس	ت : إبراهيم فتحي
١٦٠ – آلة الطبيعة	بول إيرليش	ت : حسين بيومي
١٦١ – من المسرح الإسباني	اليخاندرو كاسونا وأنطونيو جالا	ت : زيدان عبد الحليم زيدان
١٦٢ – تاريخ الكنيسة	يوحنا الآسيوي	ت : صلاح عبد العزيز محجوب
١٦٣ – موسوعة علم الاجتماع ج ١	جوردون مارشال	ت بإشراف : محمد الجوهري
١٦٤ – شامبوليون (حياة من نور)	جان لاكوتير	ت : نبيل سعد
١٦٥ – حكايات الثعلب	أ . ن أفانا سيفا	ت : سهير المصادفة
١٦٦ – العلاقات بين المتدينين والعلمانيين في إسرائيل	يشعياهو ليفمان	ت : محمد محمود أبو غدير
١٦٧ – في عالم طاغور	رابندرانات طاغور	ت : شكري محمد عياد
١٦٨ – دراسات في الأدب والثقافة	مجموعة من المؤلفين	ت : شكري محمد عياد
١٦٩ – إبداعات أدبية	مجموعة من المبدعين	ت : شكري محمد عياد
١٧٠ – الطريق	ميغيل دليبيس	ت : بسام ياسين رشيد
١٧١ – وضع حد	فرانك بيجو	ت : هدى حسين
١٧٢ – حجر الشمس	مختارات	ت : محمد محمد الخطابي
١٧٣ – معنى الجمال	ولتر ت . ستيس	ت : إمام عبد الفتاح إمام
١٧٤ – صناعة الثقافة السوداء	ايليس كاشمور	ت : أحمد محمود
١٧٥ – التليفزيون في الحياة اليومية	لوريتزو فيلشس	ت : وجيه سمعان عبد المسيح
١٧٦ – نحو مفهوم للاقتصاديات البيئية	توم تيتنبرج	ت : جلال البنا
١٧٧ – أنطون تشيخوف	هنري ترويا	ت : حصة إبراهيم منيف
١٧٨ – مختارات من الشعر اليوناني الحديث	نخبة من الشعراء	ت : محمد حمدي إبراهيم
١٧٩ – حكايات أيسوب	أيسوب	ت : إمام عبد الفتاح إمام
١٨٠ – قصة جاويد	إسماعيل فصيح	ت : سليم عبدالأمير حمدان
١٨١ – النقد الأدبي الأمريكي	فنسنت . ب . ليتش	ت : محمد يحيى

١٨٢ – العنف والنبوءة	و. ب. ييتس	ت : ياسين طه حافظ
١٨٣ – چان كوكتو على شاشة السينما	رينيه چيلسون	ت : فتحى العشرى
١٨٤ – القاهرة .. حالمة لا تنام	هانز إيندورفر	ت : دسوقى سعيد
١٨٥ – أسفار العهد القديم	توماس تومسن	ت : عبد الوهاب علوب
١٨٦ – معجم مصطلحات هيجل	ميخائيل أنوود	ت : إمام عبد الفتاح إمام
١٨٧ – الأرضة	بُزُرْج علوى	ت : علاء منصور
١٨٨ – موت الأدب	ألفين كرنان	ت : بدر الديب
١٨٩ – العمى والبصيرة	پول دى مان	ت : سعيد الغانمى
١٩٠ – محاورات كونفوشيوس	كونفوشيوس	ت : محسن سيد فرجانى
١٩١ – الكلام رأسمال	الحاج أبو بكر إمام	ت : مصطفى حجازى السيد
١٩٢ – سياحتنامه إبراهيم بيك	زين العابدين المراغى	ت : محمود سلامة علاوى
١٩٣ – عامل المنجم	بيتر أبراهامز	ت : محمد عبد الواحد محمد
١٩٤ – مختارات من النقد الأنجلو– أمريكى	مجموعة من النقاد	ت : ماهر شفيق فريد
١٩٥ – شتاء ٨٤	إسماعيل فصيح	ت : محمد علاء الدين منصور
١٩٦ – المهلة الأخيرة	فالنتين راسبوتين	ت : أشرف الصباغ
١٩٧ – الفاروق	شمس العلماء شبلى النعمانى	ت : جلال السعيد الحفناوى
١٩٨ – الاتصال الجماهيرى	إدوين إمرى وآخرون	ت : إبراهيم سلامة إبراهيم
١٩٩ – تاريخ يهود مصر فى الفترة العثمانية	يعقوب لانداوى	ت : جمال أحمد الرفاعى وأحمد عبد اللطيف حماد
٢٠٠ – ضحايا التنمية	جيرمى سيبروك	ت : فخرى لبيب
٢٠١ – الجانب الدينى للفلسفة	جوزايا رويس	ت : أحمد الأنصارى
٢٠٢ – تاريخ النقد الأدبى الحديث جـ٤	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٢٠٣ – الشعر والشاعرية	ألطاف حسين حالى	ت : جلال السعيد الحفناوى
٢٠٤ – تاريخ نقد العهد القديم	زالمان شازار	ت : أحمد محمود هويدى
٢٠٥ – الجينات والشعوب واللغات	لويجى لوقا كافاللى – سفورزا	ت : أحمد مستجير
٢٠٦ – الهيولية تصنع علماً جديداً	جيمس جلايك	ت : على يوسف على
٢٠٧ – ليل إفريقى	رامون خوتاسنديير	ت : محمد أبو العطا عبد الرؤوف
٢٠٨ – شخصية العربى فى المسرح الإسرائيلى	دان أوريان	ت : محمد أحمد صالح
٢٠٩ – السرد والمسرح	مجموعة من المؤلفين	ت : أشرف الصباغ
٢١٠ – مثنويات حكيم سنائى	سنائى الغزنوى	ت : يوسف عبد الفتاح فرج
٢١١ – فرديناند دوسوسير	جوناثان كلر	ت : محمود حمدى عبد الغنى
٢١٢ – قصص الأمير مرزبان	مرزبان بن رستم بن شروين	ت : يوسف عبد الفتاح فرج
٢١٣ – مصر منذ قدوم نابليون حتى رحيل عبد الناصر	ريمون فلاور	ت : سيد أحمد على الناصرى
٢١٤ – قواعد جديدة للمنهج فى علم الاجتماع	أنتونى جيدنز	ت : محمد محمود محى الدين
٢١٥ – سياحت نامه إبراهيم بيك جـ٢	زين العابدين المراغى	ت : محمود سلامة علاوى
٢١٦ – جوانب أخرى من حياتهم	مجموعة من المؤلفين	ت : أشرف الصباغ
٢١٧ – مسرحيتان طليعيتان	صمويل بيكيت	ت : نادية البنهاوى
٢١٨ – رايولا	خوليو كورتازار	ت : على إبراهيم على منوفى

٢١٩ - بقايا اليوم	كازو ايشجورو	ت : طلعت الشايب
٢٢٠ - الهيولية فى الكون	بارى باركر	ت : على يوسف على
٢٢١ - شعرية كفافى	جريجورى جوزدانيس	ت : رفعت سلام
٢٢٢ - فرانز كافكا	رونالد جراى	ت : نسيم مجلى
٢٢٣ - العلم فى مجتمع حر	بول فيرابنر	ت : السيد محمد نفادى
٢٢٤ - دمار يوغسلافيا	برانكا ماجاس	ت : منى عبد الظاهر إبراهيم السيد
٢٢٥ - حكاية غريق	جابرييل جارثيا ماركث	ت : السيد عبد الظاهر عبد الله
٢٢٦ - أرض المساء وقصائد أخرى	ديفيد هربت لورانس	ت : طاهر محمد على البربرى
٢٢٧ - المسرح الإسبانى فى القرن السابع عشر	موسى ماريا ديف بوركى	ت : السيد عبد الظاهر عبد الله
٢٢٨ - علم الجمالية وعلم اجتماع الفن	جانيت وولف	ت : مارى تيريز عبد المسيح وخالد حسن
٢٢٩ - مأزق البطل الوحيد	نورمان كيمان	ت : أمير إبراهيم العمرى
٢٣٠ - عن الذباب والفئران والبشر	فرانسواز جاكوب	ت : مصطفى إبراهيم فهمى
٢٣١ - الدرافيل	خايمى سالوم بيدال	ت : جمال أحمد عبد الرحمن
٢٣٢ - مابعد المعلومات	توم ستينر	ت : مصطفى إبراهيم فهمى
٢٣٣ - فكرة الاضمحلال	أرثر هيرمان	ت : طلعت الشايب
٢٣٤ - الإسلام فى السودان	ج. سبنسر تريمنجهام	ت : فؤاد محمد عكود
٢٣٥ - ديوان شمس تبريزى ج١	جلال الدين الرومى	ت : إبراهيم الدسوقى شتا
٢٣٦ - الولاية	ميشيل تود	ت : أحمد الطيب
٢٣٧ - مصر أرض الوادى	روبين فيدين	ت : عنايات حسين طلعت
٢٣٨ - العولمة والتحرير	الانكتاد	ت : ياسر محمد جاد الله وعربى مدبولى أحمد
٢٣٩ - العربى فى الأدب الإسرائيلى	جيلا رامراز - رايوخ	ت : نادية سليمان حافظ وإيهاب صلاح فايق
٢٤٠ - الإسلام والغرب وإمكانية الحوار	كامى حافظ	ت : صلاح عبد العزيز محمود
٢٤١ - فى انتظار البرابرة	ك. م كويتز	ت : ابتسام عبد الله سعيد
٢٤٢ - سبعة أنماط من الغموض	وليام إمبسون	ت : صبرى محمد حسن عبد النبى
٢٤٣ - تاريخ إسبانيا الإسلامية جـ١	ليفى بروفنسال	ت : مجموعة من المترجمين
٢٤٤ - الغليان	لاورا إسكيبيل	ت : نادية جمال الدين محمد
٢٤٥ - نساء مقاتلات	إليزابيتا أديس	ت : توفيق على منصور
٢٤٦ - قصص مختارة	جابرييل جرثيا ماركث	ت : على إبراهيم على منوفى
٢٤٧ - الثقافة الجماهيرية والحداثة فى مصر	وولتر أرمبرست	ت : محمد الشرقاوى
٢٤٨ - حقول عدن الخضراء	أنطونيو جالا	ت : عبد اللطيف عبد الحليم
٢٤٩ - لغة التمزق	دراجو شتامبوك	ت : رفعت سلام
٢٥٠ - علم اجتماع العلوم	دومنيك فينك	ت : ماجدة أباظة
٢٥١ - موسوعة علم الاجتماع ج ٢	جوردون مارشال	ت بإشراف : محمد الجوهرى
٢٥٢ - رائدات الحركة النسوية المصرية	مارجو بدران	ت : على بدران
٢٥٣ - تاريخ مصر الفاطمية	ل. أ. سيمينوڤا	ت : حسن بيومى
٢٥٤ - الفلسفة	ديف روبنسون وجودى جروفز	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٥ - أفلاطون	ديف روبنسون وجودى جروفز	ت : إمام عبد الفتاح إمام

٢٥٦ – ديكارت	ديف روبنسون وجودى جروفز	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٧ – تاريخ الفلسفة الحديثة	وليم كلى رايت	ت : محمود سيد أحمد
٢٥٨ – الغجر	سير أنجوس فريزر	ت : عُبادة كُحيلة
٢٥٩ – مختارات من الشعر الأرمنى	نخبة	ت : فاروچان كازانچيان
٢٦٠ – موسوعة علم الاجتماع ج٣	جوردون مارشال	ت بإشراف : محمد الجوهرى
٢٦١ – رحلة فى فكر زكى نجيب محمود	زكى نجيب محمود	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٢٦٢ – مدينة المعجزات	إدوارد مندوثا	ت : محمد أبو العطا عبد الرؤوف
٢٦٣ – الكشف عن حافة الزمن	چون جريبن	ت : على يوسف على
٢٦٤ – إبداعات شعرية مترجمة	هوراس / شلى	ت : لويس عوض
٢٦٥ – روايات مترجمة	أوسكار وايلد وصموئيل جونسون	ت : لويس عوض
٢٦٦ – مدير المدرسة	جلال آل أحمد	ت : عادل عبد المنعم سويلم
٢٦٧ – فن الرواية	ميلان كونديرا	ت : بدر الدين عرودكى
٢٦٨ – ديوان شمس تبريزى ج٢	جلال الدين الرومى	ت : إبراهيم الدسوقى شتا
٢٦٩ – وسط الجزيرة العربية وشرقها ج١	وليم چيفور بالجريف	ت : صبرى محمد حسن
٢٧٠ – وسط الجزيرة العربية وشرقها ج٢	وليم چيفور بالجريف	ت : صبرى محمد حسن
٢٧١ – الحضارة الغربية	توماس سى . باترسون	ت : شوقى جلال
٢٧٢ – الأديرة الأثرية فى مصر	س. س. والترز	ت : إبراهيم سلامة
٢٧٣ – الاستعمار والثورة فى الشرق الأوسط	جوان آر. لوك	ت : عنان الشهاوى
٢٧٤ – السيدة بربارا	رومولو جلاجوس	ت : محمود على مكى
٢٧٥ – ت. س. إليوت شاعرًا وناقدًا وكاتبًا مسرحيًا	أقلام مختلفة	ت : ماهر شفيق فريد
٢٧٦ – فنون السينما	فرانك جوتيران	ت : عبد القادر التلمسانى
٢٧٧ – الچينات : الصراع من أجل الحياة	بريان فورد	ت : أحمد فوزى
٢٧٨ – البدايات	إسحق عظيموف	ت : ظريف عبد الله
٢٧٩ – الحرب الباردة الثقافية	فرانسيس ستونر سوندرز	ت : طلعت الشايب
٢٨٠ – من الأدب الهندى الحديث والمعاصر	بريم شند وآخرون	ت : سمير عبد الحميد
٢٨١ – الفردوس الأعلى	مولانا عبد الحليم شرر الكهنوى	ت : جلال الحفناوى
٢٨٢ – طبيعة العلم غير الطبيعية	لويس وابيرت	ت : سمير حنا صادق
٢٨٣ – السهل يحترق	خوان رولفو	ت : على البمبى
٢٨٤ – هرقل مجنونًا	يوريبيدس	ت : أحمد عتمان
٢٨٥ – رحلة الخواجة حسن نظامى	حسن نظامى	ت : سمير عبد الحميد
٢٨٦ – رحلة إبراهيم بك ج٣	زين العابدين المراغى	ت : محمود سلامة علاوى
٢٨٧ – الثقافة والعولمة والنظام العالمى	أنتونى كينج	ت : محمد يحيى وآخرون
٢٨٨ – الفن الروائى	ديفيد لودج	ت : ماهر البطوطى
٢٨٩ – ديوان منجوهرى الدامغانى	أبو نجم أحمد بن قوص	ت : محمد نور الدين
٢٩٠ – علم الترجمة واللغة	جورج مونان	ت : أحمد زكريا إبراهيم
٢٩١ – المسرح الإسبانى فى القرن العشرين ج١	فرانشسكو رويس رامون	ت : السيد عبد الظاهر
٢٩٢ – المسرح الإسبانى فى القرن العشرين ج٢	فرانشسكو رويس رامون	ت : السيد عبد الظاهر

٢٩٣ – مقدمة للأدب العربى	روجر آلان	ت : نخبة من المترجمين
٢٩٤ – فن الشعر	بوالو	ت : رجاء ياقوت صالح
٢٩٥ – سلطان الأسطورة	جوزيف كامبل	ت : بدر الدين حب الله الديب
٢٩٦ – مكبث	وليم شكسبير	ت : محمد مصطفى بدوى
٢٩٧ – فن النحو بين اليونانية والسريانية	ديونيسيوس ثراكس – يوسف الأهوانى	ت : ماجدة محمد أنور
٢٩٨ – مأساة العبيد	أبو بكر تفاوابليوه	ت : مصطفى حجازى السيد
٢٩٩ – ثورة التكنولوجيا الحيوية	جين ل. ماركس	ت : هاشم أحمد فؤاد
٣٠٠ – أسطورة بروميثيوس مج١	لويس عوض	ت : جمال الجزيرى وبهاء چاهين
٣٠١ – أسطورة بروميثيوس مج٢	لويس عوض	ت : جمال الجزيرى ومحمد الجندى
٣٠٢ – فنجنشتين	جون هيتون وجودى جروفز	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٣ – بوذا	جين هوب وبورن فان لون	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٤ – ماركس	ريوس	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٥ – الجلد	كروزيو مالابارته	ت : صلاح عبد الصبور
٣٠٦ – الحماسة – النقد الكانطى للتاريخ	چان – فرانسوا ليوتار	ت : نبيل سعد
٣٠٧ – الشعور	ديفيد بابينو	ت : محمود محمد أحمد
٣٠٨ – علم الوراثة	ستيف جونز	ت : ممدوح عبد المنعم أحمد
٣٠٩ – الذهن والمخ	انجوس چيلاتى	ت : جمال الجزيرى
٣١٠ – يونج	ناجى هيد	ت : محيى الدين محمد حسن
٣١١ – مقال فى المنهج الفلسفى	كولنجوود	ت : فاطمة إسماعيل
٣١٢ – روح الشعب الأسود	وليم دى بويز	ت : أسعد حليم
٣١٣ – أمثال فلسطينية	خايير بيان	ت : عبد الله الجعيدى
٣١٤ – الفن كعدم	جينس مينيك	ت : هويدا السباعى
٣١٥ – جرامشى فى العالم العربى	ميشيل بروندينو	ت :كاميليا صبحى
٣١٦ – محاكمة سقراط	أ. ف. ستون	ت : نسيم مجلى
٣١٧ – بلا غد	شير لايموفا – زنيكين	ت : أشرف الصباغ
٣١٨ – الأدب الروسى فى السنوات العشر الأخيرة	نخبة	ت : أشرف الصباغ
٣١٩ – صور دريدا	جايترى اسبيفاك وكرستوفر نوريس	ت : حسام نايل
٣٢٠ – لمعة السراج لحضرة التاج	مؤلف مجهول	ت : محمد علاء الدين منصور
٣٢١ – تاريخ إسبانيا الإسلامية ج٢	ليفى برو فنسال	ت : نخبة من المترجمين
٣٢٢ – وجهات نظر حديثة فى تاريخ الفن الغربى	دبليو. إيوجين كليتباور	ت : خالد مفلح حمزة
٣٢٣ – فن الساتورا	تراث يونانى قديم	ت : هانم سليمان
٣٢٤ – اللعب بالنار	أشرف أسدى	ت : محمود سلامة علاوى
٣٢٥ – عالم الآثار	فيليب بوسان	ت : كرستين يوسف
٣٢٦ – المعرفة والمصلحة	جورجين هابرماس	ت : حسن صقر
٣٢٧ – مختارات شعرية مترجمة	نخبة	ت : توفيق على منصور
٣٢٨ – يوسف وزليخة	نور الدين عبد الرحمن بن أحمد	ت : عبد العزيز بقوش
٣٢٩ – رسائل عيد الميلاد	تد هيوز	ت : محمد عيد إبراهيم

٣٣٠ – كل شيء عن التمثيل الصامت مارفن شبرد ت : سامي صلاح
٣٣١ – عندما جاء السردين ستيفن جراي ت : سامية دياب
٣٣٢ – رحلة شهر العسل وقصص أخرى نخبة ت : علي إبراهيم على منوفي
٣٣٣ – الإسلام في بريطانيا نبيل مطر ت : بكر عباس
٣٣٤ – لقطات من المستقبل آرثر س. كلارك ت : مصطفى فهمي
٣٣٥ – عصر الشك ناتالي ساروت ت : فتحي العشري
٣٣٦ – متون الأهرام نصوص قديمة ت : حسن صابر
٣٣٧ – فلسفة الولاء جوزايا رويس ت : أحمد الأنصاري
٣٣٨ – نظرات حائرة وقصص أخرى من الهند نخبة ت : جلال السعيد الحفناوي
٣٣٩ – تاريخ الأدب في إيران جـ٣ على أصغر حكمت ت : محمد علاء الدين منصور
٣٤٠ – اضطراب في الشرق الأوسط بيرش بيربيروجلو ت : فخري لبيب
٣٤١ – قصائد من رلكه راينر ماريا رلكه ت : حسن حلمي
٣٤٢ – سلامان وأبسال نور الدين عبد الرحمن بن أحمد ت : عبد العزيز بقوش
٣٤٣ – العالم البرجوازي الزائل نادين جورديمر ت : سمير عبد ربه
٣٤٤ – الموت في الشمس بيتر بلانجوه ت : سمير عبد ربه
٣٤٥ – الركض خلف الزمن بونه ندائي ت : يوسف عبد الفتاح فرج
٣٤٦ – سحر مصر رشاد رشدي ت : جمال الجزيري
٣٤٧ – الصبية الطائشون جان كوكتو ت : بكر الحلو
٣٤٨ – المتصوفة الأولون في الأدب التركي جـ١ محمد فؤاد كوبريلي ت : عبد الله أحمد إبراهيم
٣٤٩ – دليل القارئ إلى الثقافة الجادة آرثر والدرون وآخرين ت : أحمد عمر شاهين
٣٥٠ – بانوراما الحياة السياحية أقلام مختلفة ت : عطية شحاتة
٣٥١ – مبادئ المنطق جوزايا رويس ت : أحمد الأنصاري
٣٥٢ – قصائد من كفافيس قسطنطين كفافيس ت : نعيم عطية
٣٥٣ – الفن الإسلامي في الأندلس (هندسية) باسيليو بابون مالدونالد ت : علي إبراهيم على منوفي
٣٥٤ – الفن الإسلامي في الأندلس (نباتية) باسيليو بابون مالدونالد ت : علي إبراهيم على منوفي
٣٥٥ – التيارات السياسية في إيران حجت مرتضى ت : محمود سلامة علاوي
٣٥٦ – الميراث المر بول سالم ت : بدر الرفاعي
٣٥٧ – متون هيرميس نصوص قديمة ت : عمر الفاروق عمر
٣٥٨ – أمثال الهوسا العامية نخبة ت : مصطفى حجازي السيد
٣٥٩ – محاورات بارمنيدس أفلاطون ت : حبيب الشاروني
٣٦٠ – أنثروبولوجيا اللغة أندريه جاكوب ونويلا باركان ت : ليلى الشربيني
٣٦١ – التصحر : التهديد والمجابهة آلان جرينجر ت : عاطف معتمد وأمال شاور
٣٦٢ – تلميذ باينبرج هاينرش شبورال ت : سيد أحمد فتح الله
٣٦٣ – حركات التحرر الأفريقي ريتشارد جيبسون ت : صبري محمد حسن
٣٦٤ – حداثة شكسبير إسماعيل سراج الدين ت : نجلاء أبو عجاج
٣٦٥ – سأم باريس شارل بودلير ت : محمد أحمد حمد
٣٦٦ – نساء يركضن مع الذئاب كلاريسا بنكولا ت : مصطفى محمود محمد

٣٦٧ – القلم الجرىء	نخبة	ت : البرّاق عبد الهادى رضا
٣٦٨ – المصطلح السردى	جيرالد برنس	ت : عابد خزندار
٣٦٩ – المرأة فى أدب نجيب محفوظ	فوزية العشماوى	ت : فوزية العشماوى
٣٧٠ – الفن والحياة فى مصر الفرعونية	كليرلا لويت	ت : فاطمة عبد الله محمود
٣٧١ – المتصوفة الأولون فى الأدب التركى جـ٢	محمد فؤاد كوبريلى	ت : عبد الله أحمد إبراهيم
٣٧٢ – عاش الشباب	وانغ مينغ	ت : وحيد السعيد عبد الحميد
٣٧٣ – كيف تعد رسالة دكتوراه	أمبرتو إيكو	ت : على إبراهيم على منوفى
٣٧٤ – اليوم السادس	أندريه شديد	ت : حمادة إبراهيم
٣٧٥ – الخلود	ميلان كونديرا	ت : خالد أبو اليزيد
٣٧٦ – الغضب وأحلام السنين	نخبة	ت : إدوار الخراط
٣٧٧ – تاريخ الأدب فى إيران جـ٤	على أصغر حكمت	ت : محمد علاء الدين منصور
٣٧٨ – المسافر	محمد إقبال	ت : يوسف عبد الفتاح فرج
٣٧٩ – ملك فى الحديقة	ستيل باث	ت : جمال عبد الرحمن
٣٨٠ – حديث عن الخسارة	جونتر جراس	ت : شيرين عبد السلام
٣٨١ – أساسيات اللغة	ر. ل. تراسك	ت : رانيا إبراهيم يوسف
٣٨٢ – تاريخ طبرستان	بهاء الدين محمد إسفنديار	ت : أحمد محمد نادى
٣٨٣ – هدية الحجاز	محمد إقبال	ت : سمير عبد الحميد إبراهيم
٣٨٤ – القصص التى يحكيها الأطفال	سوزان إنجيل	ت : إيزابيل كمال
٣٨٥ – مشترى العشق	محمد على بهزادراد	ت : يوسف عبد الفتاح فرج

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رقم الإيداع ٥٧٤٨ / ٢٠٠٢

المجلس الأعلى للثقافة

«مشترى العشق» إحدى روايات الروائى الإيرانى المعاصر محمد على بهزاد راد، الذى اشتهر بكتابة الرواية بجانب شهرته رجل أعمال ناجحًا، وقد ساعده عمله الثانى فى الوصول إلى جميع طبقات المجتمع ومعرفة دقائقه.

حاول الكاتب فى هذه الرواية أن يتبع أسلوبًا متميزًا يصل به إلى هدفين اثنين متصلين غير منفصلين هما:

١- نقد المجتمع الذى يعيش فيه، وإظهار عيوبه حتى يمكن تلافيها.

٢- نقد مؤسسات الحكم وإبراز أهم العوامل التى يمكن أن تقوضها أو تجعلها معرضة للهجوم الداخلى أو الخارجى.

ومع أن الرواية خيالية زمانًا، فإنها واقعية تلمَّسها الكاتب بنفسه، فصورها بقلمه، ومن ثم فإنه يرى أن الشعب الإيرانى الذى يحاول النهوض فى كثير من المجالا... مازال بدائيًا فى جوانب أخرى، ومازال الغنى الذى يم... أموالاً يستطيع أن يشترى كل شىء حتى المشاع...